

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد السادس - السنة السابعة
مارس 1964 - ذو القعدة 1383
ثمن العدد 1,50

العدد السادس
السنة السابعة
مارس 1964
ذو القعدة 1383
ثمن العدد 1.50 درهم

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر جزئي لمدينة الرباط ، تبدو فيه صومعة حسان الشهيرة
(مجموعة وزارة الانباء والسياحة)

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفون 308.10 ــ 327.03 ــ الرباط

أبطال الإسلام

فاتح لا يقهر قتيبة بن مسلم

للأستاذ محمد فهمي

(ان تاريخنا لم يكتب بعد)

كلمة قالها باحث فاضل ، وليس ادل على صدق هذه الكلمة من ان المكتبة النابوليونية تحتوي على اكثر من عشرة آلاف مجلد الفها الفرنسيون فى سيرة قائدهم الفذ الذي لم تنجب فرنسا فى تاريخها الحافل الطويل ندا له بينما انجبت الامة العربية فى اقل من مائة عام عشرات من القواد الابطال لو اطلع نابليون على سيرهم لوقف مدهوشا ... وهو الذي كان يمجد هانيبال ويوليوس قيصر لغزواتهما فى بلاد الغال وايطاليا هذه الغزوات والوقائع التي لاتداني فتوحات قواد المسلمين كقتيبة بن مسلم فى بلاد آسيا احتى الصين ومحمد بن القاسم بن محمد فى بلاد الهند وعقبة بن نافع وموسى بن نصير وطارق ابن زياد فى شمال افريقيا واسبانيا وخالد بن الوليد الذي سحق امبراطوريتين وانتصر فى جهتين ...

امبراطورية الشباب

نعم انها امبراطورية الشباب وان شئت فقل دعوة الشباب تلك هي دعوة الاسلام وامبراطوريته العربية فان أكثر الصحابة لم يكن قد جاوز عهد الشباب وان شئت فقل عهد الصبا ، فكان علي بن ابي طالب فى الثانية عشرة من عمره حين اسلم ومن ذلك اليوم وهو صاحب المواقف والبطولات الرائعة فى حروب الدعوة وسعد بن ابي وقاص كان فى السابعة عشرة وهو الذي دك رقبة رستم أعظم قواد الفرس فى القادسية ولم يتجاوز الثلاثين ، واسامة بن زيد لم يكن قد جاوز العشرين حين ولاه النبي قيادة أول جيش هاجم امبراطورية هرقل غداة انتصارها على الفرس ... وغيرهم من شباب القواد والابطال الذين قامت على اكتافهم اغلب الفتوحات الاسلامية .

بعد معركة نهاوند بين العرب وامبراطورية كسرى التي استشهد فيها القائد العربي النعمان بن مقرن بعد أن حطم آخر جيش منظم لهذه الامبراطورية، سقط المارد الفارسي صريعا تحت سنابك خيول الفاتحين ، ولكن بقي عرق ينبض ، فان كسرى راس الامبراطورية كان لا يزال حيا تطارده جيوش الفاتحين من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى كانت خلافة امير المومنين عثمان بن عفان فولى على امارة البصرة شابا فى الخامسة والعشرين هو عبد الله بن عامر .

اتدري بما ذا عهد الى هذا الشاب الحديث السن؟ لقد عهد اليه امير المومنين بالقضاء نهائيا على آمال كسرى فى بعث ملكه من جديد وموالاة الفتوح نحو المشرق فقام بهذه المهمة الضخمة خير قيام وكان بحنكته ومقدرته وحسن سياسته مع اصابة الهدف من الامثلة النوادر فى التاريخ حتى شهد له أشراف الفرس انفسهم حين صاحوا مدهوشين امام عظمته :

(ما راينا رجلا اشبه بكسرى من هذا الاعرابي) .

وساق عبد الله جيوشه فافتتح خراسان ذلك الاقليم المستعصى ثم اتبعه بسجستان وكرمان وبذا تم فتح فارس ثم قتل كسرى يزدجرد .

جاءت فتنة امير المومنين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعزل عبد الله عن ولاية فارس فارتدت فارس جميعها ، قتلت حكامها وولاتها من العرب .

ولما استتب الامر لمعاوية دفع موجة الفتوح مره ثانية فأعاد عبد الله على ولايته وفى أقل من ثلاث سنوات أخضع هذا الشاب فارس كلها وأعاد الامر الى نصابه .

ولكن هؤلاء القوم على عناد شديد ولم ينفذ الاسلام بعد الى أعماق قلوبهم فكثيرا ما تمردوا على الولاة مرة بعد مرة حتى جاء الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق والمشرق وكانت جيوش الفتح قد وصلت الى مدينة « مرو » وأشرفت على ارجاء شاسعة تموج بأقوام شديدي المراس والبأس وملوك ذوي سطوة من الترك والفرغانيين والصغد تلك القبائل التي لا تعرف الا القتال طول حياتها .

نظر الحجاج فيمن حوله من القواد لينتقي اكفاهم لامارة جيوش الفتح فى هذه المنطقة الخطرة فوقع اختياره على قتيبة بن مسلم .

وهنا تبدا قصة تاريخ حافل لقائد من ابرع القواد نظلمه كثيرا ان لم نقل انه من ابرع قواد العالم .

كانت (مرو) هي القاعدة التي اتخذها قتيبة لفتوحاته ففي عام 86 للهجرة قاد جيوشه الى بلاد شارستان والصغد الاشداء وفى اول اصطدام هزم ملك الصغد وولى فارا تتبعه جنوده واضطر الى مصالحة الفاتح ، ودفع الجزية ، ثم عاد قتيبة بعدها الى مرو قاعدته بعد ان خضعت تلك البلاد للنفوذ العربي ، وحملت منها الاموال والجزية الى امير المومنين فى دمشق .

كان يزيد بن المهلب القائد العربي المشهور والوالي السابق قبل قتيبة ، قد قام بغزو ملك الترك العظيم (نيزك) فبعد أن أخضع قتيبة قبائل الصغد العتيدة توجه عام 87 هجرية الى بخارى عاصمة هذا الملك الذي اسرع وطلب الصلح من قتيبة فعبر قتيبة بلاده وتوجه الى مدينة (بابنقد) فى اواسط آسيا فامتنعت المدينة واهابت بجميع الممالك المتاخمة لنصرتها ، وكانت جيوش الفتح قد بعدت عن قاعدتها بعدا شاسعا فاستطاع الاعداء ان يسدوا عليها جميع المسالك وحوصر المسلمون حصارا تاما مدة شهرين بالجليد وبالاعداء معا .

ولكن نجح بعدها قتيبة فى تحطيم كل هذه الجيوش فى معارك طاحنة ، ولكي يرهب هؤلاء الاقوام المعاندين نصب من جثث قوادهم الذين صرعهم فى المعارك ما يشبه قوس النصر فى عصرنا الحديث طوله ثلاثة فراسخ وقد علقت الجثث فيه متجاورة في صفين عن يمين وعن شمال ..

كان لهذا الانتصار ولهذه الفعلة دويها المرعب فى كل ارجاء آسيا الوسطى ..

ولما كان نظام الملوك السائد فى ذلك العصر يجعل الملك فى نظر قومه غير جدير بالطاعة والاحترام من شعبه ما دام هناك من هو اقوى منه ، لذا ، اضطر الملوك فى تلك البلاد الى ركوب رؤوسهم والوقوف ثانية امام قتيبة ، وللمرة الثانية يعود قتيبة ليقتحم مدينة بخارى العظيمة فى حرب خاطفة .

فتستلم المدينة للفاتح ويغنم المسلمون غنائم لا تحصى ، وتفتح معابد الشرك والاوثان ابوابها فيجمع المسلمون ما بها من الاصنام حتى بلغت كومة كبيرة فتقدم نحوها قتيبة بنفسه واشعل فيها النار بيديه .

اليس هؤلاء المجاهدون اتباع محمد وحملة رسالة التوحيد الى البشر كافة ؟ .

بلى . وان سيوفهم لتضرب وتنتصر بسر لا اله الا الله .

ففي اقل من عشر سنوات بعد الهجرة كان النبي صلوات الله عليه وسلامه يحطم بيديه الكريمتين الاصنام فى الكعبة . ويرسل المغيرة بن شعبة ليصدع صنم ثقيف وخالد بن الوليد لتحطيم صنم تميم .

وها هو قتيبة بن مسلم قبل أن يكتمل القرن الاول للهجرة ، وعلى بعد آلاف الاميال من مكة والمدينة يحطم اصنام المشركين فى اعماق آسيا ..

ها هو نيزك يجمع جموعه من جديد متحالفا مع الملك ارتيل وكوربغانون ابن اخت ملك الصين ويتصدون لقتيبة فى عدد لا يقل عن مائة الف ، وفى هذه اللحظة يريد نيزك أن يحط من قيمة القائد الباسل وان يشوه مجد انتصاره فيما لو انتصر كعادته على هذا الجمع العظيم من الجيوش أو لعلها مكيدة من تلك التي يحذقها امثال نيزك من ملوك الترك الدهاة اذ ارسل لقتيبة قبل المعركة قائلا :

(اخرج الينا بقومك وحدهم لانك انما تنتصر علينا بمن فى جيوشك من أهل بلادنا) ، وهنا ثارت حمية القائد العربي وفى اعتزاز بنفسه وثقته بالنصر

كثقته بقومه وايمانه بالله ، انتقى قتيبة من جيشه شجعان العرب ، ولم يكونوا يبلغون اكثر من بضعة آلاف ، ونحى عن المعركة العدد الاكبر من جيشه والتحم بالعدو ، او قل قذف بنفسه مع شجعان قومه فى هذا الخضم من الاعداء الذي يبدو للرائي كأنه محيط بلا ساحل .

وفى معركة تشيب لهولها الولدان ابدت هذه القلة من الابطال المجاهدين من الصبر والشجاعة والبأس ما اذهل الاعداء ، حتى اضطربت جموعهم وانهارت اخيرا امام قوة ايمان المسلمين .

نعم هي قوة الايمان التي فعلت هذه العجائب ، لاشك فى ذلك ، فنحن لو وضعنا فى كفتي ميزان جيش الاسلام واعدائهم رجلا امام رجل ، فلا شك ان الاعداء تحتويهم الكفة الراجحة ، وهم فى العدد اضعاف المسلمين .

اذن فما سر النصر ؟ الجواب بسيط ، انه الايمان وقوته النافذة الجبارة التي ملأت قلب القائد العربي وقلوب المجاهدين من اصحابه .

هؤلاء الذين رأوا ان الله سبحانه وتعالى قد صدقهم وعده فادال لهم دولتي الفرس والروم فكيف لا يديل لهم هؤلاء الاقوام مهما بلغوا قوة وعدة وعديدا .. ؟

لم يقف امام قتيبة وجيوشه قوم ولا جمع ولا مدينة مستعصية الا فل جمعهم وانثنت اسوار مدنهم تحت مطارق جيوشه ، فها هي سمرقند وبلخ وبخارى وبايقند من العواصم الكبرى فى اواسط آسيا ترفرف عليها اعلام المسلمين .

لم يبق امام قتيبة الا امبراطورية الصين وان شئت فقل تلك القارة العظمى التي يحكمها امبراطور من أبناء السماء يدين له شعب بل شعوب تعدادها اربعمائة مليون ، ولكن من ذا الذي يستطيع ان يقول لقتيبة رويدك ... او كفى ؟ .. انه كالشعلة المندفعة فى ظلام الليل .

ها هو قتيبة وقد اكتسح سهول آسيا ومدنها واقطارها ها هو يقرع على امبراطور الصين أبواب امبراطوريته ويقسم الايمان على ان يطأ ثرى قصره ويسترق بنيه ويحمل من عنده الاموال الى أمير المؤمنين فى دمشق ..

يدهش امبراطور الصين امام هذه الجراة العجيبة لهذا القائد الذي يراه ، كأنما اصيب بالجنون فيطلب الامبراطور وفدا من هؤلاء القوم الذين بلغت جرائتهم هذا المبلغ العجيب حتى جاوزت حدود المعقول ..

نعم ان ملك الصين على حق فى زعمه ان قتيبة مجنون ، او شبه ذلك لانه تحدى بلادا يبلغ سكانها اربعمائة مليون ببضعة الاف من الجيوش تحت امرته ..

انك على حق ايها الامبراطور فانك لم تذق حلاوة الايمان ، ولم تشرب من كأس دعوة محمد ، ولم تصاحب هذا النبي الذي ولد فقيرا يتيما فى مكة ، واضطهده قومه حتى اخرجوه مهاجرا يطلب العون بعد الله من الانصار فى المدينة ، ثم هو بعد سنوات لاتزيد على عشر ، يصبح سيد القوم الذين فر منهم هاربا ثم سيد جميع بلاد العرب ، ثم ها هو اليتيم الفقير المضطهد يدفع بجيش من صحابته قد سكب فى قلوبهم من نور ايمانه واسرار رسالته ، فاندفعوا يدكون الامبراطوريات ويطوون المدائن والصحاري والممالك والجبال حتى ابواب بلادك .

ليس قتيبة بمجنون ايها الامبراطور ، بل انه مؤمن ، والمؤمن يتحدى بايمانه لا امبراطوريتك وحدها بل العالم اجمع ، بينما هو وحيد لا يملك الا قلبه المؤمن انه لمنتصر فى كلتا الحالتين . اما الغلبة حيث نعيم الدنيا ، واما الاستشهاد حيث جنات الفردوس ..

وخاطب الامبراطور أعضاء الوفد قائلا : كيف تجرؤون على اقتحام بلادي بهذا العدد القليل ؟ فاجابه كبيرهم : ان الذي اول خيله فى بلاد الزيتون (الشام) وآخرها فى بلادك لايستعصى على جيوشه شيء ... واضطرب امبراطور الصين واحس فى قرارة نفسه بضعف عجيب امام هذا الصوت الذي تحداه ، وأعمل فكره فى حيلة يتخلص بها من هؤلاء القوم الذين خيل اليه انهم لا يردهم شيء ، وكانت انباء انتصارات قتيبة وجيوشه مما أكد هذا الزعم فى نفسه .. وأشار عليه حكماء قومه أن يرسل الى القائد الفاتح شيئا من تراب قصره ليطأه القائد العظيم بقدمه ثم يطلب منه ختمه ليختم به الامبراطور ابناءه كالرقيق ويدفع الجزية ، وقد تم ذلك فعلا ، وبر قتيبة بقسمه ..

فى هذه الاثناء كان الحجاج بن يوسف الثقفي قد توفى وبعده الوليد امير المؤمنين وجاء الخلافة سليمان بن عبد الملك وكانت له ثارات عند جميع قواد الخليفة السابق ، اذ كانوا له موافقين فى اقصاء سليمان عن

ولايته الخلافة بعد اخيه ؛ فكان أول عمل قام بـه الخليفة الجديد ان استدعى من الميادين قواد سلفـه .

كانت هذه الفترة تعد بحق محنة الابطال ، وهـي نقطة سوداء فى تاريخ سليمان بن عبـد الملك فانـه فى سـبيل شـفاء حزازات نفسه لم يرع حرمة الابطال الذين قادوا جيوش الفتح من نصر الى نصر ونشروا رايـة الاسلام من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، واظهروا الملأ ما فى الامة العربية من قوة خفية تستطيع بها القلة من المؤمنين ان تفعل الاعاجيب وتسود العالم .

وقـف قتيبة من دعـوة سليمان اليه بالحضور موقفا حرجا ، فقد أتاه نبأ ما حل بغيره من القواد امثال موسى بن نصير ومحمد بن القاسم ، وأيقـن ان نفس المصير ينتظره فى دمشق ، ورأى ان وجوده وبقـاءه فى مكانه فضلا عن ما فيه من امان لنفسـه ففيه ايضا تأمين لتلك الاقطار الشـاسعة التي افتتحها من الانتقاض مـرة ثانية ، وان الخطر كل الخطر فى ترك الجيوش وهـي محاطة بجموع من الصغد والترك والفرغانيين والشـاش وغيرهم من الذين قد اعطوا الطاعـة عـن يـد وهـم صاغرون ، اذ لايزال الاسلام جديدا عليهم ولم ينفذ الى قلوب الكثيرين منهم بعد ، وان القوة وحدها هي التـي تستطيع الآن كبح جماحهم . نعم لقد قتل نيزك العظيم ملك الترك بعد آخر معركة له ، ففر الى فرغانة واعتصم بقلعة (الكرز) حيث حاصره قتيبة الى ان استسـلم وقتله وبذا اطاح رأس عدو من اخطر الاعداء .

ولقد اصبح حال الدولة الآن فى العاصمة (دمشق) يختلف كل الاختلاف عنه فى ساحات جيـوش الفتـح المجاهدة فى اقصى المشرق والمغرب ، ففي دمشق فتنت الخلافات الناشبة بين بني امية وأعدائهم من بني هاشم فى النفوس وأصبح قلب الامبراطوريـة يمـوج بشتى المشاعر العنيفة المتناقضة ، فالحجـاز لازالت تدمـى جراحها من أثر ثورة عبد الله بن الزبير والعراق لايزال يتحرك ويتوجع منذ مقتل الحسين والخوارج يزعجون الدولة فى الداخل ايما ازعاج حتى أن زعيمهـم شـبيب الخارجي يسلم عليـه الناس بالخلافـة وترسل اليـه الجيوش تلو الجيوش ، فلا تنال منه منالا ، ولولا موته غرقا لصدع فى الدولة صدعا واي صدع وابناء علي بن ابى طالب ـ يتحينون الفرص للانتقام والانتقاض واحدا بعد الآخر ، والعجيب أن جيـوش الفتـح مـع هـذا الاضطراب الداخلي كانت تحقق الويتها بالنصر فى كل مكان ، وبزنطة التي كانت قريبـة من دمشق عاصمـة الدولة الاسلامية لم تجـرؤ على الاستفـادة من هـذه الظروف الحرجة فى الدولة العربية ، فبدلا من ان تنتهز هذه الفرصة لتثأر لنفسها كانت هي نفسها هدفا مهددا بالخطر من جيش الاسلام ، حتى ان القائد العربـي مسلمة كان يحاصر القسطنطينية ذاتها . وان هـذا ليبدو عجيبا كل العجب ، وهو موقف تنفرد به الدولة الاسلامية بين جميع دول التاريخ ، فاننا نـرى مثلا الامبراطورية الرومانية عند ما بدأ الضعف يدب فـي داخلها تقلصت اطرافها واغار عليها البرابرة وانتقصوها من جميع الجهات ، اما فى الامبراطورية الاسلامية فالامر يختلف كل الاختلاف ، وكأنما يسير على نسق منفرد ، فاننا نشاهد بعد ان وقفت موجة الفتوح على أثر محنة القواد الابطال فى ايام سليمان بن عبد الملك ، نرى الدولة وقد زاد استقرارها فى الاطـراف واصبحت الامـم والشعوب التي خضعت للفاتحين بحد السيف اصبحت هي نفسها أشد حماية للاسلام ، ومراعاة لمبادئه مـن كثيرين من أبناء العرب انفسهم فى دمشق والجزيـرة العـربيـة .

تركنا قائدنا مترددا بين اطاعـة امـر الخليفـة والذهاب الى دمشق ليلقى حتفه مما قد يعرض جيوشه فى غيبته لنكسة جديدة ، وبين البقاء وعصيان امـر الخليفة مما يعرضه هو نفسـه لخطـر الانتقاض عليـه واخيرا قـرر البقـاء .

كانت هذه فرصة طيبة انتهزها الاعداء الذيـن انضموا تحت لواء قتيبة عن رغبة او رهبة ، والذيـن لا يزالون يذكرون وقائعه الهائلة فى بلادهم . ها هـي قد حانت الساعة التي يستطيعون فيها الخلاص مـن الرجل الذي لا يجرؤون على مواجهته وجها لوجـه فى الميدان ، ففي مجال الدسيسة اذن متـع وحجة ... فها هو القائد فى تظر من يريد استغلال الموقف عاصيـا لامر الخليفة ، وها هو من يثور عليه سواء مـن جيشه او من المنضوين تحت راية الاسلام من تلك الشعوب ،

يستطيع أن يدعى بأنه انما يناصر الخليفة على قائده المتمرد .

وفى ليلة داجنة والقائد فى خيمته يقلب وجوه الراي فى الحالة التي انتهى اليها موقفه هجم عليه من اغتاله غدرا ..

وهل كان لمثل قتيبة ان ينال منه احد الا بالغدر والدناءة ؟

لقد قتل القائد الباسل وكان من الطبيعي ان تنحسر موجة الاسلام عند هذه البلاد ، ولكن الله متم أمره . فها هي تلك الشعوب التي افتتحها قتيبة وادخلها فى الاسلام تتمسك بهذا الدين الى اليوم ، وتقف صامدة للتعذيب والتنكيل فى سبيل التمسك به امام اعظم قوة لادينية عرفها التاريخ ، الا وهي الشيوعية ، وها هم ثلاثون مليونا على الاقل اليوم فى التركستان وأواسط آسيا يناضلون اعنف نضال للابقاء على دينهم الاسلامي رغم جميع المحاولات التي تبذلها وبذلتها روسيا الشيوعية .. انهم ذاقوا حلاوة هذا الدين ونفذ الى أعماق قلوبهم سمو رسالة محمد صلوات الله عليه وهيهات أن ينزعه من قلوبهم طاغ مهما بغى وتجبر ، بل انهم اليوم ليعدون قتيبة اخاهم فى الاسلام وهاديهم الى الايمان ويذكرونه بالتمجيد والتعظيم ، ذلك الذي كان لهم من قبل عدوا .. انها بركة الاسلام وانه الدين القيم وانها الرسالة الخالدة التي تدع المغزو يمجد غازيه والغازي خادما هاديا لمن اخضعهم . .

الرباط : محمد فهمي



الحقيقة الدينية بين الخواص والعوام عند أبي حامد الغزالي

للأستاذ محمد صالح الرعيمي

اتبع ابو حامد الغزالي طريقة خاصة فى معالجة مواضيع كتبه ، فكان يفرق بين نوعين من تآليفه : نوع يذيعه على الناس دون تحذير ولا تنبيه ، ونوع آخر يقدم له بمقدمة يأخذ فيها عهدا على قارئه الا يطلع عليه اذا لم تتوفر له شروط يذكرها ـ قلما تتوفر لانسان، وان توفرت له ، فعليه الا يذيع ما يطلع عليه من هذا الصنف من العلم ، على غيره من الناس ، ويسمى الغزالي هذا النوع ب (المضنون به على غير اهله).

ولسنا نعرف مفكرا من الناس سار على هذه الطريقة التي سار عليها ابو حامد ، وهي تعتمد ـ فيما يبدو ـ على الحديث الشريف الذي يطلب الى المسلمين ان (يخاطبوا الناس على قدر عقولهم) .

يقول الغزالي فى كتابه «الاربعين فى اصول الدين» ص 24 : (... وفى الرسالة القدسية ادلة العقيدة ، وتقع فى عشرين ورقة وهي احد فصول كتاب (قواعد العقائد) من كتاب (الاحياء) ، واما ادلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تانق فى ايراد الامثلة والاشكالات فقد اودعناها كتاب (الاقتصاد فى الاعتقاد) فى مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوي لباب علم المتكلمين ، ولكنه ابلغ فى التحقيق ، واقرب الى قرع ابواب المعرفة من الكلام الرسمي الذي يصادف فى كتب المتكلمين ، وكل ذلك يرجع الى الاعتقاد لا الى المعرفة ، فان المتكلم لا يفارق العامي الا فى كونه عارفا ، وكون العامي معتقدا ، بل هو ايضا (اي المتكلم) عرف ادلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمر ، ويحرسه من تشويش المبتدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد الى انشراح المعرفة .

فان اردت ان تستنشق شيئا من روائح المعرفة صادفت منها مقدارا يسيرا مبثوثا فى كتاب الصبر والشكر ، وكتاب المحبة ، وباب التوحيد من اول كتاب التوكل ، وجملة ذلك من كتاب (الاحياء) ، وتصادف منها مقدارا صالحا يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب (المقصد الاسنى فى معاني اسماء الله الحسنى) ولا سيما فى الاسماء المشتقة من الافعال .

وان اردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير جمجمة ولا مراقبة ، فلا تصادفه الا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير اهلها .

واياك ان تغتر وتحدث نفسك باهليته فتشرئب لطلبه ، فتستهدف للمشافهة بصريح الرد الا ان تجمع ثلاث خصال :

احداها : الاستقلال فى العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الامامة فيها .

الثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد محو الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق ولا اهتمام الا به ، ولا شغل الا فيه ، ولا تعريج الا عليه.

والثالثة : ان يكون قد اتيح لك من السعادة في اصل الفطرة بقريحة صافية وفطنة بالغة لا تكل عن درك غوامض العلوم الخ ...) اه كلام الغزالي .

وهنا يجب ان نسجل لهذا الرجل الفذ كل اعجاب وتقدير نظرا لانتباهه بذكاء متوقد الى الشروط التي لا تزال الى اليوم تلزم المشتغلين بتحصيل العلم والانغمار فى طلب الحقائق العلمية العميقة ، فمن منا ـ فى الحقيقة ـ يقرأ الخصال الثلاث التي اوردها ابو

حامد الغزالي ، ولا يمر بخاطره ذكر الشروط التي لابد من توفرها في علماء العصر الحاضر ؟ اذ يجب ان يكونوا من جهة متضلعين في العلوم الاساسية الفيزيائية والكيميائية والرياضية ، وان يتفرغوا بالكلية الى مهمتهم العلمية تمام التفرغ ، وان يتصفوا بالموضوعية والنزاهة العلمية من جهة ثانية ، وان يتوفر لهم من جهة ثالثة من النبوغ والذكاء وصفاء القريحة ما يستطيعون ان يواجهوا به تشابك الاشياء والحوادث الطبيعية وتعقد المعطيات ، وما يمكنهم من تصور الحلول الممكنة وصياغة الفرضيات التي تصبح بعد التجربة حقائق مسلمة .

على اننا لسنا ندري انقرر ان ابا حامد كان يقصد المعرفة المطلقة بالحقائق الكونية ام كان يرمي الى الحقيقة الدينية الصرفة ، عند ما اعلن عن الخصال اللازم توفرها في طالب المعرفة ، وان كانت بعض عباراته السابقة توحي بانه قصد الحقيقة الدينية .

ولكن اذا كان الامر على هذا النحو الاخير ، فلماذا يشترط الغزالي على طالب الحقيقة برمتها ان يكون (مستقلا في العلوم الظاهرة ونائلا رتبة الامامة فيها) ؟ اليس هو الذي اخذ على الفلاسفة المسلمين انهم يخادعون العوام ويستدرجونهم الى (ضلالهم) بحجة انه لابد من التدرج في معرفة حقائقهم الرياضية والمنطقية والطبيعية الى العلوم الالهية ؟ .

ان الغزالي لا يكتفي ببيان درجتين من الاستعداد عند الناس لتقبل الحقيقة ولكنه يجعل منها درجات عديدة ، ينتقل بموجبها من الاعتقاد الصرف دون معرفة بالادلة الى ان يصل الى المعرفة الصريحة بالحقيقة ، وبالادلة الواضحة عليها .

ويمكننا ان نستنتج من كل ذلك :

1) ان الغزالي يعتقد بوجود حقائق اخرى اعمق من الحقائق الدينية الظاهرة ولكنها لا تناقضها .

2) ان الغزالي يرى خطرا على عامة الناس الاطلاع على هذه الحقائق لانهم لن يكتشفوا عدم التناقض بينها وبين ما يعتقدون .

3) ان اكتشاف عدم التناقض هذا خاص بمن توفرت لهم بعض الخصال ، ومنهم الغزالي .

وهكذا يقرر الغزالي ان الناس غير متساوين في الاستعداد للفهم ، وتقبل الحقائق كما هي ، بل ان بينهم تفاوتا في ذلك ؟ .

وهنا يبرز سؤال هام : هل يقصد الغزالي ان العامة لا تستطيع ادراك الحقيقة كما هي ؟ ام يقصد انهم قد يدركونها ، ولكن ذلك يؤدي بهم الى غياهب الالحاد ، وظلمات التشكك في الدين ؟ .

ان هناك نصا لابي حامد يبين ان مقصده الحقيقي هو الشطر الثاني من سؤالنا ، يقول ابو حامد في كتابه (ميزان العمل) عند كلامه عن مراتب المذاهب :

(... وهذا لا يتعين على وجه واحد ، بل يختلف بحسب المسترشد ، فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه ، فان وقع له مسترشد تركي او هندي او رجل بليد جلف الطبع وعلم انه لو ذكر له الله تعالى ليست ذاته في مكان ، وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه لم يلبث ان ينكر وجود الله تعالى ويكذب به ، فينبغي ان يقرر عنده ان الله تعالى على العرش ، وانه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بهم ، ويثيبهم عوضا وجزاء وان احتمل ان يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له ، فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه) ا هـ كلام الغزالي .

ومن ذلك يبين بوضوح ان الغزالي يقول عن الله للبليد ما لا يقوله للذكي ، ويصور الحقيقة صورا مختلفة على حسب تفاوت الاستعدادات والمدارك ، واذا كان الامر كذلك فكيف نصنف كتاب (تهافت الفلاسفة) على ضوء هذه المعطيات ؟ ان الغزالي قد اعتاد ان يقدم لكتبه من نوع (المضنون به على غير اهله) بمقدمة تحذر قارئها ، وتشترط شروطا لقراءتها كما سبق ذكره ، وهو لم يقدم لذلك الكتاب بشروط ولا بتحذيرات .. افعنده من كتب العامة ؟ .

لنستمع الى ابي حامد الغزالي يحل لنا هذا المشكل ، فهو يقول في كتابه (جواهر القرآن) :
(.. ومن العلوم ما يعني بمحاجة الكفار ومجادلتهم ، ومنها يتشعب علم الكلام المقصود لرد البدع والضلالات ، ويتكفل به المتكلمون ، وقد شرحناه على

طبقتين سمينا الطبقة القريبة منهما : (الرسالة القدسية) والطريقة التي فوقها (الاقتصاد في الاعتقاد) ومقصود هذا العلم (اي علم الكلام) حراسة عقيدة العوام من تشويش المبتدعة ، ولا يكون هذا العلم معينا بكشف الحقائق ، وبجنسه يتعلق الكتاب الذي صنفناه في تهافت الفلاسفة) ا هـ كلام الغزالي .

وبذلك يوضح لنا الغزالي ان كتاب التهافت ليس من نوع المضنون به على غير اهله ، بل هو (لحفظ عقيدة العوام من التشويش) .. فهو كتاب للعامة يقوون به عقائدهم ، وان كان يخاطب الطبقة التي يسميها بالجدليين ، تلك الطبقة التي (تخرج من صفوف العامة وتمتاز بالذكاء والتمرد والعناد) .

واذا كان ابو حامد الغزالي يقصد بكتاب التهافت حفظ عقيدة العوام من التشويش فلما ذا حرر كتابا كاملا في (مقاصد الفلاسفة) وجعله منفصلا عن كتاب التهافت ، ولم يخش ان يشوش بذلك على العامة فكرهم ، سيما وانه في هذا الكتاب يعرض اقوال الفلاسفة على عهده عرضا رائعا ، ويأتي لها بالحجج والمؤيدات .

ان ابا حامد قد الف (المقاصد) ليخبرنا انه عليم بما عند الفلاسفة من الحقائق ثم اعتبر هذه الحقائق من (المضنون به على غير اهله) فخشى ان تذاع على الناس فتشوه عقائدهم ، فقام يهاجمها في كتاب التهافت ، وباستطاعتنا ان نتفهم وجهة النظر هذه وقد ندافع عنها لغايات عملية واقعية احيانا ، ولكن يجب التنبيه الى ان موقف الغزالي من فلاسفة المسلمين لم ينطلق انطلاقه المناسب لهذه النتيجة .

فهو لم يعترف لهم بالوصول الى اية حقيقة ، بل وقف يهاجمهم مهاجمة عنيفة لا نظن انها تحمل وراءها مجرد خشيته على العامة من الحقائق الفلسفية ، وخاصة في الفترة الاولى من حياته قبل ان ينطلق في ارض الله ، ويعيد النظر في مواقفه العامة رأسا على عقب .

وعلى كل حال فقد وقف الغزالي في النهاية موقفا يمكن ان نلخصه بما يلي اذا اعتبرنا حسن النية رائدنا : التضحية بالحقيقة من اجل حفظ العقيدة . والمقصود بالعقيدة هنا السلوك الصالح المنسجم مع التعاليم الدينية ، فهل ترانا نسلم بهذا الموقف البراغماتي الذي يوحي بما اتجه اليه (وليم جيمس) وغيره من (الذرائعيين) حيث اهتموا بالعمل الصالح النافع والناجح دون الحقيقة النظرية المطلقة ؟ .

لقد سبق ان نشرت مجلة (دعوة الحق) منذ سنين مقالا يتحدث فيه صاحبه عن العلاقة بين الاسلام ومذهب البراجماتزم ، وهو ينحو في ذلك المقال منحى شبيها بما ذكرنا . والحقيقة اننا لا نستطيع ان ننكر هذا الاتجاه العملي في الدين الاسلامي وروحه العامة ، ولكننا نلاحظ — مع ذلك — ان حجة الاسلام رحمه الله ربما كان مبالغا نوعا ما في هذا الاتجاه ، ولعل ظروف عصره المشحونة بالمنازعات الفكرية وكثرة البدع والاراء المختلفة ، هي التي حدت به الى ذلك الموقف الشديد .

فالغزالي ينتهي — عند كلامه عن الطبيعيات والرياضيات مثلا الى نتيجة اخيرة هي منع تدارسها لما فيها من آفات ، وهذا يصعب علينا اليوم ان نتفق عليه بل وحتى ان نفكر فيه ، فلسنا نستطيع ان نفهم ان الاسلام يمنعنا من دراسة العلوم الطبيعية والرياضية لما فيها من آفات على العقيدة .

ولكن لنبحث المسألة بدقة اكبر ، فهذا الكلام كان الغزالي يوجهه الى العامة من الناس فهل توافق على ذلك ؟ .. اننا اليوم نقف من هذه المشكلة موقفا آخر .. فنحن لا نمنع الناس من تدارس العلوم الظاهرية خوفا على عقائدهم بحجة ان مداركهم لا تتسع لذلك بل ناخذ بيدهم ، وننهض بهم من كبوة الجهل وضيق الافق .. حتى يستطيعوا ان يتفهموا مبادىء العلم الحديث دون ان يضرهم ذلك شيئا في عقيدتهم .

ولسنا نوافق الغزالي على ان يقول للتركي او الهندي او جلف الطبع البليد ان الله على العرش وانه يفرح لعبادة خلقه ويجازيهم على اعمالهم جزاء مقابلا لتلك الاعمال .

وجملة القول انه ليس في العقيدة الاسلامية من اسرار ، ولا في الحقيقة الدينية كما جاء بها الاسلام الا الوضوح التام ، فلا حاجة الى التفريق بين الناس في الدين .

واذن فقد كان على الغزالي ان يرتفع بالعامة الى الحقائق بدلا من ان يعطيهم اشباه الحقائق الخاصة بهم ، ولكن الغزالي — كما سبق ان ذكرنا — كان يرى فيما فعل انقاذ الدين وحفظه على العامة من التشويش؛ وانما الاعمال بالنيات .

الرباط : محمد صالح الزعيمي

نظرات اسلامية في المال والاقتصاد

للأستاذ : عبد الله الكامل الكتاني

ليس باستطاعة احد ان يتقول على الاسلام فى هذه المواضيع المالية والاقتصادية الحديثة بما لم يقل ولا ان يحمل نصوصه الاصلية فوق ما تتحمل ، واخوف ما يخافه المرء ان يطلق لخياله العنان ويتولى بحث هذه المسائل متأثرا فى ذلك بالضرورات الحالية ومدفوعا بالوقائع العملية فيحرف الكلم عن مواضعه ويطلع علينا فى النهاية بافكار شخصية ينسبها الى الاسلام وما هي منه فى شيء ؛ لذلك نخوض هذا البحث وقد احطنا فيه ببعض الحيطة محاولين الابتعاد عن التطرف والتقعر بقدر الامكان عسى ان نخرج منه ـ على الاقل ـ بنظرات فى المال والاقتصاد اقل ما توصف به انها اسلامية وليست هي نظرات الاسلام بعينها فى الموضوع .

جاء الاسلام دينا سماويا كسائر الاديان الاخرى داعيا الى الخلاص فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والسعادة والاخوة والمساواة بين سائر افراد البشر ، سبيله فى ذلك عقيدة راسخة فى وحدانية الله باريء الكون وايمان ثابت بنبوة محمد عليه السلام ، ثم اقام الاسلام على هذا النظام العقائدي نظاما آخر فى الاخلاق قائما على التوادد والتآلف ومحبة الخير العام المشترك لسائر ابناء البشر .

والى جانب هذين النظامين العتيدين فى العقيدة والاخلاق قامت نظرية الاسلام فى المال والاقتصاد تشيد افكارها ومبادئها على اساس من العقيدة الراسخة والاخلاق القويمة وترتبط بهما تمام الارتباط واوثقه .

لم يهمل الاسلام من امر الحياة الدنيا والسعي فيها بجد ونشاط ، وكثير من الآيات القرآنية تدعو الانسان الى عدم نسيان نصيبه فى الحياة الدنيا : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » وتقرر حق الانسان فى الحياة الطيبة الكريمة : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » .

ويعتبر الاسلام حق التملك من الحقوق الطبيعية للانسان : « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض جميعا منه » ، واحاطت الديانة الاسلامية حق التملك الفردي بسياج متين من القوانين المختلفة فى البيع والشراء والايجار والرهن والحيازة تضمن حمايته من ايدي الذين يحاولون العبث به اذا كان حق التملك هذا ثابتا بالطرق الشرعية من غير سرقة ولا خيانة ولا غش ولا خداع .

وحق التملك الفردي محترم فى الاسلام ضمن اطار المصلحة العامة باعتباره وظيفة اجتماعية ينبغي ان تراعى فى ادائها حقوق الله وحقوق العباد .

اما الاموال فى الشريعة الاسلامية فهي ملك الله الذي استخلف الانسان فيها : « وانفقوا من مال الله الذي آتاكم » « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » والانسان حر فى سعيه ونشاطه الاقتصادي لا حجر عليه فى ذلك الا اذا سعى الى كسب حرام او عمد الى احتكار الاموال وتكديس الثروات حينئذ لا حرية فى الامر بل يعلنها الاسلام حربا صريحة فى القرآن وفى الحديث على الربا والمرابين : « الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

المس ، ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا » ، « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين » « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » وعلى ذلك فكل سبيل ربوية خاصة او عامة ، لا تقرها اصول الاسلام الحنيف منذ كان الاسلام والى ان يرث الله الارض ومن عليها وما على الذين يحاولون « تعصير » المبادىء الاسلامية للانسجام مع « الضرورات » و « الوقائع » الا ان يعلموا ان صراحة الاسلام فى هذا الموضوع قد قطعت قول كل خطيب .

كما يعلنها الاسلام حربا على « الميسر » وعلى الغش « من غشنا فليس منا » وعلى الاحتكار طمعا فى غلاء الاسعار « من احتكر فهو خاطىء » .

فالمال فى الاسلام وسيلة لا غاية وسبيل الى التعاطف الاجتماعي بين افراد الجماعة الاسلامية والمتساكنين مع المسلمين من اهل الذمة وغيرهم ؛ ومتى استحال المال وسيلة للشهوة ومطية للفساد والطغيان وسبيلا الى المنافسة والمزاحمة المستعملة ضد مصالح الجماعة كان شرا يكرهه الاسلام : « زين الناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا » .

اما الفقر فيعتبر فى نظر الاسلام مرضا اجتماعيا خطيرا يكاد يصل فى خطورته حدا يمس بالنظام العقائدي والاخلاقي فى الاسلام ، قال عليه السلام : « كاد الفقر ان يكون كفرا » .

لذلك لم يطلقها الاسلام حملة شعواء على التجار ولا التجارة : فقد كان عليه الصلاة والسلام تاجرا وكان الخلفاء رضوان الله عليهم من بعده تجارا وكان من دعائه المأثور : « اللهم اسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى » على زهده وهو امام الزاهدين فى هذه الحياة الدنيا .

ولعلاج مشكلة الغنى والفقر هذه جاء الاسلام بنظام اقتصادي للاموال باسم « الزكاة » التي جعلها ركنا ثالثا من اركان الدين وبمقتضاها تتفتت الثروة الكبيرة ويمتنع كنزها وتجمعها فى ايد قليلة اذ انها حق معلوم للسائل والمحروم فريضة من الله فى الاموال والانعام والزروع والزكاة تصرف من اموال الاغنياء لترد على « الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » ليست عطاء من الاغنياء ولا منحة يمنون بها على الفقراء وانما هي حقهم فى اموال الاغنياء ليحدث الرواج فى الاقتصاد وتتنقل الثروات بين الناس ويعم التوادد والتآلف سائر طبقات المجتمع الغنية منها والمحرومة على السواء .

وقد سار الصحابة وفقهاء المسلمين على هذا المنهج القويم فى الانفاق المفروض وغير المفروض سواء بسواء اذ ثبت ان ابا بكر الصديق تصدق بجميع ماله وعمر بن الخطاب بنصف ماله وشاطر الانصار فى المدينة اخوانهم المهاجرين اموالهم ، اما الفقهاء فقد قرروا على سبيل انماء روح التعاون بين الناس ان « زكاة الحلي — الذي تتملكه النساء — اعارته » .

وهناك نظم اقتصادية اخرى فى الاسلام لها جانبها المالي والاقتصادي كقانون الارث الذي يفتت الثروة الواحدة اسداسا واثلاثا وانصافا وارباعا وكذلك نظام الوقف الخيري ونظام الوصية « الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المحسنين » ونظام الغنائم : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... »

الى جانب ذلك كله رفع الاسلام من شان العمل واعتبره ضرورة لكل احد وشرفا له وواجبا عليه ، وحث على الرفق بالعمال الاجراء وتمكينهم من اجرهم كاملا غير منقوص ؛ وفى ذلك احاديث عديدة نذكر منها قوله عليه السلام : « ما اكل احد طعاما قط خيرا من عمل يده » وقوله : « اعطوا العامل اجره قبل ان يجف عرقه » اما الاخلاص فى العمل سواء كان بدنيا او عقليا دينيا او دنيويا فيامر به القرآن فى قوله « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون » .

واهم اشكال العمل التي عرفتها الامم القديمة من رومانية وفارسية ويونانية وتعرف عليها الاسلام من بعد ذلك هو عمل الرقيق .

كان الرق لدى الامم التي ادركها الاسلام امرا عاديا وطبيعيا والعبد الرقيق شيء من الاشياء لا روح

من الارواح البشرية ليست له ذمة مالية ولا حقوق ولا اسرة وانما كان جزءا من ثروة سيده الذي له حق التصرف فيه بيعا او اعداما ، ثم جاء الاسلام يخفف من هذا الغلواء في اهدار كرامة الانسان فاعاد للرقيق اعتباره الانساني واوصى بالاحسان في معاملته والحفاظ على كرامته وقرر ان الرقيق كائن انساني قبل ان يكون كائنا اقتصاديا وعرضا تجاريا ، ان الاسلام حينما واجه هذه الواقعة الاقتصادية الهامة في اول عهوده واجهها بكل صراحة وحزم مواجهة نستطيع معها ان نقرر مع المقررين في هذا الموضوع انه دعا الى الغاء الرق بصورة غير مباشرة منذ ثلاثة عشر قرنا اعني قبل انتباه الانسانية الى ضرورة تحريمه بعدة قرون ، وما « عتق الرقبة » او « فكها » او « تحريرها » الا اصطلاحات اسلامية معبرة وجديدة من صميم العبادات في الدين الاسلامي : « فهي كفارة عن القتل الخطا وكفارة في الظهار في الحنث في اليمين وفي غير ذلك وهي ايضا من مصارف الزكاة .

والدعوة الى الرفق بالرقيق والاحسان اليه موضوع احاديث عديدة نذكر منها قوله عليه السلام : اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم » وقوله عليه السلام : « ايما رجل كانت له جارية فادبها فأحسن تاديبها واعتقها وتزوجها كان له اجران » .

ففي هذا كله وما يماثله اعادة لاعتبار الرقيق ودعوة ضمنية الى تحريمه ذلك ان الاسلام حينما اعترف بنظام الرقيق كمؤسسة اقتصادية حربية انما كان مدفوعا بعامل واحد وهو المعاملة بالمثل في حروبه مع الاعداء الذين كانوا يسترقون الاسرى المسلمين ، ومع ذلك فكم شهدت المحافل الاسلامية زمن النبي وبعده من حوادث المن الجماعي على الاسرى بالحرية ونعمة الحياة اثر انتهاء حروبه مع الاعداء كما كان افتداء الاسرى امرا معمولا به ومقبولا من الشرع الاسلامي .

من هنا نرى ان الاسلام حينما قرر ان الرقيق كائن انساني قبل ان يكون كائنا اقتصاديا قد اعطى الدليل القاطع على ان للنظام العقائدي فيه والنظام الاخلاقي سيطرة تامة على نظامه الاقتصادي ، فالاسلام في معالجته لهذه المسالة الاقتصادية الحيوية بالنسبة لعصر صدر الاسلام ـ مسالة الرقيق ـ كان يقدم الاعتبارات العقائدية والاخلاقية الانسانية على الاعتبارات المالية والاقتصادية المادية دون ان يكون في تقديم الاولى اهمال للتالية وانما هو تدرج في الترتيب والاهمية : العقيدة والاخلاق الانسانية اولا ثم المال والاقتصاد والمادة ثانيا ، حيث تقضي المبادىء بسيادة العقيدة والاخلاق سيادة يكون من الضروري معها ان تخضع مسائل المال والاقتصاد لمبادىء العقيدة والاخلاق وتقوم بينهما رابطة تابع بمتبوع وقائد بمقود .

* * *

وفيما عدا ذلك نجد ان للدولة في الاسلام حق الاشراف على الجهاز المالي والشؤون الاقتصادية المختلفة وتدبيرها بما يتفق وصالح الجماعة الاسلامية، وعلاوة على ذلك فان الامور الضرورية لحياة المسلمين لايجوز الاستئثار بها من قبل احد لمصلحته وحده دون الباقين ، ومن هذا القبيل ان الدولة الاسلامية تقوم باعالة المواطنين الفقراء وكفالتهم حتى من لم يكونوا منهم مسلمين كما تقوم بواجبات التكافل الاجتماعي وبالسهر على شؤون الصحة والتعليم والامن العام الداخلي والخارجي وما والاه ...

تلك نظرات اسلامية في المال والاقتصاد على ضيق في الافق ونقص من العلم بالفقه وليس من حقنا ان نزعم لها انها هي نفسها بالضرورة والواقع نظرات الاسلام في الموضوع وانما يكفيها من الموضوع ان تتصف به ومن الاسلام انها تنسب اليه فهي محاولة اولى قد تليها محاولات ربما يفتح علينا من ابوابها في المستقبل ما هو منها مغلق الآن ، وقد يوصلنا البحث فيها واستقصاؤها الى كنف الحقيقة او ظل من اليقين .

سلا : عبد الله الكامل الكتاني



حينما يتحدث الناس عن الاسلام والمسلمين يجب ان لا يغيب عن اذهانهم مميزات تلك الدعوة الاسلامية وخصائصها وتسجيلاتها الاولى فى نفوس المسلمين الذين باعوا ذممهم لله . واستجابتها لآمال الانسانية استجابة ممتدة مع تاريخ الانسان ومع تطوره وظروفه المختلفة .

كما يجب على المسلمين اذا ما ارادوا ان يحظوا بالمكانة التي سجلها التاريخ لاسلافهم الاوائل — ان لا يغيب عنهم ولو لحظة — الصورة الكاملة للمفهوم الاسلامي الصحيح . وتكون هي مصدر اعمالهم ومنبع تصرفاتهم واساس حركة حياتهم كلها . ومثل هذا — اذا تحقق — جدير بان يبعث اليقظة فى نفوس المسلمين ويطبع اعمالهم كلها بطابع الجدية والتطلع الى حياة افضل .

ولكن تاليف هذه الصورة الكاملة فى نفس المسلم . وتكيفه بها يحتاج الى ان تكون الآثار الاسلامية الناشئة عن تغذية الشعور والعقيدة وتربية الضمير وتقوية النفس — هي اسبق الآثار الى نفسه والى فكرته حتى لا يكون لغيرها اي سلطان عليه . فهل استوثقنا من صلابة الطريق للحصول على هذه الصورة الاسلامية الصحيحة بعد ما فتحت الدعوة الاسلامية المتطلقة الواعية امام الناس جميعا آفاقا واسعة للاسترشاد بصورتها ؟

وهل لدينا ضمان لذلك بعد ما اصبح المسلمون موضع زراية من اوليائهم ومن اعدائهم على السواء . وبعدما اصبحوا منحرفين او محترفين بالاوضاع الاسلامية .

ليس فى امكاننا ان ندعي اننا نعيش طبقا لمبادىء الاسلام والحال على ما هي عليه . ولكن فى امكاننا ان ندعي اننا نتكلم فقط طبقا لمبادىء الاسلام . لان الاسلام هو الحياة الانسانية باكملها فى صورتها النظيفة . يسعى الى تحقيق فكرته : فى النفس . فى العقيدة . فى الخلق . فى الاجتماع . فى عالمه الواقعي . واقامة كل مجتمع على هذا الاساس الواقعي محفوفا بالقوة والمنعة . وفى هذا ما يفسر لنا بوضوح . كيف سعد المسلمون الاولون بتلك الصورة الاسلامية التي انطبعوا بها . لان وسائل المراقبة فيهم . بوحي من دينهم — على ظروفهم النفسية والاجتماعية كانت قوية . وقوة التركيب فى تاليف هذه الصورة فى نفوسهم كانت لها دلالتها الكبيرة على سموهم وفضلهم . فلا عجب اذا كان كل شيء فيهم يبدو رائعا . وكل تصرف من تصرفاتهم يستحيل الى قوة . وكل شيء قاموا به يترجم الى اعمال كبيرة والى خطوات حمدت لهم الاجيال آثارها من بعدهم .

ولقد خط الاسلام مسالكه الكبرى على هذا النهج لا تختلف بين جيل وجيل . ولا بين زمن وزمن . وانما هي هداية ممنوحة من رب العالمين . « ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وقال تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وانما تختلف افكار الناس وعقائد الناس وحظوظهم من الاستفادة من دينهم ومن هدايته ومقدار تاثرهم به وتحكيمهم له . وصدق الله العظيم : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

ومنبع هذه المفارقات والاختلافات بين المسلمين يرجع فى الحقيقة : اما الى ضعف فى تركيب العقيدة

الاسلامية في نفس المسلم . واما الى مخالفة قوانينه ونظمه التي ربط بها مصير المسلمين وبقاءهم واستمرارهم . وكثيرا ما تنشأ هذه الثانية عن الاولى .

فالعقيدة الاسلامية اعتبرها الاسلام اساسا لوجود المسلم — كانسان له كرامته وله فضله على كثير ممن خلق الله — كرمه بها ورفع بها شانه . ودشن بها كيانه الانساني الاول . هذه العقيدة البسيطة الواضحة تعد من اروع المواقف الانسانية ومن اجلى الدعوات في تحرير البشرية من التسلط والاستغلال واسترقاق حظوظ مختلفة للانسان . وقد وقفت الانسانية البريئة بجانب هذه العقيدة الاسلامية . لانها لا تضيق بامانة العلم . ولا بهدى العقل . ولا بضروب الاكتشافات الانسانية . بل تتعاون معها جميعا وتعتز بها جانبها .

فالمسلم اذا ما امتلأ قلبه بهذه العقيدة ووقف امام ربه يناجيه ويناديه . فقد تحررت نفسيته . وطاب له المقام بجوار ربه يفتدي من فيضه فيجيب دعوته اذا دعاه . ودفع عن نفسه — بذلك — كل سلطان الا سلطان الله تعالى . لا يخضع الا له ولا يعبده الا هو ولا ينتصر في معترك الحياة الا به . ومن اجل تمكن هذه القوة الازلية من نفسه استطاع المسلم ان يكسر اصناما اخرى قد تتسرب اليه فتطغى على الروح الاسلامي فيصيب المسلم منها ما يصيبه من فساد ومن فتور عام . ونعني بذلك ما يقدسه الناس عادة من حظوظ المال والجاه والسلطان والاثرة والشهوات والملذات الفارغة . فانها معبودات اخرى قد تمس الانسان في صميمه . وتنصب لها منابر في كل مكان . وتبنى لها مساكن في كل مجتمع عندما تتحكم فيه الاوضاع الفاسدة . وتنتشر بين اوساطه هذه المواد العفنة التي هي نذير بين يدي عذاب اليم . ولكن العقيدة الاسلامية ما دامت محتفظة بقوتها — فانها تدفع عن نفسها كل زيف كما تدفع عن كل من اعتنق فكرتها جميع ما يعترضه في طريقه . وترشده الى طريقة التحلي بصورة الاسلام الصادقة التي هي الوقاية الطبيعية المسلمين حيثما كانوا ولا يغنيهم مع هذا ولا ينفعهم في شيء ان يومنوا ببعض ويكفروا ببعض . فان الاسلام — في عقيدته وفي شريعته — هو مركب حيوي للمسلمين لا يقبل التجزئة . فلا يمكن الفصل بين العبادة والمعاملة ولا بين الاقوال والاعمال ولا بين تصرف وتصرف . بل هذه الامور كلها تدخل في نطاق واحد ومربوطة بحبل واحد هو حبل الله الذي يجب الاعتصام به . والكل يراد به « ذلك النظام الاسلامي العام » الذي يكون مجاله الاول في الحياة الدنيا وآخره في الحياة الآخرة . ولذا يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : (ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي . ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل) .

ولكن عند ما يضعف اثر العقيدة في نفس المسلم عند ما تسيطر عليه مفاهيم اخرى — يمكن ان تتحقق جميع التقديرات التي تخدم الوان تخلفه وفراغه . وتصبح المشكلة مشكلة انسان يعيش بلا سقف وبلا شاطىء . مشكلة هذا الانسان المعذب الضائع الذي لا يجد في الارض مقعدا ولا في السماء مصعدا . وتلك هي سنة الله في خلقه التي ترشد اليها الآية الكريمة : « فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او تصيبهم عذاب اليم » .

وقد عالج الاسلام طلائع هذا الضعف الذي تختلف عوامله واسبابه في الانسان فسقى غرس هذه العقيدة الاسلامية — لكي يظل قويا في النفوس — بماء العبادة بمختلف صورها واشكالها لتذكره بقوة ربه وتنقذه من غواية نفسه وليكون دائما في الاتجاه المناسب لاستقبال المهمة التي اناطها به خالقه .

تلك العبادة التي كل شعبة منها تخدم جانبا خاصا من جوانب النفس الانسانية التي تجرى فيها الاسلام خدمتها جميعا وتغطيتها جميعا على طريقة كلها قوة وكلها انصاف وكلها اضطلاع بالتوفيق بين طبائعها كلها في غير افراط ولا تفريط ؛ فمنها ما يخدم النفس في تقوية احساسها وتغذية شعورها . ومنها ما يخدم السلوك العملي في تنظيم غرائزه وضبط عواطفه وتامينه من التميع والفساد . ومنها ما يخدم الروح في تصفية جهودها وترويضها على الخير . ومنها ما يخدم الارتباطات العامة بين المجموعة البشرية في تنسيقها وفي تزويدها وفي تقوية انتساب الفرد اليها .

وهذه الشعب كل واحدة جديرة بان تصادف من جهود المسلمين ومن خبراتهم ومن اذواقهم واهتماماتهم عناية كبرى ينزلون بها الى طريقة الاسلام في تحليلاته وتفسيراته وفي فهمه للاشياء وحكمه عليها .

وجدير بمثل هذه العناية وهذا الاقبال اذا اسرع الناس اليه — ان يقطع كل طريق في وجه من يريد ان ينحرف بمجهود الاسلام او يزيف تعاليمه او يفسرها تفسيرا تضيق عنه مفاهيمه او يتاجر به وبقيمه او يستخدم جهودا خائنة او خاطئة للتاثير على نفسه وعلى الناس . كما يقطع الطريق عن افهامهم السطحية لدينهم

التي تنزلهم بالمكان الذين لايحمدون عليه . والتي قد تفضي بهم الى ان يستعينوا بدوافع التعبير عن دينهم من مجتمع آخر له عقائده وله اوضاعه الخاصة .

عند هذه القوة الطبيعية للعقيدة الاسلامية ولشريعة الله تقف الحدود الفاصلة بين دين ودين ومجتمع ومجتمع . وكان شعار المسلم يتمثل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف) .

فما هي مواطن هذه القوة . والى اي حد تقف ؟

المومن قوي بعقيدته . قوي بصورته المسلمة التي تدافع عن دائرتها . قوي بتحقيق معنى انتسابه الى جماعته التي يعيش معها . قوي بتفتح شخصيته الانسانية . قوي بقدرته على استقبال ضروب الكفاح امام شبح الخوف . وامام شبح المجهول . وامام قوى اخرى غير جديرة بالتقديس . وامام أدوات التغرير بالمسلمين . والتلويح لهم بالشعارات . قوي امام قوة « الانحراف » السائدة التي اصبحت شعار العصر ، وشعار الحرية ، وشعار التطور . قوي باحساسه الشريف وعمله النظيف . وحركته الملتهبة . ونشاطه المتزايد . وروحه اليقظة من اجل رفع مستوى امته وتوطيد دعائم عزها وتحقيق آمالها والانتصار لها . قوي – اخيرا – باعتصامه بحبل الله وبشريعته التي تضبط سيره وتخط له طريقه . وتنتهي به الى ربط مصلحته بمصلحة الآخرين .

فاذا ما بلغت قوة المسلم مقامها المعلوم وحظها المقسوم من عقيدة الله ومن شريعته فسيساق لها كسب كبير يستطيع معه ان يتحكم في تصريف الارتباطات الانسانية والسير بها الى آفاقها البعيدة بعد ان يتحكم في نفسه .

وعند ما تقف هذه القوة وتضعف الاستجابة . فمن غير شك انه تنبت طفيليات وحشائش فاسدة تغير مجرى تاريخ المسلمين . ومجرى حياتهم التي اضاعوها .

ولنذكر في هذا الموضوع قول الله الكريم : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » . والسلام عليكم ورحمة الله .

فاس : محمد العيساوي



الصّوفيّة وطرقها في الإسلام

للأستاذ : عبد الله الجراري

نتج هذا الموضوع عن حديث جرى بيني وبين الاستاذ الاخ الحاج المكي بن مسعود طردانو فحرر فيه ما حضر من معلومات – أحببت اليوم ان ازفه لقراء الدعوة .

ان ظهور النزعة الصوفية كان آخر ايام الدولة الاموية على يد الحسن البصري في البصرة ، ثم في العهد العباسي على يد جابر بن حيان الكمياني الشيعي وأبي العتاهية في الكوفة . واستعار هؤلاء من رهبان النصارى ارديتهم الصوفية البيضاء ، ومن اجل ذلك سموا – بالصوفية – وعلى راس هؤلاء المحاسبي المولود بالبصرة ، والمنتقل بعد الى بغداد . ومما ادت اليه النزعة الصوفية – نظرية الحلول ، ووحدة الوجود ، والكشف ، والتجلي والتصرف ، والفيض الذي افاض الكلام عنه المعلم الاول – ارسطو – وتلك اشياء مستمدة من الافلاطونية الحديثة والبوذية والاسماعيلية الباطنية ، والرافضة وغيرها .

وكان من نشأة الوحدة ان اعتنقها جماعة – كالحلاج وابن الفارض ، وابن عربي الحاتمي ، وجلال الدين الرومي صاحب ديوان المنسفى المشتمل على نحو 27 000 الف بيت ، وفي منتصف القرن الثالث نشأت الطريقة السقطية نسبة الى السرى السقطي ، والجندية نسبة الى الجنيد الامام السالك الذي بنى طريقته على الكتاب والسنة ، وكم له من مقالات وكلمات حول السلوك السلفي الصادق الذي لا يذر شكا في قوة صوفيته الروحية الحق .

ثم نشأت بعد طرق صوفية كثيرة في القرنين – 6 – 7 اهمها القادرية نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلي حامل راية المذهب الحنبلي . والرفاعية نسبة الى احمد الرفاعي ، والشاذلية نسبة الى ابى الحسن الشاذلي المغربي الخمسي اليفرحي تلميذ الشيخ عبد السلام بن مشيش ، والاحمدية نسبة الى احمد البدوي . نعم كان لهذه الطرق سلوك فيه القليل من الاتزان والآخر يفيض سفها وشططا . والذي تميل اليه النفس ويتسم بصبغة المعقولية والمنطق ، ان السياسة والسياسة بالذات هي التي كانت تدور في افلاك تلك الاجواء القاتمة وكانت السبب الجوهري في قتل الحلاج – لا الدين ، لان امره كان قد صار من القوة بحيث يخشى شانه ، وكان له دعاة قد انتشروا في البلاد يدعون الى الرضا بآل محمد ، وهذا هو الذي اقام المقتدر ووزيره حامد بن العباس على الحلاج .

اذ كانت السياسة قد طغت على الدين في هذا العصر فوصلت بها ماساة الحلاج الى ذلك الحد ، وجاء حكمها في هذه الدرجة من القسوة .

ولما قتل فر اتباعه الى خراسان حيث ظهر فيما بعد الشعر الصوفي الفارسي والتركي ، وعلى راس هؤلاء جلال الدين الرومي الذي وضع كتاب «المثنوي» على نظرية الحلاج في وحدة الوجود ، وكان السهروردي المقتول بامر صلاح الدين الايوبي من هذا القبيل وايا كان الحال فقد تحدث صاحب كتاب « الوكيلي » عن الصوفية وما ادخلته من خرافات ، وضمنه من افكار فاسدة ، ومن هنا يتضح ان الصوفية بالمعنى الكامل والذي تطمئن اليه النفس ويمكن ان يجري كعقيدة في صلاحها هو شيء نادر يتحقق في افراد من الندرة في الوجود بالمكان ، والذي لا يدع شكا في النفس ان طرق الصوفية وزواياهم بدعة في الاسلام .

ففي القرون الثلاثة الاولى من الاسلام لم يحدث شيء من ذلك الا ما نقل عن عالم المدينة مالك ابن انس حين سئل عن قوم يجتمعون في مكان يذكرون فيه ويرقصون ، فأجاب بما معناه : ان عملهم بدعة يجب تاديبهم عليه ، وقال كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ، كما صرح به الحديث الصحيح : « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » وكان كثيرا ما ينشد :

« وخير امور الدين ما كان سنة
وشر الامور المحدثات البدائع »

ولم يثبت تاريخا عن احد من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين واتباعهم بعد — ان احدا انتصب في بيت بناه لنفسه ، وزعم انه شيخ يلقن اورادا ابتكرها هادفا بذلك الى جمع الناس عليه ، وتأسيس فروع من الزوايا في عدة نواحي تابعة لمركزه ثم لا يعتم يدخل بعض الحلقات راقصا وسط اتباعه على الطبل والمزمار ، والاحداث يشدون ويغنون وهم في نشوة داعين ذلك بالحضرة .

واثناء القرن الرابع ايام الجنيد وعصر الحلاج — اختمرت فكرة التصوف واصبح هذا الاخير يؤلف كتبا تتصادم في بعض نقطها والشريعة ، وشايعه على الفكرة جماعة من ابناء بغداد وشيعتها شيء اشعر الخليفة العباسي ووزيره بالحالة كما اشير لذلك آنفا — ان الحلاج يقوم بتأسيس حزب سري — ذلك ما حفز الخليفة لعقد اجتماع ضم علية العلماء للنظر في المشكل ، والافتاء بما يقتضيه روح التشريع الاسلامي فكانت النتيجة بعد البحث — التكفير ، وقرارا من المؤامرة والتشويش على الدولة — نفذ فيه الاعدام — راجع كتاب « الحلاج » لما سينيون ، وكتاب الحلاج لطه عبد الباقي سرور .

ولم تظهر بعد ذلك طريقة بالمعنى الكامل الا الطريقة الجيلانية القادرية — فان الشيخ المولى عبد القادر الجيلي كان احد كبار علماء الحنابلة ، وكان واعظا ومؤلفا ، وطبع من مؤلفاته القنية ، ومجالس وعظه ، وقد ترك عدة اولاد قاموا بتنظيم طريقته ونشرها ، كما يعلم ذلك من البداية والنهاية لابن كثير وطريقته منتشرة في العالم الاسلامي ، وتوجد في افريقيا السوداء والذي نشرها — هم انصار الشيخ المختار الكنتي ، ويسمى تابعها مريدا .

اما في المغرب : فاعظم طريق ظهر فيه هي الطريقة الشاذلية لابي الحسن الغماري الحسني الشاذلي تلميذ المولى عبد السلام بن مشيش ، وقبل هذا اسس العالم المجاهد عبد الله بن ياسين الجزولي رباطا وقام مع اتباعه بالجهاد ضد كفار بلغواطة ودعوا بالمرابطين لاجتماعهم بهذه الرابطة ، وبعد موته اقتسم السلطة في اتباعه — ابو بكر بن عمر اللمتوني ، فجاز جنوب المغرب من سوس الى الصحراء الكبرى وبلاد غانة في السودان ، وعلى يده انتشر الاسلام ، وذلك بصفته اميرا على قبيلته صنهاجة ومسوفة ولمتونة الذين منهم يوسف بن تاشفين الذي صار بعد ذلك ملكا على المغرب الى الجزائر ثم الاندلس .

ثم بعد ذلك جاء المهدي بن تومرت متسترا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجمع حوله الجموع في زاويته في تنملل « قبيلة كنداقة » وكان يرافقه عبد المؤمن احد اتباعه العشرة ، وهجموا على الدولة الفتية السلفية حيث ضاع اثناءه آلاف المسلمين قرب جبل جليز بمراكش ، وذلك في سبيل السيطرة على الحكم ، وقد اضطر السلطان علي بن يوسف ان يدخل جيشه الكبير الذي كان يدافع عن المسلمين في الاندلس لمقاومة الثورة التي نشأت ضده في مراكش ، ولولا ذلك لانتصر المسلمون ، وقضوا على البقية الباقية من فلول الاسبان .

وقد كانت طريقة الموحدين حزبا منظما متسترا باسم الدين ، وله عقيدته الخاصة به — كالقول بالعصمة للامام ، ونظام الطبقات ، فكان بهذا المعنى حزبا عنصريا لا يعتمد الا على قبائل الموحدين من المصامدة وغيرهم .

هذا ما حفز الخليفة عبد المؤمن لتربية التلاميذ وتنشئتهم على ذلك في عدة مراكز داخل عاصمته كاكدال والمنارة وغيرها .

ومن طالع كتاب المن بالامامة لابن صاحب الصلاة يعلم ذلك ، فانت ترى ان هاتين الدولتين نشأتا على الربط والزوايا .

وفي هذا الظرف بالتقريب نشأت زاوية آل امغار في مدينة تيط . ولها اتباع وانصار ومريدون كما يعلم ذلك من كتاب التشوف للتادلي — ومن فروعها زاوية ابي محمد صالح برباط آسفي — راجع المنهاج الواضح

وبعد ذلك نشأت الطريقة الشاذلية فى مصر وقام بنشرها الائمة كالمرسي وتلميذيه البوصيري ، وابن عطاء الله – ومن الائمة البارزين فى نشرها بالمغرب الولي الصالح سيد محمد بن سليمان الجزولي ، وعنه اخذ سيدي عبد العزيز الحرار ، ثم سيدي عبد الله الغزواني ، وبعد ذلك نشأت طرق متفرعة عن الشاذلية – كالزروقية والعيساوية ، والجزولية والغزوانية ، وطريقة بوعمرو القسطلي بمراكش ، وطريقة سيدي محمد الشرقي ، والطريقة المباركية لصاحبها سيدي محمد بن مبارك الزعري ، والطريقة الدلائية لصاحبها ابي بكر الدلائي المجاطي – راجع دوحة الناشر لابن عسكر ، وممتع الاسماع ، ومرآة المحاسن وهما للفاسي ، وذلك ايام السعديين .

دولة الاشراف السعديين : هذه الدولة انما نشأت فى زاوية من زوايا سوس – وبعد ذلك سيطر محمد القائم السعدي على الحكم فى المغرب بعد ما قاوم البرتغال فى حصن فونتي . اكدير ، لهذا كان عدد من الملوك السعديين يقاوم الطرق واهل الزوايا خوفا من السيطرة التي بواسطتها توصلوا للحكم ، وعند ما قامت الفتنة على زيدان السعدي من طرف ابى محلي لم ينصره الا شيخ طريقة اذ ذاك هو يحيى ابن عبد المنعم الحاحي الذي جاء بالآلاف من انصاره وتصره فى المعركة قرب مراكش ، واخيرا طمع فى الملك ، وكان بين الطرفين مراسلات توجد فى كتاب الاستقصاء للناصري ونشر المثاني فى ترجمة السيد الحاحي يناشده فيها ملك الوقت ، انما جاء لنصرته وبيعته فى عنقه ، وغايته شريفة ، لا الحكم الى ان رجع الى بلده حاحة بعد ذلك .

فانت ترى ان هذا السيد الجليل طمع فى الملك وابو محلى السجلماسي الذي فتح عليه ، وادعى المهدوية وصار له انصار – له تآليف منها 1) منجنيق الصخور فى الرد على اهل الفجور ، 2) الاصليت الخريت – كان شيخ طريقة ، واخيرا طمع فى الملك ، فاحتل مدينة مراكش وقام على السلطة الشرعية ، ومات فى اول المعركة باول رصاصة وفرقت جموعه حتى قالوا فيه: قام طيشا، ومات كبشا : 1019–1022 وبعض ملوك السعديين اراد القبض على مولاي ابراهيم الامغاري غير انه فر الى بلاد سكتانة متحصنا بجبالها – راجع السعادة الابدية لابن الموقت .

والزاوية الدلائية العظيمة التي كان لها مركزها الاشعاعي فى الثقافة كانت بدايتها الشريفة نشر العلم بيد انها انقلبت اخيرا ، وسيطرت على ما يقرب من نصف البلاد المغربية بزعامة محمد بن ابى بكر الى ان قاومهم المولى الرشيد وقضى عليهم .

وما هذا الشريف الا سيد نشأ فى زاوية جده المولى علي الشريف المجاهد الذي عرض عليه الملك فى غرناطة ورفضه ، كما ذكر ذلك اكنسوس فى جيشه العرمرم ، ولذلك كان المولى الرشيد واخوه المولى اسماعيل يقاومان شيوخ الطرق خوفا من اطماعهم في الحكم ، من ذلك ما وقع له مع الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي دفين تادلة – راجع « فتح الرحمن فى مناقب سيدي علي بن عبد الرحمن » وتوجد ترجمته فى صفوة من انتشر لليفرني .

ثم بعد هذا تكونت عدة طرق متفرعة عن الاصل الشاذلي – منها الطريقة الوزانية الطيبية التهامية ، والطريقة الحمدوشية ، والتجانية ، غير انها فى الاخير انفصلت عنها ، وزعم صاحبها انها مستقلة بنفسها ، ثم الطريقة الدرقاوية ، والطريقة الشرادية . وقد تفرعت عن الدرقاوية عدة فروع ، كل شيخ منها نسبت الطريقة اليه – فمنها طريقة مولاي العربي ، والطريقة الحراقية ، والطريقة الصديقية ، وهؤلاء بالشمال المغربي ، والطريقة الفتحية البنانية ، والطريقة الحدادية بالرباط ، والطريقة الالقية بسوس .

وقد كان الملوك العلويون حذيرين من شيوخ الزوايا – فهذا المولى سليمان العلوي عند ما تولى الملك قاومهم ومنعهم من التجمع داخل المساجد ، وانشأ خطبة خطب بها فى الناس ، وبين فيها المناكر التي يقوم بها شيوخ الزوايا ، وتوجد بنصها فى الترجمانة الكبرى للزياني .

وهذا المولى عبد الرحمن قد هجم على زاوية الشرادي بناحية مراكش ، لما طمع شيخها فى الملك ، وقضى فيها على هذا الفتان ، ثم ان مولاي العربي لما دخل انصاره فى شؤون الجزائر وكتب بعض اتباعه من تلمسان لمولاي سليمان بالبيعة وارادوا الانفصال عن الاتراك وساءت العلاقات مع جيراننا — ارسل السلطان وفدا برئاسة السيد بادو — (*) ولما بحثوا عن الحقيقة ودرسوا ذلك فى عين المكان تبين لهم ان الشعب الجزائري لم يطلب ذلك ، وانما بعض انصار الطائفة الدرقاوية قاموا بذلك ، فقبض السلطان على الشيخ وبعض اتباعه ، الى ان توفى وبقي الشيخ فى السجن ثم اطلق سراحه بعد من طرف المولى عبد الرحمن .

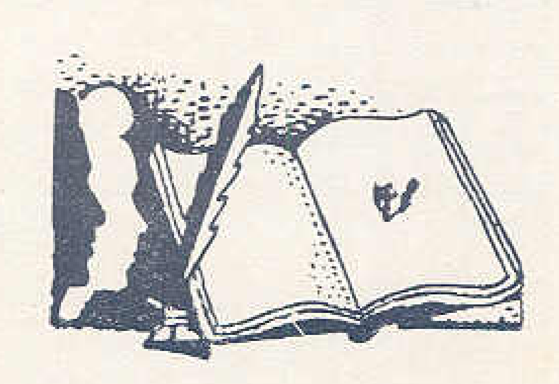
ومن خلال هذا العرض نستطيع ان نتبين طمع هؤلاء الشيوخ فى الاستيلاء على الحكم . **اما الطريقة النظيفة التي كان ولاة الامر يحترمونها — فهي** الناصرية

(*) راجع البيان المعرب عن دول المشرق والمغرب

بتامكروت ، لان غايتها كانت نشر العلم والسنة ، وليس لاتباعها اي تجمع فى الطرقات ولا يرقصون ، بخلاف التجانيين فقد كانوا يرقصون فى زواياهم الى ان كتب لهم اخيرا الشيخ العربي بن السائح العمري فى منع ذلك .

والطريقة السنوسية — كانت غايتها نشر العلم وبث الدعوة الاسلامية ، وقامت بالجهاد عند احتلال الطليان لبرقة ، وعلى راسها المجاهد عمر المختار . واخيرا انتقلت من الطور الروحي الى الدور السياسي، واصبحت دولة تكافح وتنافح الى ان حققت النصر واستقلت آخر سنة 1952 م .

الرباط : عبد الله الجراري



العناصر القرآنية في قصيدة قفا نبك

للأستاذ: محمد بن تاويت

نريد فى هذا المقال أن ندل على قضية طالما كانت مثار النزاع بين معسكرين ؛ معسكر المؤمنين بكل ما يلقى ، ومعسكر الشاكين فى كل ما يلقى .

والواقع اننا لسنا من اولئك ولا هؤلاء ، ولكن موقفنا موقف وسط ؛ نشك الى ان نومن ونومن الى ان نشك ، ورائدنا فى ذلك التفكير والاستيناس ، ثم الاخلاص لما نشعر أنه حق فنظهره ، ولما نشعر أنه باطل فلا نستره .

وقضيتنا هذه ما هي الا جزئية من تلك الكلية الكبرى ، التي كانت مبدأ الثورة فى الدراسات الادبية عامة ، وللشعر الجاهلي بصفة خاصة ، حمل لواءها عميد الادب العربي ، أستاذنا الدكتور طه ، وتركت دعوتها (فى الدنيا دويا) كان منه هذه الملاحظة التي اهتدينا اليها ، والتي سنثبتها فى هذه الكلمات .

ونعني بعنواننا السابق ، أننا نجد فى قصيدة امرىء القيس « قفانبك » ، ابياتا وردت فيها الفاظ لغوية وتعبيرات ، قصد بها ان يستدل على تفسير لمعنى غمض على الناس فى القرآن ، او استعمال غريب ، ونحو ذلك مما وقف عليه الناس ثم ادعي انه قد سبق به القرآن ، حتى يطمان الى ذلك التفسير او هذا الاستعمال ، اطمئنانا تاما

واذ كان امرؤ القيس من اولئك الشعراء الذين اذعن القدامى الى عظمتهم ، فلا محالة ان ينال شعره الحظ الاوفى من هذه الشواهد التي خلقت ثم اختلقت على امرىء القيس ، فكانت قصيدتاه « الاعم صباحا » و « قفانبك » متقبلتين لها قبولا حسنا فى بعض الاحيان وغير حسن فى أحيان اخرى .

والفكرة ـ كما يبدو ـ لم تكن هادفة الى تحقيق الاستعمال ، وانما كانت تهدف الى تحقيق الدعوى التي ادعيت فى تفسير ما تنوزع فيه او توقع انه سيتنازع فيه ، والا فالقرآن لم يكن فى حاجة الى الاستشهاد على استعمالاته بشعر جاهلي او غير جاهلي ، اللهم الا ان كانت هناك نية خبيثة تريد انترمي القرآن باتهام غبي ، كما فعل ذلك اغبياء الاستشراق ، فيقال ان استعمالاته مسبوق بها ، فتكون النتيجة الحكم عليه بما يحكم به على غيره من السرقات ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . . .

نقول بان الابيات انتحلت ليستدل بها ، ولسنا فى هذا مدفوعين بدافع ديني محض ، وانما نقول هذا وقد ادركنا اصالة الاستعمال القرآني ، وقلق الاستعمال « المرئي » او الذي ادعى انه مرئي ، ان أردنا الحق والحقيقة معا .

فلنساير ابيات هذه القصيدة ، وليكن مبدأ سيرنا من هذا البيت :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فنجد انه بيت غريب عما سبقه ، لا يربطه به الا رباط تكلف له الناس ، فتاهوا فى تكلفهم هذا ، وكان منهم الزوزني وغيره من شراح المعلقة جعلوا وقوفا مصدرا ، محاولين ربطه بقفا اول القصيدة ، ثم ارتبكوا فى البيت ارتباكا عظيما .

والمسالة ان البيت وضع هكذا فى القصيدة دخيلا عليها ، وان وقوفا ليس مصدرا ، وانما هو جمع

واقف ، حال مقدم وجاز تقديمه لانه منصوب بفعـل مصرف ، كما يقول ابن مالك :

والحـال ان ينصـب بفعـل صرفـا
او صفـة اشبهـت المصرفـا

فجائـز تقديمـه كمسرعـا
ذا راحـل ومخلصا زيد دعـا

« مخلصا زيد دعا » هو « وقوفا ، صحبي ، يقولون » غير ان المضارع هنا له اهمية خاصة ، اذ لولا المضارعة ، لما صح « لوقوفا » أن تعمل عمل فعلها ، زيادة على كونها حالا ، والحال وصف ، كما يقول ابن مالك ايضا . والى هذين الشرطين فى العمل يشير بقولـه :

كفعلـه اسـم فاعـل فـي العمـل
ان كـان عـن مضيـه بمعـزل

وولـي استفهاما او حـرف نـدا
او نفيـا او جاءت صفـة أو مسنـدا

والمطلوب من « وقوفا » هو ان الوقوف متعد ، وان مفعوله هنا هو « مطيهم » ، وهذه التعدية هـي الواردة فى قوله تعالى : « وقفوهم انهـم مسؤولـون » وقوله « ولوترى اذ وقفوا على النار ــ بالبناء للمجهول ــ وقوله : ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ــ كذلك ــ وقوله: ولو ترى اذ الظالمون موقوفون » .

وننتقل الى البيت بعده :

وان شفائـي عبـرة مهراقـة
فهل عنـد رسـم دارس من معـول

فالمقصود من هذا البيت هو شطره الثاني ، الذي اتوا به للاستدلال على زيادة من فى نحو قولـه تعالى : هل من خالق غير الله ، هل من مزيد ، هل من محيص ، فهل من مذكر ، هل عندكم من علم » ؛ ومـا اشبه هذا من نفي فى نحو قوله ؛ ما لكم من اله غيره ، وما لهم من دونه من وال ، وما لهم من الله من واق ، وما لكم علينا من فضل ، وما مسنا من لغوب ، ما اتـى الذين من قبلهم من رسول ، ما اريد منهم من رزق ، ما له من دافع ، ما انزل الله بها من سلطان ، ما املك لكم من الله من شيء ، ما استطاعوا من قيام ، ما لهم من الله من عاصم ، ما اتخذ الله من ولد ، ليس لهم من ولي ولا نصير ، ما كان لي عليكم من سلطان ، وما تسألهـم عليه من اجر ، وغير هذه من عشرات الامثلة التـي نجدها فى القرآن .

وانما جمعنا بين هل الاستفهامية وبين النفي ، لان الاستفهام بها انكاري ، وهو اخو النفـي ، بـل ان الاستفهام مطلقا مثل النهي والنفي فى هذا ولذلك جمع بينها ابن مالك فقال :

وزيـد فـي نفـي وشبهه فجـر
نكـرة كمـا لبـاغ مـن مفـر

وبعد هذا ننتقل الى هذه الابيات :

ويـوم عقـرت للعـذارى مطيتـي
فيا عجبـا من كورهـا المتحمـل

ويوم دخلـت الخـدر خـدر عنيـزة
فقالـت لـك الويـلات انك مرجلـي

ويومـا على ظهـر الكثيـب تعـذرت
علـي وآلـت حلفـة لـم تحلـل

فالمقصود من الابيات شطورها الاولى ، التـي اتى بها ليحمل عليها نحو قوله تعالى : ويوم يحشرهم ، ويوم يرون الملائكة ، ويوم تشقق السماء ، ويوم يعض الظالم ، ويوم يقول كن فيكون ، ويوم نبعث من كل امة شهيدا ، ويوم نسير الجبال ،ويوم يقول نادوا شركائي، الى غير ذلك من عشرات امثالهـا ، مما حذف فيـه الفعل وفاعله ، فوجدنا المفسرين يقدرون « واذكـر يا محمد » اما قوله : « حلفة لم تحلل » فلا يحتاج الى تنبيه للانتحال فيه . . .

ويلي هذا الابيات الثلاثة :

افاطم مهـلا بعـض هـذا التدلـل
وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملـي

وان كنت قد ساءتـك منـي خليقـة
فسلـي ثيابـي من ثيابـك تنسلـي

اغـرك منـي أن حبـك قاتلـي
وانك مهمـا تامـري القلـب يفعـل

اني ارى المنتحل هنا ، يتلو سورة « المزمل » فينظم البيت الاول ، وينتقل الى سورة « المدثر » ، فينظم البيت الثاني ، فاذا ما انتهى الى سورة « الانفطار » اراه ينظم الثالث ، والى القارىء البيان :

تلى قوله تعالى : « واهجرهم هجرا جميلا » ، فقال : وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي ، واتى « بفاطم » وما بعدها ، لتكون كرسيا لهذا الشطر ، وتلى قوله تعالى : « وثيابك فطهر » ، فقال : فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ، وكرس لهذا بالشطر الاول ، وان كنت قد ساءتك مني خليقة .

وتلى قوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » ، فقال :

اغرك مني ان حبك قاتلي
وانك مهما تامري القلب يفعلي

فافصح عن هذا الكرم ، الذي قال بمثله المفسرون ، مدعين انه قد لقن في قوله « الكريم » حتى يجيب هذا الانسان بقوله « غرني كرمك » .

وعبر عن هذا الكرم شاعرنا فقال : « وانك مهما تامري القلب يفعلي » اما المعطوف عليه « ان حبك قاتلي » فاتى بي كرسيا لهذا المعطوف المقصود .. وقد اتعب الشراح انفسهم في التنسيق بين هذا البيت وبين ما قبله ، فذهبوا في ذلك مذاهب .

غير ان الواقع هو ما رأينا ، وانه لا علاقة له بقصيدة هذا الامير ، ان كانت له قصيدة ، كما ان قوله : افاطم مهلا بعض هذا التدلل ، لا علاقة له بما قبله ، ولا بما بعده ، الذي قصد لذاته كما رأينا ، ليفسر لنا « الهجر الجميل » .

ونحو هذا نقوله فيما بين شطري : وان كنت قد ساءتك مني خليقة ، اذ المقصود الشطر الثاني استدلالا على ان المراد بالثياب في الآية «وثيابك فطهر» انما هو النفس .

وهنا نتساءل : لما ذا فسر المفسرون الثياب هنا بالنفس ؟

والجواب انهم رأوا في هذا الوصل البلاغي ، ان تكون النفس فيه اوفى من الثياب على الحقيقة ذلك لانه لا انسجام يتراءى لنا بين تكبير الله وبين تطهير الثياب ، فبينهما من البعد ما بين قوله :

لا والذي هو عالم ان النوى
صبر وان ابا الحسين كريم

زيادة على كون أمر الله لنبيه بتطهير الثياب فيه ما فيه

ولكن الا يقال ان المراد بتكبير الله هو الصلاة ، فيكون الامر بتطهير الثياب ملائما لذلك ، على ان الامر للدوام ، كما هو في قوله تعالى : « يا أيها النبيء اتق الله » ، اي دم على تقواك .

ثم ننتقل الى قوله :

تصد وتبدى عن اسيل وتتقي
بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
اذا هي نصته ولا بمعطل

تسلت عمايات الرجال عن الهوى
وليس فؤادي عن هواك بمنسل

الا ايها الليل الطويل الا انجلي
بصبح وما الاصباح منك بامثل

الى قوله :

فلبع اذا استدبرته سد فرجه
بضاف فويق الارض ليس باعزل

هذه الابيات كلها واردة للاستشهاد على زيادة حروف بعينها وردت في القرآن ؛ فالاول منها للاستشهاد على نحو قوله تعالى : وكشفت عن ساقها ؛ وقوله : يوم يكشف عن ساق . ولهذا فالمقصود من البيت انما هو « تبدى عن اسيل »

وأما البيت الثاني والخامس ، فشاهدان على نحو قوله تعالى : وليس البر بان تاتوا البيوت ، وان الله ليس بظلام للعبيد ، اليس هذا بالحق ، اليس الله باعلم بالشاكرين ، ليس بخارج منها ، اليس الصبح بقريب ؛ او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين ، او ليس الذي خلق السماوات والارض بقادر ، اليس الله بكاف عبده ، اليس الله بعزيز ذي انتقام ، فليس بمعجز في الارض ، وليس بضارهم شيئا ، اليس ذلك

بقادر على ان يحيي الموتى ، اليس الله باحكم الحاكمين، الى غير ما من امثلة اخرى فى القرآن .

واما البيت الثالث والرابع ، فيشهدان لنحو قوله تعالى : وما الله بغافل عما يعملون ، وما انت بمسمع من فى القبور ، وما أنت بهادي العمي ، وما ربك بظلام للعبيد ، وما هم منها بمخرجين ، وما انتم بمعجزي ، وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي ، ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، وما انت عليهم بجبار ، وما انت بمومن لنا ، وما هو ببالغه ، وما قوم لوط منكم ببعيد ، الى غير هذه من امثلة كثيرة ، واردة بهذه الزيادة ورود سابقتها ، مما جعل النحاة ينصون على ذلك بنحو قول الالفية : وبعد ما وليس جر البا خبر »

ونعود الى هذا البيت :

الى مثلها برنو الحليم صبابة
اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

لنجد المقصود منه قول « مثلها » حتى يحمل عليه قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » قالوا فى التوحيد والبلاغة ، ان العرب تقول مثلك يعطى ويمنع وتريد انت تعطي وتمنع ، فكان المثل فى الكلام مقحمة زائدة فيه ، وهي كذلك فى البيت ، كما لا يخفى عند التمعن ، اما فى غير هذا فتقصد لذاتها وهو ما قدمه الشاعر وقوله :

فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

فهذا البيت ما اتى الا شاهدا على ان « مثل تكون مقصودة كما فى القرآن ايضا فى غير ما موضع منه . ونلاحظ ان البيت لا علاقة له بما قبله ، وفيه من السماجة ما لا يعرف فى غيره من شعر » .

ثم ننتقل الى قوله :

وليل كموج البحر ارخى سدوله
علي بانواع الهموم ليبتلي

فالمقصود منه هو «وليل كموج البحر» ليستدل به على قوله تعالى : « أو كظلمات فى بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها »

وبهذا مكن لتصوير الظلمة تمكينا عظيما ، فجمعها اولا ثم جعلها فى اعماق بحر تتلاطم امواجه فتغشاه ، وتتراكم على هذه الامواج سحب ، فتكون بذلك ظلمات بعضها فوق بعض ، بحيث ان الانسان اذا اخرج يده يكاد ان لا يراها .

اما الناظم فشبه الليل بموج البحر وترك لوجه الشبه مجالا لا يمكن حده الا بالآية الكريمة الصريحة فى هذه الظلمة ، ولم يكفه هذا بل سرعان ما انتقل الى صورة اخرى فى هذه الاستعارة المفاجئة فى قوله : « ارخى سدوله » ، فكان هناك نوع من القفز يدل على صنعة متكلفة .

وهذا بيت آخر ننتقل اليه لنجد فيه هذا التكلف فى الصنعة وهو :

فالحقنا بالهاديات ودونه
جواحرها فى صرة لم تزيل

فالقصد منه قوله « فى صرة » ليبين معناها في قوله تعالى « فاقبلت امراته فى صرة » ولكنه وقع فيه من الغموض ما وقع فى قوله « كموج البحر » فعلى حين نجد « فى صرة » تمكنا من موقعها فى القرآن تمكنا عظيما ، نجدها فى البيت قلقة قلقا عظيما ، مما اضطر الشاعر الى زيادة « لم تزيل » حتى يمكن لها ، ولكنه لم يستطع ، فظل الشراح فى نصب يمهدون ويرصفون ليمكنوا بكل وسيلة ، فبان عليهم التكلف .

وعلى كل فنحن لم نرد أن نقارن بين الصور ، لنحكم على هذه بالجمال وتلك بغيره ، وانما اردنا ان ندرك الجمال الطبيعي فى هذه ، لانه اصل فيها ، والجمال الصناعي المتكلف ، لانه مجلوب لها وليس اصلا فى حقيقتها .

ونتصل بهذين البيتين .

اصاح ترى برقا اريك وميضه
كلمع اليدين فى حبي مكلل

يضيء سناه او مصابيح راهب
امال السليط بالذبال المفتل

فنجدهما قد وردتا لقوله تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » فقال الشاعر : (برقا ،، يضيء سناه) قالوا ان السنا بمعنى الضوء فى الحبشية . فلعل الناظم

كان من اتباع ابي عبيدة الذي ينكر وجود المعرب في القرآن ، فاستشهد على ان السنا عربي بما انتحله لامرىء القيس ، وما درى ان هذا لا ينفعه . . .

ولعل في قوله امال السليط بالذبال المفتل ، اشارة الى قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » ، فحصل له من الغموض والقصور ما تقدم عنه .

ولعل قوله كلمع اليدين في حبي مكلل ، استوحاه من قوله تعالى : « اذا اخرج يده لم يكد يراها » بحكم التداعي الذي بين الضدين كما هو معلوم .

واخيرا ننتهي الى هذا البيت :

فبات عليه سرجه ولجامه
وبات بعيني قائما غير مرسل

فالمقصود بالذات من هذا البيت ، هو قوله « وبات بعيني قائما » حيث انه يريد ان يفهم استعمال « بعيني » اولا في نحو قوله تعالى : « واصنع الفلك باعيننا ووحينا » وقوله : « تجري بأعيننا » وقوله : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الى غير هذه الامثلة الواردة في القرآن ورودا بينا واضحا للافهام ، على عكس ورودها في البيت ، ففيه غموض لا ادري أهو متكلف أم هو عجز من الناظم واعياء بدا عليه منذ الحقه « بالهاديات » فرسه الى ان « بات » بعينه كما رأينا ، فلعل هذا الاعياء ادرك هذا الفرس بعد ذلك العداء « بين ثور ونعجة » ، كما ادرك راكبه هذا الناظم المكدي في شعره ، ولكنه بالرغم من هذا الاعياء ، لم يستسلم الى نومه بل بات يراقب فرسه ويرعاه بعينه ولم يرسله لينتقل من هنا الى هناك ، وانما قيده عن ذلك فهو قائم في مكانه ، وهذه صورة ثانية تسلمنا الى قوله تعالى : « يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا » فمعنى قاموا توقفوا عن سيرهم ، لانهم كانوا ماشين في ضوء البرق، فلما اظلم عليهم كفوا عن مشيهم ووقفوا ، لا انهم نهضوا فقاموا ، لانهم لم يكونوا جالسين حتى يقوموا بهذا المعنى المتعارف عندنا ، فكان هذا اتى بعد استعمال وقف متعديا ، كما في القرآن ، او للقرآن كما قلنا ، ثم اتى بتفسير الوقوف اللازم ، الذي يستعمل فيه القيام ، كما في القرآن ، ففسر هنا بقوله : « قائما غير مرسل » فغير مرسل وردت لتبيين هذا المعنى ، وانه غير ماش لزوما من كونه غير مرسل .

هذه امثلة استقراناها في هذه القصيدة ، دالة على الانتحال فيها دلالة قوية لكل من راجع ادراكه الفني واستفتى محصوله الادبي والسلام .

تطوان : محمد بن تاويت





أبو فراس الحمداني

للأستاذ سامي الكيالي

... في تاريخ البشرية احداث وتيارات ومعارك وقصص واساطير بطولية تظل ، مهما تقادم عليها الزمن ، ذات اثر بارز في عظة مدلولها وعمق مغزاها ، يفيد منها الافراد المغامرون الذين يلعبون دورهم البطولي على مسرح الحياة ، كما تفيد منها الشعوب الحية التي تناضل في سبيل حريتها وسيادتها وكرامتها الانسانية.

وتظل هذه الاحداث بارزة الأثر في ذاكرة الاجيال، حقبة بعد حقبة ، وجيلا بعد جيل ، لايخمد أوار نارها. ولا ينطفيء لهيبها ، بل تظل ملتمعة في الافق ، تضيء للمناضلين في سبيل حرية اقوامهم ــ صوى الطريق .

وكما عرفت ارض كل وطن ابطالا دافعوا عن بلادهم حتى آخر نقطة من دمهم الطهور ، فقد عرفت حلب الشهباء هذه البقعة من الارض بطولات فذة يذكرها التاريخ بكثير من الزهو والفخار ، وستظل حية في ضمير الشعوب ما كر الجديدان . وما تعاقب الملوان .

نعم ، فقد جرت في هذه البقعة من الوطن العربي قبل نيف والف سنة . احداث خطيرة ذات مساس وثيق بكيان الامة العربية .

فبعد ان رفرفت الراية العربية على مناطق شاسعة من اقطار الدنيا ، وبعد ان دحر الروم والفرس من اكثر من قطر واحد . وبعد ان امتد الزحف العربي في الشرق والغرب ، بعد تلك الموجة العارمة التي حملت في اطوائها رسالة علوية الاهداف ، سامية المناهج والقيم ، والتي استطاعت في فترات غير طويلة الامد ان تصهر في « البوتقة العربية » الكثير من العناصر والشعوب ، وان تخرج من نيران هذه البوتقة ازهى واصفى واقوى وانضر حضارة عربية عرفتها البشرية.

اقول : بعد تلك الفتوحات التي جمعت دنيا العرب على هدف واحد ، وروح واحدة ، ومثل عليا واحدة كان من نتائجه ان تكونت أكبر امبراطورية عرفها العالم القديم ــ بعد تلك الوثبة الكبرى التي مكنت العرب ان يحكموا ، وان يفرضوا سلطانهم في الشرق والغرب ــ بعد تلك الفترات التي تفاعلت فيها « الحيوية العربية » تفاعلا ايجابيا بناء ــ اخذت المطامع والانانيات والعصبيات تذر قرنها ، واخذ ابناء الوطن الواحد يتقاتلون ويحتربون ، فوقعت الاضطرابات وانتشرت الدعاوات ، وخفت الصوت العربي او كاد ازاء الطغيان الاعجمي ، وسيطرت الشعوبية ذات المبادىء الهدامة سيطرة كادت تمس الكيان والعقائد ، وكانت القوى الاجنبية على التخوم وملتقى الثغور ترقب وتصفق لهذا الانحلال والتخبط ، وتنتظر الساعة الحاسمة لتضرب ضربتها القاصمة فتبسط سلطانها وتستعيد البلدان والمناطق التي افتتحها الاجداد بقوة ايمانهم وبما هرقوه من دماء .

في تلك الفترة العصيبة من حياة الخلافة الاسلامية التي اصبحت العوبة رخيصة بيد الشعوبيين من الاتراك والفرس والديلم ــ في تلك الفترة التي اتسمت بعهد الانهيار والاضمحلال والتي انقسمت خلالها امبراطوريتنا انقساما مريعا ــ وقفت اسرة عربية كريمة النجاد تصون هيبة الخلافة وتدفع عنها طغيان البيزنطي المريع ــ اريد « الاسرة الحمدانية » التي انبتت اكثر من شاعر انبههم ذكرا وابعدهم صيتا ابو فراس الذي نحتفل بذكراه الالفية ، كما انبتت اكثر من امير مغامر في طليعتهم سيف الدولة ــ الامير البطل الذي اتخذ من هذه المدينة الوادعة ــ حلب ــ مقرا لملكته ليلعب اكبر دور في تاريخ العرب السياسي وتاريخهم الفكري والقومي معا .

ولا مجال للحديث عن هذه الدولة الفتية ، وعن وقفاتها البطولية ازاء الزحف البيزنطي الرهيب ، ومحاربتها في الداخل وفي الخارج حربا لم يخمد ضرامها قط .

فقد روى التاريخ هذه القصص والاحداث بكثير من الاسهاب .

وكانت بطولات سيف الدولة ، وروحه العربية المغامرة ، وقضاؤه على الفتن الداخلية التي اثارها المتسللون في الاطراف والتي كانت تفت في عضد الوحدة القومية ، الى غزواته التي اوصلته الى ابواب استانبول ، ثم رعايته الآداب والعلوم والفنون رعاية منقطعة النظير . ان جميع هذه المكرمات والبطولات قد سطرتها الاقلام المنصفة في القديم والحديث ، وفي الشرق والغرب ، فلا نعاود الحديث عنها .

— 2 —

من الدوحة الحمدانية الكريمة النجاد نشا ابو فراس الذي كان كثير الاعتزاز باسرته والتي يصف امجادها مفاخرا :

ايها المبتغي محل بني حمدان
مهلا ! ابلغ الجوزاء
فضلوا الناس رفعة وسموا
وعلوهم تكرما ووفاء
يا مجيل الافكار فيهم ، الى كم
تتعب النفس هل تنال السماء
اسرتي ، لا اقول فخرا ، سراة
حسبهم ذاك ، مفخرا وبناء

من هذه الدوحة نشا الشاعر الفحل والامير الشجاع والشاعر الرقيق الصبا الذي كون نفسه اعظم تكوين ليلعب نفس الدور الذي لعبه ابن عمه سيف الدولة .

وفي سيرة ابي فراس الكثير من المفارقات الباهرة السنا كشاعر وبطل ومغامر ، منذ نشاته الى ان تكونت شخصيته ، الى لحاقه بابن عمه لخوض غمرات الحرب ، الى هذه الخصومات الادبية التي ثارت بينه وبين المتنبي ، ثم تعاليه وفخره واعتزازه بعروبته ، ثم اسره و «رومياته» — اريد قصائد الشوق والحنين والوجد والعتب والانين — ان كل ذلك صفحات مشرقة من حياة هذا الامير الشاعر الذي غامت حياته المواجيد والاحزان ، فكان القلق والهواجس والحب ونزعات البطولة تثيره للتعبير عن هذه الحياة بشعر نلمس في كل مقطع من مقطوعاته ، وفي كل بيت من قصائده الصدق كل الصدق .

والواقع ، ان كل فترة من فترات هذه الحياة المليئة بالاحداث والقيم ، والمسربلة بالشاعرية الملهمة تحتاج الى اكثر من دراسة وبحث ، فحسبي ، في هذه البرهة القصيرة من الزمن — الالماع الى بعض الوان هذه الحياة التي ترينا صورا صورا من الاباء العربي — صورا تسمرها النزعة الصادقة في التعبير دون ان تلتمس العطاء كما كان يفعل الكثيرون من الشعراء الذين حوموا على البلاط الحمداني ينشدون اماديحهم ، ولا مارب لبعضهم ، الا املاء الجيوب من رفد الامير واحناء الرؤوس بذلة وخشوع .

لقد امتلات كتبنا القديمة ، خلال هذه الفترة ، بقصائد مدح للامير الحمداني تؤلف عدة دواوين ، فيها الغث والثمين ، ولئن تميز شعر بعضهم بالصدق لتسجيلهم وقائع باهرة ومعارك فاصلة ، فان اكثرهم كانوا يجترون المعاني اجترارا ليصوغوها شعرا بثمن ، وهو شعر رغم تسجيله معارك البطولة ، ظل باهت اللون ، تنقصه وقدة الشاعرية الحقة التي تنبع من القلب ، وهذا ما يجعلنا نقرا الكثير من الاماديح التي قيلت في سيف الدولة فلا نجد فيها الصدق الذي نلمسه في شعر المتنبي او في شعر ابي فراس مثلا !

ولا مجال هنا للمفاضلة ، ولسرد الشواهد فان كثيرا من الشعر الذي قيل في معارك سيف الدولة لا يرقى الى المكانة التي بلغها هذان الشاعران على ما بينهما من تنافس بلغ ذروته القصوى .

كان بلاط سيف الدولة يضم عشرات الشعراء . وكان المتنبي ، بدون ريب ، سيدهم واميرهم — هذا الشاعر العظيم الذي لقي من عطف سيف الدولة ورعايته ورفده وعطاياه ما اثار نقمة وحسد الكثيرين وفي طليعتهم ابو فراس الذي لم يتردد ان يخاطب ابن عمه بقوله :

« ان هذا المسمى كثير الدلالة عليك ، وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن ان تفرق مائتي دينار على عشرين شاعرا ياتون بما هو خير من شعره » .

اكان ابو فراس على حق في هذا الراي ؟

اصدرت هذه الكلمة عن روح سمحة ؟

اكان سيف الدولة ، وهو البصير في فنون الادب والذوق الشاعري المرهف ـ اكان يجهل ما يمتاز بـه المتنبي على سائر الشعراء الذين طرقوا بابـه للعطاء فمنحهم الكثير واكثر مما يستحقون !

ثم هل يخضع الشعر ، جيده ورديئه ، لميـزان « الكـم » ام « الكيف » ؟ .

ابتسم سيف الدولة حين سمع كلمة ابي فراس، او نصيحته الغالية ـ ابتسم إبتسامة من لا يجهـل ان هذا الراي الفطير هو مكيدة اطلقها استاذه ابن خالويه ، فنزلت من نفس التلميذ منزلة اليقين !

كان ابو فراس يرى شعره في القمة وشعر غيـره هراء ، ويقصد المتنبي بالذات حين يشير الى شعـر غيره ، فكان التنافس بينهما على اشده .

وكان لكل شاعر انصاره ومريدوه حتى ذهـب بعض مؤرخي الادب الى ان بلاط سيف الدولة شهـد مدرستين متباينتي المظهر والجوهر : احداهما تقـول بالحفاظ على القديم وعلى راسها العالم اللغـوي ابـن خالويه زعيم الجامدين في اللغة والاوضاع ، يرى نفسه خادم اللغة الامين ، يعني نفسـه بالقياس وتتبع ما ورد عن العرب وما لم يرد ، بينما كان المتنبي يرى نفسـه سيد اللغة والمتصرف فيها والمجدد اساليبها واوضاعهـا . اتخذ ابن الرومي نموذجا له في التجديد واللعب بالالفاظ والمعاني كما اطلق نفسـه من القياس فاختار من اللغـة ما يلائم ذوقه من الصيغ اللفظية والبيانية هازئا بانصار الجمود من معاصريه ، واثقا من سلامة ذوقه وصفـاء طبعـــه . (*)

وبالرغم من التباين بين جوهر هاتين المدرستين فلم يكن الخلاف ، في اعتقادي ، على « المنهج » بقـدر ما كان لجذور « الموهبة المبدعة » التي استطاعت ببريقها الاخاذ ان تظفر بعطف سيف الدولة واعجابه ـ هـذا العطف الذي اثار نقمة ابن خالويه فنظم مع تلميذه ابى فراس حملـة صارخـة ضد المتنبـي سداها الحسد ولحمتها التهجم والانتقاص من موهبة الشاعـر الفـذ الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

كان مثيرو هذه الحملة وموقدو نارها يرددون على مسمع ابى فراس راي الصاحب بن عبـاد فيه وهـو الراي الذي تتناقله كتب الادب ويقول فيه :

« بدىء الشعر بملك وختم بملك » يعنـي امـرا القيـس وابا فراس .

وهو راي على ما فيه من تقدير لشاعريـة ابـي فراس ، لا يخلو ، في اعتقادي ، من هوى ..

فالصاحب لم يشا ان يمدح ابا فراس بقدر مـا اراد ان يذم المتنبي الذي ترفـع عن مدح من هم دون الملوك مرتبة ومقاما ..

ولم يبلغ الصاحب بن عباد مرتبة الملوك .

اهمال المتنبي لمكانة الصاحب وعدم مدحه دفعه ان يعلي من مكانة خصمه الذي جعلـه ملك الشعـر في عصـــره .

وهذه لوثة خص بها الشعراء والادباء في كل عصر الا مـن جملـه الله بالانصاف وجنبـه زلل الضغينـة والشـطط ..

ومهما كانت العوامل التي دفعت الصاحـب ان يطلق هذا الحكم المبني على الهـوى الشخصـي لا على النقد النزيه فقد وقع من نفس ابي فراس موقع السحر فازداد زهوا بشعره واعتزازا بفنه وعلو قدره ، كمـا ازداد بغضا لعنجهية المتنبي وازدراءا لشعره ..

كانت المناقشات بينهمـا على نطـاق ضيـق ثم اتسـعت ، وقد وصل الحقد في نفس ابي فراس ان اخذ يتهم المتنبي بالسـرقة والسطو على آراء الغير ثم صياغة هذه الآراء صياغة جديدة .

كان يندد به في كل مجلس وناد ..

فحين انشد المتنبـي بين يـدي سيف الدولـة قصيدته الميمية ووصل الى قوله :

يـا اعـــدل الناس الا في معاملتـــي
كيف الخصام وانت الخصـم والحكـم

قال ابو فراس : لقد مسخت قول دعبل وادعيته: اليـس هو القائـل :

ولسـت ارجـو انتصافا منك ما ذرفت
عيني دموعـا وانت الخصم والحكـم

وحين وصل الى قولـه :

سيعلـم الجمـع ممن ضـم مجلسنـا
بانـنـي خيـر مـن تسعى بـه قـدم

* المقتطف ج 4 مجلده 7 كامل كيلاني .

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم

قال ابو فراس : لقد سرقت هذا من عمرو بن عروة ابن العبد في قوله :

أوضحت من طرق الآداب ما اشتكلت
دهرا واظهرت اغرابا وابداعا
حتى فتحت باعجاز خصصت به
للعمي والصم ابصارا واسماعا

ولما وصل الى قوله :

والخيل والليل والبيداء تعرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقلم

قال له : وما ابقيت للامير اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة ؟

تمدح نفسك بما سرقته من غيرك وتأخذ جوائز الامير .

اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي :
اعاذلتي كم مهمه قد قطعته
اليف وحوش ساكنا غير هائب
انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى
وجرد المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البلاد ، وهيبتي
لها في قلوب الناس بطش الكتائب

ما الذي نتبينه من هذا النقد الجارح ؟

نلمس ظاهرتين بارزتين في نفسية ابي فراس : ثقافته الادبية اولا .. ثم ضيقه وبرمه بخصمه الذي اثير اثارة حملت المتنبي ان يرجو من الامير سيف الدولة ان يخفف عنه وقر هذه الحملة الموتورة التي افسح لمثيريها المجال لينتقصوا من ادبه وشاعريته فخاطبه بقصيدة عتاب مرة ومما جاء فيها :

ازل حسد الحساد عني بكبتهم
فأنت الذي صيرتهم لي حسدا

ان خصومة الشاعرين موضوع ذو شعبات كثيرة ليس هنا مجال التوسع في بسطها ، وهو موضوع طريف يكشف عن نفسية الشعراء في كل عصر ، ولا سيما اذا كانوا في بيئة واحدة ، وعلى مستوى واحد من الشاعرية الحقة . وهنا ، لابد من ان تكون « موهبة احدهم ــ اي « شاعريته » اكثر اشعاعا واكثر حظوة عند الممدوح فيصبح هدفا لحسد الحاسدين وكيد الكائدين ، كما كان الامر مع المتنبي فوفق خصومه ، في ايغار صدر سيف الدولة عليه الى فترة من الزمن ، ولكنهم لم يوفقوا في الحط من شاعريته . وظل سيد شعراء عصره ، والعصور التي تتابعت الى يومنا هذا .

ــ 3 ــ

خاض ابو فراس معركة النقد الادبي مع المتنبي ، او معركة « الخصومة الذاتية » اذا اردنا الدقة ، فخيل اليه انه انتصر ، وهذا اقصى ما يحلم به شاعر يسجل انتصاره على شاعر .

على ان هذا النصر لم يصرفه عن خوض المعركة الكبرى مع عدو جهز ، اكبر جيش واضخمه للقضاء على المملكة الحمدانية ، والقضاء عليها قضاء على الروح العربية الصميمة ، بل على السلطان العربي في بلاد الشام كلها .

لقد انشأه ابن عمه ليكون فارسا شجاعا وقائدا مغوارا وسيفا بتارا على رقاب العدو فخاض عدة معارك ابلى خلالها بلاء حسنا في الدفاع عن تربة الوطن المقدس .

وانتصر وخذل ، ثم خذل وانتصر وما زال في كر وفر مع الروم الى ان وقع اسيرا بين ايديهم ، فقادوه مكبلا الى حصن خرشنة ، وهو حصن بالقرب من ملاطيه ، ثم نقلوه وهو مثقل بالجراح ، الى القسطنطينية

لقد كان في خياله ان يدخل مدينة القياصرة فاتحا غازيا ، لا ان يقاد اليها اسيرا تنزف من جسمه الجراح .

قضى اربع سنوات في الاسر ، بعيدا عن آله وذويه ، عن قصوره وبلاط ابن عمه ، عن مجالس الادب وليالي الطرب ، عن امه العليلة .. نعم ، قضى اربع سنوات يشكو حرقة النوى والم الاسر وهذه الجراحات التي هدته واقعدته ، الى القيود التي كبلته فكان في ثورة مضطرمة من الضيق والبرم والشكوى.. ومع ذلك فقد ظل هذا العربي الابي الذي حافظ على شممه وعزته وكبريائه ..

اسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى
ولا فرسي مهر ، ولا ربه غمر
ولكن اذا حم القضاء على امريء
فليس له بر يقيه ، ولا بحر

وقال اصحابي : الفرار او الردى
فقلت هما امران : احلاهما مر
ولكنني امضي ، لما لا يعيبنني
وحسبك من امرين خيرهما الاسر
يقولون لي : بعت السلامة بالردى
فقلت اما والله : ما نالني خسر
وهل يتجافى عني الموت ساعة
اذا ما تجافى عني الاسر والضر
هو الموت فاختر ما علا لك ذكره
فلم يمت الانسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردى بمذلة
كما ردها يوما بسوأته عمرو
يمنون ان خلوا ثيابي ، وانما
علي ثياب ، من دمائهم ، حمر

يشير الى موقف الروم من الاسرى وقولهم : ما اسرنا احدا لم نسلب سلاحه غير ابي فراس .

فاجابهم بقوله :

يمنون ان خلوا ثيابي ، وانما
علي ثياب ، من دمائهم حمر
وقائم سيفي ، فيهم ، اندق نصله
واعقاب رمحي ، فيهم ، حطم الصدر
سيذكرني قومي ، اذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
فان عشت ، فالطعن الذي يعرفونه
وتلك القنا البيض والضمر الشقر
وان مت ، فالانسان لابد ميت
وان طالت الايام وانفسح العمر
ولو سد غيري ، ما سددت اكتفوا به
وما كان يغلو التبر ، لو نفق الصفر
ونحن اناس لا توسط عندنا
لنا الصدر دون العالمين ، او القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء ، لم يغلها المهر
اعز بني الدنيا ، واعلى ذوي العلا
واكرم من فوق التراب ، ولا فخر

ومع ان البيزنطيين اكرموه وانزلوه في قصر فخم على البحر ، وكان كل شيء في متناول يده ، الا ان كل ذلك ما كان ليخفف عنه مرارة الاسر .

لقد شعر من الاعماق انه فقد حريته ، ومن يفقد حريته يعش عيشة المكبوت الذليل .

قد عذب الموت بافواهنا
والموت خير من مقام الذليل

كان كل يوم عنده بمثابة سنة ، وكان الذي يضنيه ويؤلمه اكثر فاكثر دموع امه الحزينة :

يا حسرة ما اكاد احملها
آخرها مزعج واولها
عليلة بالشام ، مفردة
بات بايدي العدى معللها
تمسك احشاءها على حرق
تطفئها : والهموم تشعلها
اذا اطمأنت ، واين ؟ او هدأت
عنت لها ذكرى تقلقها
تسأل عنا الركبان : جاهدة
بادمع ما تكاد تمهلها

نعم ، دموع امه العليلة كانت تضنيه ، كان يذكرها والاحزان تنهش في كبده وما زال يذكرها ، وما زالت تذكره وتبكي الى ان غلبتها الحسرة ، فماتت وهو في الاسر فرثاها بدموع غزار وصور الايام التي عاشتها وهي تندب فراقه :

ايا اماه : كم هم طويل
مضى بك لم يكن منه نصير
ايا اماه : كم سر مصون
بقلبك ، مات ليس له ظهور
ايا اماه : كم بشرى بقربي
اتتك : ودونها الاجل القصير !

كما كانت قصائده الى اصدقائه وابناء عشيرته الاقربين لا تقل في قوتها وصدق تعبيرها عن قصائده الى امه ، ولئن اختلفت في مراميها فقد اتفقت في صداها الحزين ..

اما عتبه على ابن عمه سيف الدولة لتلكؤه في فك اسره ، فهي قصة تفيض بالالم والفخر ، وبالضيق والاعتزاز ، بل تفصح عن طوايا نفس ابي فراس الذي كان يريد ان يفلت من القيد ليتابع جهاده ويلعب الدور الذي يلعبه سيف الدولة في الكفاح .

كتب اليه يقول بعد ان ضاق ضيقا شديدا من محنة الاسر :

« مفاداتي ان تعذرت عليك ، فأذن لي في مكاتبة أهل خرسان ومراسلتهم ليفادوني ، وينوبوا عنك في امري » .

فأجابه سيف الدولة بكلام خشن وقال له : ومن يعرفك بخرسان ؟

هنا ثارت ثائرة ابى فراس وكتب اليه قصيدة تجمع بين الندم والفخر والاعتزاز :

ومـا بـال كتبك قـد أصبحت
عـلام الجفـاء ، وفيـم الغضب
أسيف الهـدى وقـريع العـرب
تنكبنـي مـع هـذا النكـب
وانـت الكـريـم ، وانت الحليـم
وانـت العطوف ، وانـت الحـدب

الـى ان يقـول :

ومـا غـض منـي هـذا الاسـار
ولكـن خلصت خلـوص الذهـب
وان خـراسـان ان انكـرت
عـلاي ، فقـد عرفتهـا حلـب
ومـن ايـن ينكـرونـي الابعـدون
أمـن نقص جـد . أمـن نقص اب
الست وايـاك مـن اسـرة
وبينـي وبينـك قـرب النسـب
ودار تناسـب فيهـا الكـرام
وتـربيـة ومحـل اشـب
ونفـس تكبـر الا عليـك
وتـرغـب الاك عمـن رغـب

لست من القائلين بان سيف الدولة تلكأ فى فكاك ابى فراس ، وهل لامير خاض حرب حياة او موت مع أعداء أشداء ، لم تحين الفرصة لفكاك جنوده من الاسر ، وبينهم ابن عمه ، فيتلكأ ! ولا سيما وسيف الدولة من المعجبين بمحاسن ابى فراس وقد اصطنعه لنفسه ، واستصحبه فى غزواته واستخلفه فى اعماله .

أبدا ، وكل ما فى الامر ان لتلك الايام الحرجة ظروفها ، ولفكاك الاسرى مواقيتها ، ولكن ضيق ابى فراس فى الاسر جعله يظن مختلف الظنون لا بابن عمه فحسب ، بل بجميع من عرفهم من الاصدقاء والخلان ، وحتى بابناء عشيرته الاقربين :

والحظ احـوال الـزمـان بمقلـة
بهـا الصدق صدق والكذاب كـذاب
بمـن يثـق الانسان فيمـا ينوبـه
ومـن ايـن للحـر الكريـم صحـاب
وقـد صار هـذا الناس الا اقلهـم
ذئابـا ، على اجسادهـن ثيـاب

لقد غلبته نزعة التشاؤم ! وظهرت لوامع هذه النزعة السوداء فى شعر الاسر ، وتعتبر « رومياته » التي كتبها فى الاسر أصدق معبر عن حالاته النفسية ، عن برمه وضيقه ، عن حبه وبغضه ، عن شكوكه وظنونه ، عن هواجسه وآلامـه .

كان يقضي ايامه وحيدا . وكانت هذه الوحدة تثيره وتضنيه ، وكان المه أكثر انه مكبل بالقيود لا يخوض المعارك مع العدو ، وكثيرا ما كان يزوره القادة البيزنطيون ليتعرفوا الى هذا الامير الشاعر فاذا جالسوه وتبينوا ملامحه وقفوا وقفة التجلة والإحترام .. ولكن هذه الوقفة المصطنعة ما كانت لتستر ما تضمره نفوسهم من ادلال وفخر بانهم اسروا هذا القائد العربي الكبير .. وكانت عنجهيتهم تدفعهم الى ان يقذفوا بالكلام الخشن بان العرب امة كلام لا امة حرب وامتشاق حسام .

ففي احدى الجلسات اجتمع الدمستق مع ابى فراس ، وبعد جدال طويل عن احدى المعارك قال القائد البيزنطي الكبيـر :

انما انتم أصحاب اقلام ، ولستم بأصحاب سيوف.
فما كان من ابى فراس الا ان اجابه بشمم :

نحن نطأ ارضك منذ ستين سنة ، فهل نطأوها بالسيوف ام بالاقلام ؟

وساد الجلسة وجوم كئيب فما كاد يخلو الى نفسه حتى عبر عن هذه الجلسة الحامية الوطيس بقصيدة تنبثق من كل كلمة من كلماتها شرر النار :

أتزعم ، ياضخم اللغاديد ، اننا
ونحن اسود الحرب ، لا نعرف الحربا
فويلك ، من للحرب إن لم نكن لها
ومن ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا
ومـن ذا يلف الجيش مـن جنباته
ومـن ذا يقـود الشم او يصدم القلبا
وويلك ، مـن اردى اخـاك بمرعش
وجلل ضربـا وجـه والدك العضبا
وويلك من خلى ابـن اختك موثقا
وخـلاك باللقـان تبتـدر الشعبا
أتوعدنـا بالحـرب حتى كـأننـا
وايـاك لم يعصب بها قلبنـا عصبا
لقـد جمعتنا الحـرب من قبـل هـذه
فكنـا بها اسدا ، وكنت بهـا كلبـا

الى ان يقـــول :

باقـلامنــا احجـرت ام بسيـوفنـــا
واسد الشـرى قدنـا اليك ام الكتبـا!

هــذه السنوات الاربـع التــي قضـاها في الاسر اكسبت الادب العربي لونا من الوان الشعر النفسـانـي الحزين الذي يعبر عن حالات خاصة لا تنأى بمضمونها عن اطارها الانسـانـي .

لقد عاش هذا الامير الارستقراطـي المتـرف ، والشاعر الوجداني المرهف الحس حياة صراع وعـراك في سبيل قوميته المثلى ، فكانت الحرب ملهاته ، بـل كانت طعامه وشرابـه .

والى هذا اشار بقوله :

فـلا تصفـن الحـرب عنـدي فانهـا
طعامـي منـذ بعث الصبـا وشرابـي
وقـد عرفت وقـع المسامير مهجتـي
وشقـق عـن زرق النصـول اهابـي
ولجحت في حلــو الزمـــان ومـره
وانفقت مـن عمـري بغيـر حسابـي

نعم ، لقد انفق من عمره بغير حساب ، انفقـه في شتى مباهج الدنيـا واهوالها الجسام ، في اللهو والقنص، في الحب والحرب ، في الاسر والبعد عن ميادين القتال، فلم يكد يرجع الى ارض الوطن حتى يكافاه سيـف الدولة بتوليه امر حمص .

ولكن هذه التولية لم يطل امرها ، فلم يكد يتسلم زمام الامر ويعد نفسه لكفاح طويل حتى يقضي سيف الدولة نحبه ويتولى امر المملكة حاجبه التركي قرغويه الذي نصب نفسـه وليا على ابن سيف الدولة .

وثار ابو فراس على هذا الوضع الشـاذ ــ على النزعة الاعجمية تريد ان تسيطر على الروح العربيـة والادارة العربية ، اي ان تتكرر مأساة خلفاء بغـداد في الاسـرة الحمدانيـة ، فاعلن تمرده رغبة ان يحل محـــل سيف الدولة ليتابعه في الجهــاد .

وتجري الامور على غير ما ارد هذا البطل العربي الشـاب ، فيكيد قرغويه لابي فراس ويوغر صدر ابـي المعالي ابن سيف الدولة عليه ، ويجهز جيشـا لقتله .

هي اليد الاجنبية الاثيمة التي توقع بين افـراد الاسرة الواحدة ، وبين ابناء الشعب الواحـد لتفتيت القوى وضرب الوحدة القومية في الصميم .

كانت المعركة حامية الوطيـس خاضهـا الامير الشـاب مع ابناء جلدته ، او مـع الدخـلاء على قوميته فيصرع بيد تركية اثيمـة .

وبموته ، وبموت ابن عمه سيف الدولة يسـدل الستار على جهاد هذه الاسرة الكريمـــة التي لعب افرادها الاشاوس ، في تلك الفترة من الزمن ، اكبر دور في تاريخ الامة العربية .

وهكذا ، فقد حفلت حياة شاعرنا الشاب البطل خلال المدة التي عاشهــا والتي لم تتجـاوز السابعـة والثلاثين من عمره الفض ــ حفلت بالكثير من المكرمات والامجاد فترك ثروة ادبية ضخمة من الشعر الوجداني الذي يعبر اصدق تعبير عن حياته في شتـى مراحلهـــا ومختلف تياراتها ونوازعها ، كما رسم بصدق الكثيـر من اللوحات التي تصور بطولات افراد الاسـرة الحمدانية التي عاشت في تلك الفترات العصيبة التـي تميـزت بالفوضى والاضطراب ــ عاشت تكافح بضراوة وتخوض اقسى المعارك في سبيل مجد العرب وعـزة العـرب وحيـاة العـــرب .

حلب : سامي الكيالي

إبراهيم المازني

للدكتور جمال الدين الرمادي

كـــــان نحيلا ضئيلا ولكن ادبه كان ملء السمع وملء البصر جميعا ، وكان رائدا من رواد القصة والمقالة فى الادب الحديث ، له قدره وله اثره وخطره فى تاريخ الادب الحديث ، وكان له اسلوبه الخاص الذي عرف به ، وامتاز به على اقرانه من ادباء العصر ، فهوت اليه القلوب ونفذت منه العقول، ذلكم هو الاديب الراحل ابراهيم عبد القادر المازني .

ولد ابراهيم المازني فى عام 1889 وكان والده على نصيب من الثراء وحظ من الجاه وكان يقطن فى بيت كبير وصفه المازني فى كتابه (خيوط العنكبوت) فقال : ((كانت بوابته كباب المتولي كبيرة هائلة ، تغطيها المسامير الضخمة التي يعدل راس الواحد منها راس الطفل وكان له رتاج غليظ يدخل فى جدار عظيم السمك))

ويظهر ان اسرة المازني كانت عربية الاصل واية ذلك ما اشار اليه فى كتابه عن ((رحلة الحجاز)) فهو يصف وصوله مع اصحابه الى مكة ويقول انهم دخلوها دخول الغريب اما هو فلم يشعر بشعورهم لانه على حد تعبيره ابن هذه البلاد بل ابن مكة بالذات فان جدته لامه مكية زوجوها وهي بنت عشرين سنة رجلا مخلا من اهل المدينة فنشزت فطلقوها ، ثم احتملوها الى مصر بعد وفاة ابيها وخراب بيته وتجارته ، فتزوجت جده، ويفخر المازني فى كتاب ((صندوق الدنيا)) بنفر عظيم من اجداده الذين يحملون لقبه المازني واشتهروا وذاع صيتهم فى انحاء الجزيرة العربية فى العصور الاسلامية المختلفة وقد ذكر منهم مالك بن الريب بن حوط المازني، وهلال بن الاشعر المازني وغيرهما .

والتحق المازني بالمدرسة الابتدائية وتنقل فى مراحل التعليم الى ان وصل الى مدرسة المعلمين ويحكي المازني عن نفسه انه بعد ان اتم دراسته الثانوية رغب فى الالتحاق بكلية الطب كما كانت تسمى وقتئذ وما ان دخل قاعة التشريح حتى سقط مغشيا عليه فانصرف عن الطب واتجه الى الحقوق ولكن مصروفات مدرسة الحقوق كانت باهظة الى ابعد حد فاضطر الى الالتحاق بمدرسة المعلمين ، ولنترك المازني نفسه يكمل ترجمة حياته فى احد كتبه فيقول :

((ومضت الايام اعني الاعوام وصرت معلما ، وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك ، ولكني لم اخرج بها لان ذلك كان بكرهي ، كما صار من لا اذكر اسمه فى رواية موليير طبيبا على الرغم من انفه ، فعينتني الوزارة مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانوية وكنت صغير السن ولم تكن لي لحية ولا شارب ، فكنت احلق وجهي بالموسى ثلاث مرات فى اليوم لعل ذلك يعجل بانبات الشعر ، فقد اشتهيت ان يكون لي شارب مفتول ، وخدان كانما سقيا عصير البرسيم ولكن الموسى لم تجد فى فتيلا)) .

اما ثقافة المازني فكانت متنوعة متشعبة تجمع بين الثقافة العربية والغربية، اذ قرا كتب الجاحظ والاغاني، قراءة واعية فاحصة ، كما قرا الجرجاني وتاثر بالشريف الرضى وابن الرومي ونشر بحثا عن بشار بن برد ، كما قرا ديوان ابن الفارض وجمال الدين بن نباته المصري ، وكان يقبل على القراءة فى شغف عظيم ، ولهف شديد ، ويعتقد انها غذاء لقلمه ، وفى ذلك يقول مداعبا : ((ما اظن الا ان الله جلت قدرته قد خلقني على طراز عربات الرش التي تتخذها مصلحة التنظيم .. خزان ضخم يمتلىء ليفرغ ، ويفرغ ليمتلىء ، احس الفراغ فى راسي وما اكثر ما احس فاسرع الى الكتب التهم ما فيها ، واحشوا بها دماغي حتى اذا ما شعرت الكظة

وضايقني الامتلاء ، رفعت يدي عن الوان هذا الغداء ، وقمت متثاقلا ، مشفقا من التخمة ، فلا ينجيني منها الا ان افتح الثقوب واهرب . . » ويبدو من كتابه حصاد الهشيم ان ابن الرومي احب شعراء العرب اليه واعزهم عليه ولذلك فليس اعذب ولا اشهى لديه من ان يقضي ساعة معه ولو كل اسبوع .

ويدل كتابه ((بشار بن برد)) على فهم دقيق لشخصية بشار وعلى حال الادب العربي في العصر العباسي بل في عصوره المختلفة ، وقد اهتم في بحثه بشار الشاعر ، اما سيرته فهي على سوئها وقبحها لم تكن شرا من سيرة معاصريه ، وممن تلاهم من الشعراء وغيرهم ، وانما تبدو اسوا لانه كان اشهر وعلى الله لا علينا حسابه .

اما ثقافته الغربية فكان المازني من اتباع المدرسة الانجليزية التي خرجته وخرجت العقاد وعبد الرحمن شكري ، وكان اعلام الحركة الرومانسية في انجلترا هم اهم الذين اثروا في ادبه ، وكما كان كتاب الكنز الذهبي لكونجرف الذي يضم باقة من الشعر الرومانسي المرجع الاول لثقافته وثقافتهم الغربية .

ويقول الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ان المازني بارع في الترجمة عن الانجليزية الى ابعد حد ، ويضيف قائلا : لست اتأ‌ذ اذا قلت اني لا اعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر اديبا واحدا يفوق المازني في الترجمة من لغة الى لغة ويملك هذه القدرة شعرا كما يملكها نثرا ويجيد فيها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة)) .

وقرا المازني وليم هازلت الناقد الانجليزي المعروف كما قرا ماكولي وارنولد ولي هنت وشارلز لام ، وسويفت وادبسون وغيرهم من كتاب المقالة ، كما قرا ديكنز ووالتر سكوت وشكسبير وغيرهم من اعلام القصة والمسرحية .

وصدرت للمازني مجموعة ضخمة من الكتب نذكر منها ((حصاد الهشيم)) 1924 ((وقبض الريح)) 1927 و ((صندوق الدنيا)) 1929 ((وخيوط العنكبوت)) 1935 كما صدرت له دراسة في الشعر : غايته ووسائطه وبحث عن شعر حافظ 1921 واشترك في كتاب الديوان عام 1921 مع الاستاذ عباس محمود العقاد ، ونشر مسرحية غريزة المراة فمجموعة قصص سيدو وشركاه عام 1943 وثلاثة رجال وامراة عام 1943 وقد صدرت له ابراهيم الكاتب عام 1932 وابراهيم الثاني عام 1944 واقاصيص عام 1944 و ((ع الماشي عام 1944 ومن النافذة عام 1949 وهي السنة التي توفي فيها .

وتعتبر قصة ((ابراهيم الكاتب)) ابرز انتاجه الادبي وهي في الواقع صورة لحياته ولو انه حاول ان يبعد كل شبهة بينه وبين بطل القصة كما حاول ان يخلق مجموعة من المتناقضات بين سلوكه واخلاقه الخاصة ، وسلوك واخلاق بطل القصة .

فيقول في المقدمة : ((ولست احتاج ان اقول لست بابراهيم الذي تصفه الرواية ذلك انه يتناول الحياة باحتفال ، وانا اتلقاها بغير احتفال ، وهو يعبس للدنيا وانا استقبلها باعذب ابتساماتي واحس السرور بها يقطر من اطراف اصابعي كالعرق وهو مغرم بالتفلسف وانا الواحد من هذا الطراز مرزؤا يستحق المرثية وهو وعر متكبر وانا سمح متواضع وهو عنيد وانا ربقي سلسي وهو نفور وانا عطوف وفي نفسه مرارة وانا مغتبط بالحياة راض عنها قانع بها وهو كانما يريد ان يخلق الدنيا والناس على هواه ، ولذلك تراه قليل التسامح ضيق الصدر وانا لا ارى في الامكان ابدع مما كان)) .

والقصة تصور جانبا من الحياة المصرية بتقاليدها وعاداتها ، وخيرها وشرها ، وحاول المازني في قصته ان يتجنب اللغة العامية ما استطاع الى ذلك سبيلا بيد انه استخدمها في مواضيع قليلة حينما بدا له انها تكون اقوى في التصوير واضوا في التعبير ، لانه كان يعتقد انه ليس من الضروري ان تكون الكلمة جاهلية ليجوز لنا ان نستعملها ويرى ان هذا جمود يؤذي اللغة ، وكل لغة في الدنيا ، تقتبس الفاظا من اللغات او تضع وتسك الفاظا جديدة تستمدها من حياتها الجديدة ولا يضرها ذلك او يزري بها او يفسدها بل يزيدها سعة ومرونة وقدرة على الاداء .

وقد تجلت براعة المازني في السياق والحوار في هاتين القصتين لولا ما ينقصهما من حبكة فنية متينة كالتي تجلت في قصته عود على بدء هذه البراعة واضحة هنا ملموسة وكان حواره لذيذا شيقا فاستهل القصة على هذا النحو : قالت امراتي ونحن ندنو بالسيارة من طنطا بعد زيارة السيد البدوي صل بنا بيت الشيخة صباح لنسلم عليها ، قلت : لا صباح ولا مساء الوقت ضيق ، قالت : ارجوك لاجل خاطري ، قلت : يا امراة الا تتقين في هذا العبد الصالح الذي سخره الله لخدمتك وخدمة بنيك ؟ قالت متهكمة ضاحكة : انت عبد صالح قلت : من حسن الحظ انه لن تنصب امراة لنا الميزان يوم الحساب على كل حال نحن الان بعد العصر وما زال علينا علي اثنان تقطع مائة كيلومتر وزيادة قبل ان نبلغ القاهرة واخشى ان يحل بي التعب اذا ادركنا الليل

قبل ان نفرغ من الطريق أم ترى تعبي راحة لك ؟ ثم انك قد سلمت علينا منذ اربعة ايام ليس الا ، فما حاجتك الى سلام جديد ؟ اهو زاد تتزودين به في الطريق ؟ قالت وكأنها تحلم : لست اشبع من النظر الى حسن وجهها ــ وقد صدقت ... »

وهكذا مضى المازني يشوقنا الى طلعة الشيخة صباح بهذا الاسلوب المشوق العذب المتسلسل ولم يكن يأنف ان يستخدم العبارات الدارجة ما دامت لا تخرج عن نطاق العربية الفصحى مثل ((لاجل خاطري)) و ((تعبي راحة لك)) وما الى ذلك .

والحق انه استطاع باسلوبه الرشيق ان يبعث اللهفة في نفوس قارئيه لمتابعة قصته حتى النهاية .

وهذه البراعة في الحوار ظهرت كذلك على نطاق واسع في مسرحية ((غريزة المراة التي قدمتها فرقة السيدة فاطمة رشدي على المسرح والواقع ان هذه المسرحية لا تنطوي على جديد ولا عمل للخيال على حد تعبير المازني نفسه في صياغتها لانها تصور النفور بين الزوجين وما يؤدي الى ذلك في الاحيان الكثيرة من الشقاء وخيبة الامل في الحياة ويؤخذ من هذه المسرحية ان الوفاق بين المراة والرجل لا يكون الا اذا فهم كل منهما طبيعة الاخر وما تتطلبه كل من الغريزتين فالشقاق نتيجة العجز عن هذا الفهم وقد تؤدي اسباب اخرى الى الخلاف والجفوة ولكن من المحقق العجز عن ادراك مطالب الغريزة النوعية في المراة يؤدي بلا ادنى شك وفي كل حال فساد ما بينها وبين الرجل والفهم الصحيح لا يكون الا بدراسة المراة دراسة علمية سليمة وليست الغريزة النوعية في المراة فوضى فان لها قوانين قد يلحقها الاضطراب احيانا ويصيبها الشذوذ ولكن حتى في شذوذها واضطرابها غير مستعصية على الدرس .

ويؤخذ من هذه المسرحية كذلك ان دفاع الزوجة عن نفسها لم يكن متاحا بل هي لو تقدمت الى المحكمة بما يصلح ان ينهض عذرا لها لقضى ولكنها فقيرة مكروبة ممزقة الاعصاب تكتفي بالفرار مما تكره ، وليس من شك في ان هذه المسرحية تدل على جراة في التفكير ويظهر فيها تاثر المازني بالكاتب المسرحي النرويجي الشهير ((هنريك ابسن)) الذي كان يعتقد ان الانسان يعيش في جو من التقاليد والعرف وانه لابد ان يحطم هذا الاطار الزجاجي ويزيل الغشاوة عن عينيه حتى يرى الحقيقة واضحة لا زيف فيها ولا خداع .

وقد نادى المازني في هذه المسرحية بوجوب النظر الى الغريزة وهذه دعوة جريئة لم تكن تتاح لغيره من الكتاب الذين كانوا يتبادلون فنون الكتابة في الفترة التي عاش فيها .

وللمازني ديوان من الشعر وله شعر لم يطبع وقد بدا في نظم الجزء الاول من ديوانه عام 1910 وطبعه عام 1912 وطبع الجزء الثاني في اواخر عام 1915 واوائل 1916 ويقوم المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بجمع شعر المازني كله تمهيدا لنشره في كتاب وقد وصف العقاد اسلوبه الشعري فقال :

((فان قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ والروعة في حول الشعر كما تتحرى نفسه ــ على لطافتها ــ الفخامة في المشاهد والروعة في مظاهر الكون والطبيعة)) ومن الطف شعره هذه الابيات :

ودعته والليل يخفرنا
والبدر يرمقني ويرمقه
والماء يجري في تدفقه
ويكاد ماء العين يسبقه
والده ينهاه تمنعه
والحب يامره ترفقه

وشعر المازني يدل على ثقافة اصيلة وقراءة متصلة في الادب العربي والغربي ، كما يصور مذهبه في النقد فهو يعتقد ان الشعر مجاله العواطف لا العقل والاحساس لا الفكر وانما يعني بالفكر على قدر ارتباطه بالاحساس ولا غنى للشعر عن الفكر بل لابد ان يتدفق الجيد الرصين منه بفيض القرائح ولكن سبيل الشاعر الا يعني بالفكر لذاته ورزانته بل من اجل الاحساس الذي نبهه او العاطفة التي اثارته ولابد للشاعر من عاطفة يفضي بها اليك ويستريح او يحركها في نفس القارىء ويستثيرها وما دام الامر كذلك فقد خرج من الشعر كل ما هو نثري في تاثيره او ما كان في جملته او تفصيله عبارة عن قائمة ليس فيها عاطفة ولا هو مما يوقظ عواطف القارىء ويحرك نفسه ويستفزها كشعر الحياة اليومية وشعر المديح كله الذي اكتظت به دواوين شعر العرب .

تلك هي نظرة المازني الى الشعر .. وهذا هو الثوب الذي حاول ان يسبغه على نفسه من شعر فحالفه التوفيق حينا وخالفه حينا ، ولكن العقاد يصر على ان المازني شاعر اكثر منه كاتبا ، وهو عنده لا يضارع في التعبير عن احساسه نظما مهما يكن الموضوع.

وعندي ان قول العقاد صادق في بعض شعره ولا اقول كله .. ولكن اسلوبه الساحر وثقافته الواسعة وتهكمه اللاذع ، وسخريته التي نجمت عما الم به من شدائد ، وطاف به من احداث ، خلقت منه كاتبا ممتازا، رجحت به كفة الميزان .

القاهرة : جمال الدين الرمادي

لسان الدين ابن الخطيب 2

للأستاذ: عبد القادر زمامة

حياة النفي

اعتادت غرناطة الانقلابات السياسية الحمراء التى تعصف بعرشها من حين لآخر ... واعتاد مؤرخو بني الاحمر ان يصفوا لنا تلك الاغتيالات التي انتهت بها حياة كثير من ملوكهم ... وابن الخطيب نفسه شهد مصرع سلطانه ابي الحجاج يوسف بن اسماعيل اذ طعن وهو فى صلاة عيد الفطر سنة 755 ه (*) وكان امام الصلاة هو قاضي غرناطة ابو القاسم الشريف السبتي (*) .

كما شاهد انقلابا طوح بعرش سلطانه الثاني ابى عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالغني بالله .. وطوح بمنصبه الوزاري .. ولولا الحظ الذي ساعدهما للقيا حتفهما كما لقيه رجل الدولة الوزير ابو النعيم رضوان ....

وهذا الانقلاب كان موجها الى تصفية حساب بين الغني بالله واخيه من ابيه الامير اسماعيل . وقد لعبت أم هذا الاخير دورا خطيرا فى الانقلاب حتى جلس ابنها على عرش غرناطة وفر اخوه الى وادي آش ومنه الى المغرب ...

وقد حاول ابن الخطيب ان ينسجم مع زعماء الانقلاب ويحافظ على منصبه فى وزارة الدولة . وهذا ما ينبيء عنه قوله :

« .... الى ان كانت عليه الكائنة . فاقتدى في اخوه المتقلب على الامر به . فسجل الاختصاص وعقد القلادة . ثم حمله أهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض علي . فكان ذلك وتقبض علي وتكث ما ابرم من اماني . واعتقلت بحال ترفيه ... »

وجاءت شفاعة السلطان ابى سالم المريني فى صديقه الملك المخلوع .. ووزيره لسان الدين .. وقد فعل ابو سالم ذلك من باب رد الجميل والوفاء . اذ انه عاش فى غرناطة شريدا فارا من اخيه ابى عنان فلقي من بلاط بني الاحمر حسن الضيافة وجميل الرعاية مدة حياة ابى عنان ....

ابن الخطيب لاجيء سياسي (1)

رافق ابن الخطيب حاشية ملكه المخلوع وركب معه البحر الى مدينة سبتة فى الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة عام 760 ومنها كان الرحيل الى فاس.. وقد ركب ابو سالم فى موكب فخم لاستقبال ملك غرناطة المخلوع . وكان يوما مشهودا انشد فيه ابن الخطيب قصيدته الرائعة :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر
وهل اعشب الوادي ونم به الزهر

وهل باكر الوسمي دارا على اللوى
عفت آيها الا التوهم والذكر

بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى
باكنافها والعيش فينان مخضر

---

* اللمحة البدرية لابن الخطيب ص 97
* الاحاطة ج 2 ص 131

فهاج الامتعاض ... وسالت العبرات على حد تعبير لسان الدين (*) وكان الاستقبال فى السادس من محرم 761 هـ واسكن ابو سالم ضيفه فى قصر من قصور فاس الجديد ...

اما ابن الخطيب فيظهر انه اصيب بصدمة نفسية بعد انقلاب غرناطة فتاقت نفسه الى الابتعاد عن المنصب والسياسة والركون الى حياة الاستقرار والهدوء والعكوف على التاليف بتتميم الناقص . وتسجيل الشارد . وجمع المتفرق . وتعويض ما ذهبت به النكبة من الكتب التي الفها بالاندلس ونهبت فيما نهب من متاعه ... فاستقر بمدينة سلا ..

على ان هذا الاستقرار لم يكن محض مصادفة . ولكنه عمل فكر فيه ابن الخطيب وقدر نتائجه بعد الجولة الكبرى التي جالها فى المغرب من الشمال الى الجنوب مارا بسلا وآنفا وذلك بعد استئذان السلطان ابى سالم واخذ توصياته الى قواده وعماله بتلك الانحاء ...

فابن الخطيب اراد ان يتعرف على البلاد ومعالمها وآثارها باعتبارها وطنه الثاني الذي لجا اليه بعد ان قرر فى اعماق نفسه الابتعاد عن المناصب السياسية مهما كانت خطورتها فى غرناطة او فاس .. وقد اضفى على هذه الرحلة حلة خاصة من التطارح على اضرحة الاولياء والصالحين والملوك المجاهدين . واظهار كامل الزهد والانكسار ... ليثير بذلك عواطف الناس العطف عليه ولا سيما عاطفة اهل السلطة والجاه والنفوذ فى البلاط المريني .

وكانت الرحلة من مدينة فاس الى مكناسة وسلا وكانت نهايتها مراكش وجبل هنتاته ومدينة آسفي وفى كل مدينة يقف ابن الخطيب ليتصل بالعلماء والقضاة والوجهاء وينال من تقديرهم واكرامهم وحسن ضيافتهم ما يثلج صدره وينسيه الم النفى والغربة وقد اودع ذلك كله كتابه القيم : «نفاضة الجراب» الذي لم يبق الدهر منه الا بعضه ... نقله المقري فى نفح الطيب . وازهار الرياض كما احتفظ دير الاسكوريال بجزئه الثاني تحت عدد 1755 وتردد على الالسنة اخيرا العثور على نسخة تامة من هذا الكتاب ..؟

وقد استفاد المؤرخون المغاربة من هذه الرحلة التي دونها ابن الخطيب فى ـ النفاضة ـ ولا سيما صاحب « الاستقصاء » حيث ان ابن الخطيب دون فيها معلومات طريفة ومشاهدات ممتعة عن الحياة الاجتماعية والادبية والعلمية فى حواضر المغرب وبواديه ووقف على قبر المعتمد بن عباد فى اغمات واطلعه امام مسجد هذه المدينة على مذكرات الامير عبد الله آخر امراء بني زيري فى غرناطة ... وقد قضى ايام نفيه فى اغمات بعد احتلال المرابطين للاندلس وتصفية يوسف بن تاشفين لمهزلة نظام ملوك الطوائف ..! كما أن ابن الخطيب صعد الى الاطلس الكبير ونزل ضيفا على زعماء هنتاتة ومدحهم ونال من خيرهم واكرامهم وشاهد المكان الذي ختمت فيه انفاس السلطان الحسن المريني ايام صراعه مع ابنه ابى عنان ...

والمؤرخون الذين اعتمدوا على مشاهدات ابن الخطيب فى هذه الرحلة كانوا على حق فى تسجيل احداث ومعالم لفتت انظار هذا المؤلف الذي قدرها حق قدرها ولم يتركها تمر دون ان يودعها هذه ـ النفاضة ـ

ابن الخطيب فى سلا

لماذا اختار ابن الخطيب سلا لسكناه .. ؟

يجيب عن هذا السؤال من شاء بما شاء .. !

لكن الحقيقة ـ فى نظري ـ هي مصلحة ابن الخطيب السياسية باعتباره رجلا سياسيا يبني اعماله وتصرفاته على اعتبارات خاصة .. !

فالاقامة بعاصمة الدولة اذ ذاك ـ فاس ـ معناه الانغمار فى التيار السياسي وهو تيار ذو اتجاهين :

1) اتجاه السياسة المرينية نفسها التي اصبحت تحت رحمة الوزراء المستبدين والقادة المتغلبين بعد موت ابى عنان .. ! فكان البلاط يعج بالمؤامرات والتحزبات تاييدا لهذا وضدا على ذلك ... ولنا مثال على ذلك ما خاضه المؤرخ العظيم ابن خلدون من الغمرات فى هذا الجو وفى هذه الظروف بالذات .. ! فى فاس .. !

2) اتجاه سياسة بني الاحمر فى كل من غرناطة وفاس ... فالملك المخلوع لم يكن ليقتنع بحياة خاملة فى احد قصور فاس .. ! والملك المتغلب على العرش لم يكن لينام عما يدبر له عند المرينيين والقشتاليين .. !!

---

* انظر اللمحة البدرية . والاحاطة ج 2 ص 13 الطبعة الاولى .

وحاشية الملك المخلوع يجب ان تداب في السر والعلن لاسترجاع المنصب والجاه والنفوذ لكن ابن الخطيب كان غير واثق من هذا كله وكانت غاية امانيه ان يحتفظ بما سلم من ثروته ليعيش بعيدا عن سلطانه المخلوع ... ! وهو يحدثنا ويكاشفنا بهذه الامنية في كثير من رسائله ومؤلفاته وهو لايخفي مجافاته لسلطانه المخلوع ... كما انه يعلم ان هذا السلطان نفسه كان في غناء عن وزيره القديم طيلة مقامه بفاس ... لا سيما وقد اتخذ من ابن زمرك كاتبا لسره ... ومن القاضي النباهي مستشارا وامينا ...

والى جانب هذا كان ابن الخطيب يتظاهر بالزهد والانقطاع والانحياش لاهل الخير والدين والصلاح ولا شك ان سلا كانت ماوى لكثير من هؤلاء كما انها كانت قريبة من شالة مدفن الملوك المرينيين وقد تطارح على قبورهم وكتب مستشفعا بهم لينال عطف احفادهم ورعايتهم والصلات والمعاش ... وقد نال ذلك كله ..! وتحدث به شاكرا معترفا .. !

وفي سلا يخلو الى نفسه ليكتب ويطالع ويؤلف . ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه المدة التي عاشها في هذه المدينة كانت اخصب حياته العلمية والادبية فزيادة على ما دونه من اتصاله بالامام القباب وكتابته لرسالة « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » نجده يكتب رسائل اخرى « كمفاخرة مالقة وسلا » وارجوزة « رقم الحلل في نظم الدول » و « معيار الاختيار في احوال المعاهد والديار » و « نفاضة الجراب » وغيرها من الكتب والرسائل والاراجيز في الموضوعات المختلفة ...

وفي سلا شيع قرينة حياته الى مرقدها الاخير ورثاها بقصائد بثها لاذع الالم والشكوى ...

ابن الخطيب لاجيء سياسي (2)

رجع ابن الخطيب الى غرناطة بعد تلكؤ وتمنع..! ومكث ما يقرب من عشر سنوات مشرفا على سياسة الدولة مستبدا بالتدبير والتصرف ... وكان له راي في كل عاصفة سياسية . ويد في كل عمل تاتيه الدولة داخل البلاد وخارجها . وكانت سياسة الحكومات اذ ذاك تنبني على العمل والكيد والمؤامرة في الظلام ... كما ان كل وزير كان وراءه عدد من الحاسدين والمتآمرين والوشاة الباحثين عن العورات والزلات ..! والى جانب ذلك كان كيد بني الاحمر لبني مرين ... وكيد بني مرين لبني الاحمر ... وكيد قشتالة لهؤلاء واولئك يجعل ابن الخطيب مسؤولا الى حد ما عن كثير من الاحداث هنا وهناك ..!

واذا اضفنا الى ذلك العامل الشخصي والاحقاد التي كان يضمرها له امثال ابن زمرك والنباهي علمنا كيف ثقلت وطاة وزير غرناطة على البلاط ورجاله بل وعلى ملكه ايضا .. ! مما جعل ابن الخطيب يفر من الميدان في شكل انسحاب فني ... ! الى المغرب ...

وقد راسل السلطان ابا فارس المريني واخذ وعده لحمايته وايوائه في المغرب فوفد عليه في تلمسان وكان ابو فارس قد جدد شباب دولة بني مرين واعاد لها هيبتها ونفوذها في الداخل والخارج فما كاد يطأ ابن الخطيب عتبة قصره حتى وجه رسولا الى غرناطة في طلب اهله وولده واسبابه فرجع بهم وقرت عين ابن الخطيب ... !

ابن الخطيب في فاس

يسكن ابن الخطيب هذه المرة مدينة فاس وينص المؤرخون على انه سكن فاسا القديمة .... وينص المؤرخ المرحوم ابو الفضل ابن ابراهيم في كتابه « الاعلام » انه سكن في حي الطالعة ... ويتناقل الناس خبر داره في هذا الحي الى الآن .. !!

واذا صدقنا صك الاتهام الذي كتبه القاضي النباهي في شان لسان الدين ابن الخطيب واحتفظ لنا ابو العباس المقري في نفح الطيب بنصه الكامل فان ابن الخطيب شيد القصور في فاس واقتنى الضياع وتمتع بانفس التحف وغالي الرياش بفضل مدخراته من المال وما اغدقه عليه سلطان بني مرين .. ورجال دولتهم .

ويموت السلطان ابو فارس ويستبد وزيره ابو بكر ابن غازي بالدولة ويجلس على العرش ابنه السعيد ... ! ويكون ابن الخطيب من شيعته فيؤلف كتابه الشهير : « اعلام الاعلام بمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلام » وفيه يتفجر ابن الخطيب انفجار البركان على خصومه ولا سيما ابن زمرك والنباهي اللذين تزعما اتهامه الاول من الناحية السياسية .. والثاني من الناحية الدينية .. !

ويشاء الحظ العاثر الا تطول مدة السعيد ووزيره ابي بكر بن غازي وان تعصف المؤامرات الداخلية والخارجية بعرش بني مرين ... وان يكون لغرناطة

يد في هذه المؤامرات رغبة من رجالها في استغلال الحوادث لصالحها بتأييد صنائعها السياسيين الذين يمنحونها بعض الممتلكات المرينية في ارض الاندلس كثغر جبل طارق الذي ظل ثغرا عظيم الاهمية بالنسبة للدفاع عن البلاد الاندلسية الى ذلك التاريخ ....

وجلس السلطان ابو العباس بن ابي سالم على عرش فاس بمعونة بني الاحمر في محرم سنة 776 واستقبل الوفد الفرنطي برياسة الوزير ابن زمرك لاقامة الحد على ابن الخطيب ! ! ... باعتباره زنديقا .. ! مارقا من الدين ... ! ! مباح الدم ... ! !

وهكذا تقنعت السياسة بقناع اقامة الحد على لسان الدين ابن الخطيب .. ! فاخذ وخنق في السجن واحرق بعد ما اقبر في مرقده بباب الشريعة من مدينة فاس ....

ويذكر صاحب بيوتات فاس في القديم قصة صاحبت حادثة القبض على ابن الخطيب وملخصها ان شريفة كانت تجاور ابن الخطيب فاراد اخذ دارها وتعويضها بالقوة مستعينا على ذلك بحظوته وجاهه... فلما دخل على ابن ابي العباس وهو يريد الشكوى بالشريفة امر بالقبض عليه .... ! !

والمطالع لكتاب « اعلام الاعلام » وهو آخر كتاب الفه يجده متشائما من الوضع السياسي منتظرا ما تلده الايام من مفاجآت مشفقا على نفسه من هذه المؤمرات التي تحاك له في الخفاء ... ! !

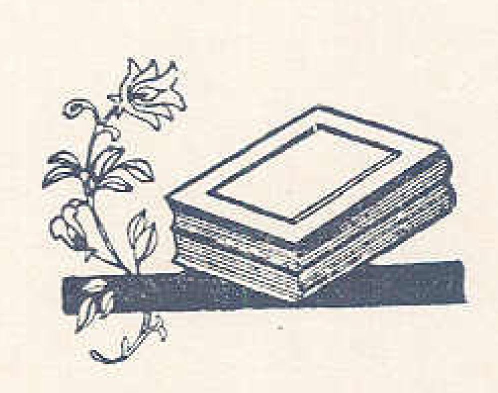
ونجده في آخر سنة 775 يكاتب السلطان ابا حمو موسى بن يوسف ملك تلمسان مستنجدا مستغيثا حينما شعر بالاخطار تتتابه والشباك تنصب لايقاعه فيها .... وقد حافظ لنا على نص الكتاب مع القصيدة السينية المؤرخ يحيى ابن خلدون في كتابه « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » (*)

وفي كل من الكتاب والقصيدة السينية والنونية نجد ابن الخطيب مفجوعا كسيرا متضرعا مؤملا ان يمد له ملك تلمسان حبل النجاة . اما للمقام ببابه .. واما للوساطة لدى اعدائه .. !

ولكن صيحة ابن الخطيب كانت في واد ... ونفخة شعره ونثره كانت رماد .. ! فلم يتلق اسعافا ولا نجدة ... ولا جوابا .... !

فاس : عبد القادر زمامة

(*) انظر ج 2 ص 286





البلوي الرحالة الأندلسي المجهول

للأستاذ : الحسن السايح

حوالي سنة 713 ولد الطفل خالد بن عيسى البلوي في منزل والده عيسى بمدينة (قنورية) ، البلدة الاندلسية الجملة التي تطل هضابها على وادي المنصورة ، وكانت اسرته المتواضعة المتعلقة بتقاليد جدودها وآبائها محافظة كأشد ما تكون المحافظة على ما تواضعت عليه من تقاليد وعادات ، كما يعتزون بكريم محتدهم ، ويترفعون عن اكل اليه الشاة اغراقا في النبل والعزة ـ وكان خالد فتى وسيما يتنعم بعطف ابيه ، وحنان والدته ، ويانس باخيه الاكبر محمد ، وكان في صباه يتردد على كتاب الحي صغيرا لحفظ القرآن الكريم ، واستظهار منظومات العقائد والفقهيات ، ومباديء النحو والحساب ، فقد فرضت الظروف القاسية التي عاشها عصر البلوي على المسلمين التعلق المتين بدينهم وعقيدتهم ، والالتحام مع الجماعات الاسلامية التي ما فتئت ترد هيجان موجة المسيحيين ، (عباد الصليب) الذين هاجموا المسلمين في عقر دارهم غير متورعين ولا مشفقين ، وخشي الاباء على اولادهم شر الالحاد والمروق فاخذو يعصموتهم عن الاختلاط بالمسيحيين . ويلقنونهم الدروس الدينية في حماس منقطع النظير ، حتى اصبح عاديا ان يستظهر الاطفال القرآن في سن مبكرة ، ثم يتلونه بالقراآت السبع ، وهكذا حفظ البلوي القرآن ، واخذ القراآت عن والده الذي روى عن ابيه الى جده السابع فتسلسل التجويد في سبعة من اجداده .

وعند ما بلغ العقد الثاني من عمره توجه الفتى احمد البلوي الى غرناطة ليدرس بها حيث اصبحت العاصمة العلمية بعد اشبيلية التي سقطت في يد العدو سنة 644 . وكانت غرناطة حديثة العهد بالمدرسة الجديدة التي انشاها ابو النعيم رضوان وزير محمد بن اسماعيل النصري ، ثم وزير السلطان يوسف بن اسماعيل ، هذه المدرسة التي خلفت مدارس قرطبة التي سقطت في يد العدو وقبل هذا التاريخ بقرن تقريبا ، اي في سنة 633 . وفي غرناطة تعرف على صديق وفي ظل حبل الاخاء موصولا بينهما في حلقات الدرس وبعد ذلك في دبار مصر ، وفي بجاية ، كان هذا الصديق هو ابن الحاج النميري المؤرخ المشهور ، كما وطدت صلة الدراسة في العاصمة (غرناطة) بينه وبين ابن عبد الله الحضرمي الشاعر الكبير . ورغم ان غرناطة كانت تعج بالاساتيذ والعلماء وكبار الكتاب فلم ترو غلته بل تاقت نفس الفتى للدراسة بترب العدوة (المغرب الاقصى) ليستزيد من الثقافة فعبر الى سبتة التي ضمت فطاحل الدراسة المغربية ، والتي كانت صلة وصل بين الاندلس والمغرب ومنها توجه الى فاس فاقتطف من اغداق الثقافة الاسلامية عن جهابذة الحديث والتفسير والفقه وعلوم العربية ، ولكن الفتى لم يصبر على فراق اسرته طويلا ، فحن الى قنورية ، وابى الا العيش تحت جناح اسرته الوديعة ، وعاد اليها وقد اصبح فتى يافعا مكتمل الشباب ، وافر الثقافة ، قد اخذ عقله حظه من العلم وكتب واجاد التعبير ، واخذ بدنه حظه من القوة والباس فتمرن على السباحة ، كما تعلم الرماية فيما بعد ، ولم ينعم في ظل الاسرة طويلا فقد توفي والده وكانت نكبة مفجعة لاسرته ، وعزم اخوه الاكبر محمد على التوجه الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج ، على ان يظل ابو البقاء بجانب امه التي رغبت اليه الزواج فابى الا ان يهاجر الى الحجاز لاداء الفريضة الدينية ، وللاستزادة من الدراسة والعلوم ، وقر عزمه اخيرا على التوجه الى

الشرق تحقيقا لرغبته الدينية وانماء الثقافة ، وفى صبيحة يوم الاحد سابع جمادى الاولى من سنة 735 عبرت نهر المنصورة قرقورة صغيرة تحمل على ظهرها فتانا الشاب الذي لا يتجاوز سنه الخامسة والعشرين متوجها منها الى مرسى المرية ثم عبر على الضفة الغربية للبحر الابيض المتوسط الى فرضة هنين فتابع طريقه عبر تلمسان وباجة والجزائر ، نفس الطريق التي تابعها ابن بطوطة قبله بعشر سنوات فقط .

وكان الشاب البلوي متحملا لاتعاب السفر يتحمل المشاق فى اطمئنان ويواجه الاخطار بثبات فقد عبر نهر جرادة سابحا بعد ان جرف الوادي معظم رفاقه واخيرا انتهى به المطاف الى عاصمة (تونس) وفى هذه المدينة الجميلة تفتحت تجربة البلوي فقد سحرته بجمالها وروائها وخفة دم سكانها ، فتعرف على علمائها الذين عرفوا اخاه من قبله فى طريقه الى الحجاز وكان من بينهم (التعارسي) الذي لم يبخل عليه بالاخلاص والوفاء ، وكان التعارسي هذا رجلا وفيا لا يقر المثالية ولا يدين بالفضائل الخلقية ، فالحياة فرص ، ورجل الواقع من يستخلص مصالحه من اهلها غير معتبر للقيم ، وهكذا تاثر الشاب البلوي بتعاليمه ، فتقرب الى رؤساء الدولة وكبراء الحكام يستمد منهم المعونة والرزق ، ولكن ذلك لم ينسه كطالب علم يلتمس العلم من العلماء وكبار المحدثين فاخذ عن الصدفي وابن عبد الستار وابن فران وابن عبد السلام وغيرهم ، ثم غادر تونس الى الاسكندرية عبر البحر الابيض المتوسط مارا بقوصرة ومالطه واقريطش وقبرص الى الاسكندرية ، ولقي فى سفره نصبا ، فقد تجاذبت السفينة التي عبرت بهم امواج البحر المتوسط ، والتي تجاوز ركابها الف مسافر ، وكان اقسى ما عاناه فتانا مشاهداته للاطفال يتضورون عطشا ، فقد تاهت السفينة فى البحر فتقص ماؤها واضطر الربان الى تقنين الماء ، وهانت هذه المصاعب عند ما لاح للبلوي منار الاسكندرية التي يقضي بها معظم ايام سفره ويتخذها نقطة انطلاق تجواله ، والواقع أن الاسكندرية كانت فى عصره عاصمة الشرق ، تعج بالمسافرين من كل صوب ، وتحفل بالعلماء والادباء والكتاب ، فلا غرابة ان يجد البلوي بها ضالته ، وهو الطالب الباحث المنقب الذي يسعى الى استكمال ثقافته . وفعلا أقام بمدرستها طالبا نابها يحظى بعطف شيوخه وتقديرهم ، بما يبدي من اجتهاد متواصل فى الاخذ ، والرواية ، واستنساخ الكتب . ولم ينس البلوي قط ذلك اليوم الذي أقام فيه احد الاساتيد حفلا رائعا ليقدم اليه خلاله ضيفا جديدا ، وانتظر المفاجاة السارة التي لم تكن غير أخيه محمد الذي سافر قبله بسنة الى الديار الحجازية .

كانت مفاجاة مفعمة بالانس ، وجميل الذكريات فعاش بجانب اخيه متخذا مدينة الاسكندرية نقطة الانطلاق الى التعرف على ديار الشرق ، فمنها سافر الى دمنهور ومنها سافر الى القرافة حيث قبر الامام الشافعي ، والى قوة ، والى القاهرة .

وعند ما قرب موسم الحج غادرها الى مكة المكرمة ، عن طريق قاطية ، ولم يعد البلوي وهو متوجه الى (مكة) ذلك الشاب المجهول ، فقد أصبح معروفا فى الشرق وكأنه سفير الاندلس المعبر عن تقديرات اهلها لسكان المشرق . كان اسمه يتسابق الى المدن التي يحل بها ، ولهذا فما كاد يصل الى القدس حتى استقبله شاعر الشرق ابن نباتة ووقف اكبارا لاديب الاندلس ، ثم غادر القدس الى المدينة المنورة بعد ان زار مدينة الخليل وعقلان . فعرج على الكرك ، وتبوك والعلا ، ووادي القرى بالمدينة المنورة التي ما كاد تتراءى له شرفاتها واعالي صوامعها حتى تفتحت قريحته وجاشت عواطفه فسكب اشواقه الدينية الملتهبة فى مقطعات صوفية رائعة ، ومن المدينة توجه الى مكة ، عن وادي الصفراء فرابغ ، بخليص فبطن مر بمكة حيث طاف وسعى ووقف خاشعا على جبل عرفات وقفل الى الاراك فوادي العقيف فالينبوع فالعقبة .

وعاد البلوي الى الاسكندرية مرة اخرى ليكمل دراسته ويستزيد علما وكان شوقه عظيما الى القاهرة حيث سيقيم ضيفا عند عالم الاندلس ابى حيان ، الذي كان بيته ماوى لرجالات الاندلس ، وطالت اقامته بالقاهرة ، فاختلف الى مجالس شيخه ، ينتسخ كتبه ويستجيز علومه ، وكان ابو حيان اشد الناس شوقا الى مسقط رأسه بالاندلس ، تتسابق عبرات عينيه شوقا الى بلاده وحنينا الى مراتع صباه ، ولكم كان يؤلم البلوي ان يرى شيخه الكبير يقضي سحابة يومه حزينا كئيبا لانه روى له قصيدة اندلسية او حدثه عن مدينة من مدن المغرب .

وطال مقامه صحبة اخيه بمصر يدرس ويكتب ويروي مذكرات سفرياته ورحلاته وعالجت قلبه اصداء الشوق الى مغاني قنتورية فعاد الى الاندلس ليتوجه منها الى المغرب ، وتذكر اخطار السفينة التي اقلته الى القاهرة .... ولكن لابد من مكابدة الصعاب ولن ينال

الشهيد من لم تلسعه ابر النحل ، فاستخار الله كعادته وركب السفينة صحبة اخيه وكان زاده هذه المرة عظيما بالكتب التي انتسخها والهدايا التي يحملها ولم تهدده امواج البحر بشر في هذه المرة وانما احتال عليه الايطالي صاحب السفينة فزعم له ان الرياح تؤدي المسافرين ولهذا سيعرج الربان على طبرق خوفا من الخطر المحيق ، وعلى رصيف طبرق راى السفينة التي تحمل متاعه وكتبه تتراجع خطوات لتقف على الرصيف ثم لتنطلق فجاة فارة بمتاعه وكتبه الى اعماق البحر المتوسط فبقي البلوي مشردا في صحراء طبرق يعاني الم الجوع والطوى والحرمان وكم تراءى له خطر الموت ماثلا ، ولكنه مؤمن ، عليه ان يتغلب على الصعاب بالصبر والثبات فعبر من طبرق الى الاسكندرية جائعا عاريا يتكفف الخيام ويرقي الاطفال، حتى اذا وصل الاسكندرية اقام في مدرستها محتسبا صوفيا يتابع الاخذ عن كبار العلماء ويلقي دروسا في مدارسها الكبرى ، وسئم اخوه الوحدة والغربة فقرر عزمه على الاياب ، وبقي البلوي وحده وقد اشتد كربه وادخرت له الايام هذه المرة مفاجاة جميلة فقد رجعت السفينة الى الاسكندرية مرة ثانية ، وماذا يهمه من متابعة ربانها ؟ انما هي كتبه فقط التي اقضت مضجعه، والتي بذل في استنساخها اتعابا لا تعوض ، وكانت البشرى هذه المرة ان وجد كتبه في السفينة فاسترجعها واصبح ابو البقاء من رجال الادب والفقه في الاسكندرية وكان بوسعه ان يقيم بها بقية حياته كما اقام ابو حيان من قبله .... ولكن الشوق عالج قلبه في غير ما رحمة وهل يستطيع البلوي نسيان مرابع الاندلس ومغانيها فليخاطر بنفسه في البحر مرة رابعة ، وفعلا اخذ السفينة الى تونس التي وصلها سالما ، فحقق امنيته الغالية ، ودخل المدينة ليرى أصدقاءه القدامى بها لم يتغير لهم جمع ، وما اشد الفرق بين المرة الاولى التي دخل بها تونس وهذه المرة ؛ كان في الاولى غريبا مجهولا فاصبح اليوم اديبا عربيا مرموقا متالق النجم ، كان يخطب ود الامراء فاصبح الامراء يخطبون وده ، واستدعاه سلطان تونس ليعينه رئيس ديوانه ، فكان رجل الادارة والحزم والعدالة والجد ، واعرب عن خصال الرئيس وفضائل الوزير .

ولكن البلوي المغربي العريق ابى ان يظل ينعم في بحبوحة العيش الرغيد وينسى اندلسه الجميلة ، ووالدته الملتاعة لفراقه ؛ فاستعطف السلطان ليقبل استقالته مقدما الشفعاء والوسطاء ، وركب مخفورا بالحرس الى قسطنطينة ومنها الى بجاية حيث وجد صديقه القديم (ابن الحاج) في حلقات دروس غرناطة وقد اصبح كاتبا مرموقا لاميرها ونعم بالمذاكرة والمناقشة طويلا ثم توجه الى الجزائر ولاقى هذه المرة خطورة (سكان الزاب) الذين يتعرضون للقوافل المسافرة ، فدارت رحى الحرب بين انصاره وقطاع الطرق تالقت فيها ومضات السيوف وخضبت المروج الخضر بقاني الدماء ، وتابع البلوي طريقه الى باجة ثم (تلمسان) ومن مرسى هنين ركب قرقورة الى مجافر ليعود عابرا وادي المنصورة الى قنورية التي دخلها يوم الخميس 23 محرم سنة 641 .

وفي قنورية الجميلة تسابق الناس لتحية عالمهم الكبير واديبهم الشهير ؛ ثم عين قاضيا بها فشغل منصب القضاء الذي شغله ابوه من قبل فاصبح قاضيها المرموق ورجلها الاول يقضي سحابة يومه في معالجة قضايا الحكم ويمسي ليله استاذا يروق سكان الاندلس لباسه الشرقي الجميل ذي الجبة العريضة والعمامة الفخمة الانيقة ولحيته المخضبة بالحنا والكتم ولهجته الشرقية التي طبعت لسانه ايام سكناه بالاسكندرية ، ثم انتقل الى القضاء (ببرشانة) التي تعتبر عاصمة قرمونة وفي هذه المدينة لقي ابن الخطيب وزير غرناطة ، وابن الخطيب رجل نقادة حاد اللسان لا يشفق ولا يعف ، فولغ في ادب البلوي وانتقد انتاجه بعنف ، وهاجم شرقيته في تهكم ، فساء البلوي ان يعامله وزير الاندلس هذه المعاملة القاسية وما زال يشكو من قسوة لسانه وفظاظة تعبيره ، وبقي البلوي قاضيا متالق الشهرة في مدينة مرشانة لا يغادرها الا الى الاندلس الشرقية التي تبقت تحت امرة بني نصر متجولا في قراها ومدنها ثم يعود الى مركز قضائه الى ان توفي بمرشانة سنة 678 مخلفا انتاجا قيما هو ثلاثة كتب : رحلة الى الحجاز ، وديوان شعر ، وفهرس اعلام شيوخه . وتناقل الناس كتاب الرحلة ينتسخونه ويستعذبون اسلوبه الى ان هذبه حفيده فأذاع نسخة جديدة عن مسودة جده والحق به تقاريظ العلماء : الذين اكبروا في الكتاب سمو التعبير وامانة النقل وصدق الرواية .

الرباط : الحسن السائح

العمران وفن البناء في عهد المرينيين

للأستاذ ابراهيم حركات

نظـــرة عامــــة :

شارك المرينيون بنصيب في العمران ، فبنوا بعض المدن والقرى والقــلاع ، كمـــا شادوا مدارس كثيـــرة وعارستانات هامة . وكانوا في فن البنــاء احسن مثال للنقل عن فن الاندلس الاصيل بعد ان بلغ ذروتــــه في عصر بنــي الاحمــر .

وقد شاد المرينيون مباني كثيرة ، وكان من اهـم بناة الدولة يعقوب المنصور الذي بنى فاس الجديــــد والمنصورة حول تلمسان واصلح ووسع مسجد تــــازا كما سور او حصن عدة مدن وبدا بانشاء المدارس الاولى في عهد هذه الدولة ؛ بينما بدأت المدارس تتكاثر في عهد ابي سعيد الذي تم على يــده وعلى يــد ابــي الحسن انطباع الفن المريني بطابع الدقة والروعة ، فانتهى الفن المذكور الى اصالتــه .

وقد امتاز الفن المريني كما جاء في مظاهر الحضارة المغربية (*) باستعمال الطابية والآجر والحجر غيـــر المنحـــوت والنقش على الخشب والجبس والادهــان البديعة والشمـاسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليـــج ، كمــا شمــل الزخـرف الثريات والمصنوعات الجلدية والخزفية وغيرها وقد انتشـــر نظام الري بالنواعير التي من ضمنها الناعورة الكبـــرى بوادي فـــاس المصنوعة سنة (685) كما شاد المرينيون عدة قناطر وابراجا ومحارس ومراسي ، وكانوا مع ذلك يبنون بواسطة تصميم يضعه المهندسون مقدما .

والحق ان العمل المريني في ميدان الفن ، لم يكن مستمدا من ابتكار هندسي تقني بقدر ما كان يرجـــع الى جودة الذوق والتنويع والدقة . ولا يزال اثـــر هذا الفن عظيما في عدد من مباني المغرب بل امتد الى البلاد الشرقية التي تستدعي رجال هذا الفن لتشيد بعض مساجدها . واذا كان هذا الفن قد استنفد قواه كمـــا يقول جوليان منـــذ القرن (15 م) فانـــه لم يمت على الاطلاق في عهد السعديين ولا العلويين ، بـــل انبعث في بعض الاحيان متمثلا في عدد مـــن منشآت الدولتيـــن ، ليستانف انتشاره منذ مطلع القرن العشرين ، علــــى نطاق واسع ، وقد جاء في بعض الاخبار ان الولايــــات المتحدة الامريكية قد بدات تقتبس عن الفن المغربـــي متمثلا في عدد من منازلها الفخمة (*) .

المـــــدن :

هناك مدن بناها المرينيون قصبات او قرى صغيرة تطورت فيما بعد الى مدن بكامل مرافقها ؛ كما توجـــد قرى او مدن شادوها لم يتم لها النمو لاسباب سياسية او اقتصادية . ومن المدن والقرى المرينية قصبة تطوان التي بناها يوسف سنة (685 هـ) وقلعة دبدو وشالة الحديثة التي تم بناء اسوارها وبابهـــا الاكبـــر في عهـــد ابي سعيد سنة (739) وقلعة كرسيف وشفشاون التي اسسها ابـــو حســون المرينـــي سنة (866) اي قبـــل اضمحلال الدولة بثلاث سنوات ، وقصبة العرائش التي تم بناؤهـــا سنة (657 هـ) على يـــد يوســـف بن علي ، وقصبة مكناس التي بناها ابو يوسف سنـــة (674 هـ) وهو ايضا باني المدينة البيضاء في نهاية السنة نفسها ، ثم المنصورة التي بناها يوسف بن يعقوب حول تلمسان سنة (698 هـ) :

---

* الجـــزء 2 ، ص ، 58

* « La Nation Africaine », Rabat, 3 octobre 1963.

1 ـ قصبة مكناسة :

بناها ابو يوسف المريني كما تقدم ، وانشا بها مدرسة الشهود وكانت تدعى مدرسة القاضي حيث كان يعطي بها بعض الدروس القاضي ابو علي الونشريسي ، كما بنى بها ابو الحسن زاوية المشاورين وزاوية القورجة وعددا من القناطر والمرافق . وتدعى المدرسة المذكورة اليوم بالفيلالية . اما زاوية المشاورين فقد صارت فيما بعد اصطبلا ، كما صار مكان زاوية القورجة في اوائل عهد الحماية الفرنسية مبنى للبلدية وعدد آخر من البنايات العمومية .

2 ـ المدينة البيضاء :

بنيت في آخر شهر من سنة (674 هـ) (1276 م) على يد ابي يوسف او على الاصح بدا بناؤها منذ ذلك الوقت واتخذها المرينيون منذئذ ، عاصمة لهم ، وسورها ابو يوسف ، كما بنى جامعها بواسطة اسرى الاسبان واشرف على البناء ابو عبد الله الجدودي وابن الازرق والي مكناس وتم اجراء الماء الى الدور والقصور كما بنى بها رجال الحاشية الملكية عددا من المنازل الى أن توسعت بسرعة عند تكاثر السكان ، وضمنهم اليهود الذين كانوا يقطنون فيما قبل بحي القرويين واستخدموا في مبانيهم بالملاح الذي بنى لعهد ابي يوسف ، نفس الاسلوب الاندلسي الذي عرفه المسلمون في عهد بني مرين .

3 ـ قصبة تطوان :

بنيت في عهد يوسف بن يعقوب سنة (685 هـ) وكان بناء القصبة يهدف الى حصار سبتة والاستيلاء عليها شان طريقة بني مرين في حصار المدن الاخرى كالجزيرة الخضراء وتلمسان التي بنوا حولها المنصورة، وقد ظلت المدينة عامرة نحو قرن حتى اصبحت من المراكز الاولى للقرصنة بالمغرب . وحوالي سنة (803هـ) (400 م) استولى عليها الاسبان فهجرها سكانها وخربها الغزاة ثم جدد بناؤها على يد ابي الحسن المنظري بعد نحو تسعين سنة (*) .

4 ـ المنصورة :

اسسها يوسف بن يعقوب قرب تلمسان سنة (698 هـ) ليضرب منها الحصار على هذه المدينة التي كانت عاصمة لبني عبد الواد . وبينما كان مستقرا بالمنصورة كانت جيوشه تنتقل بين واجهات المغرب الاوسط الاخرى لافتتاحها . وقبل ان يدير يوسف السور على المنصورة بنى قصرا لسكناه ومسجدا ، كما بنى مارستانا وحماما وخانات حتى صارت مدينة كاملة المرافق « واستبحرت عمارتها وهالت اسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن المغرب(*) »ولكن بني عبد الله الواد سرعان ما خربوها بعد انسحاب بني مرين .

المدارس :

اهتم المرينيون ببناء المدارس التي سبقهم اليها الموحدون فيما رواه بعض المؤرخين ولكن على نطاق اوسع . على ان بعض هذه المدارس التي لا تزال قائمة كآثار فنية اصيلة ، تشهد اكثر من أي شيء آخر بروعة الفن المريني .

وكان القصد من بناء هذه المدارس ايواء الطلبة ، ولكن بعضها كان يستعمل للتدريس ايضا الى جانب المساجد الكبرى كالقرويين مثلا ، ويتولى الاشراف على المدرسة مقدم يخضع لمراقبة القاضي بعد ان يختاره الطلبة وكان على المقدم ان يجمع بين مهام المقتصد والمؤذن والبواب والخادم (*) وكثير من البيوت يتوارثها الطلبة من نفس العائلة عن طريق العدول ، وقد يبيع الطالب مفتاح البيت الى زميله . وللطلبة مؤونة يومية ظلت تتناقص مع الايام حتى انحصرت في خبزة ، بالرغم من كثرة الاوقاف المخصصة لهذه المدارس .

وللمدرسة مسجد داخلها وله امام راتب من الطلبة او غيرهم . وكانت المدارس تصلها هدايا وتبرعات كثيرة من المحسنين ، كما تقام على شرف الطلبة مآدب داخل المدرسة بمناسبة احتفال عائلي او عيد . فكان الطلبة والحالة هذه يحظون بعطف سكان الحي .

---

* تاريخ تطوان 1 ص 83
* ابن خ 7 ص 459
* مجلد 18 (Archives Marocaines)

وكثير من مشاهير العلماء قاموا بالتدريس في بعض هذه المدارس كاحمد بن سعيد القبجميسي خطيب القرويين وكان يدرس بالعنانية (*) والمفتي محمد المقري التلمساني قاضي القضاة الذي قام بتدريس صحيح مسلم في المدرسة المذكورة (*)، وكان ابو عنان يحضر مجلسه فجرى يوما بالمجلس الحديث النبوي عن الخلافة في قريش، فقال المقري : ان هذا الحديث مظنون به غير مقطوع به وكان يرمي من وراء ذلك الى مساندة شرعية الخلافة المرينية . فلما ذهب ابو عنان الى قصره بعث اليه بالف دينار جزاء له على ذلك، ولكن العالم اثار استياء الشعب !

وقد كان لكل من هذه المدارس خزانة علمية ضاع جلها مع مر الايام، ومن اهم مدارس بني مرين :

1) مدرسة الحلفائيين بفاس وهي اول ما بني من مدارس بني مرين (*)، وكان مؤسسها هو يعقوب سنة (679 هـ) وقيل كان اسمها في اول الامر المدرسة، ثم دعيت الصفارين اذ تقع في حومتهم وقد جهزها المنصور بخزانة كبيرة كان ضمنها عدد من الكتب التي كانت لدى اليهود والمسيحيين في مملكة قشتالة، والتي كان تسليمها من الشروط المتفق عليها بين الطرفين سنة (684 هـ) وللمدرسة منار يتجه بدقة الى القبلة، وكانت تؤدى فيه الصلوات الخمس ولكن لم تكن تعطى فيها دروس (*) .

2) مدرسة فاس الجديد بناها ابو سعيد سنة 720) وكان لها طلبة يرتلون القرآن واحباس كثيرة، وفي عهد العلويين حولت الى معهد للتخصص العلمي على يد السلطان محمد بن عبد الرحمن وكان خليفة اذ ذاك . وكان يتخرج منها الموظفون الاداريون، ثم ادخلت في المشور بعد ذلك . ومن خريجيها محمد الجباص ممثل السلطان بطنجة .

3) مدرسة الصهريج بناها ابو الحسن سنة (721) قرب مسجد الاندلس بفاس وكان يومئذ خليفة لوالده. وليس لها منار وقد اخذت اسمها من الصهريج المستطيل الموجود بفنائها وقد كلف بناؤها اكثر من مائة الف دينار : (100 الف) وكان بها اساتذة نظاميون وجددت لاول مرة على يد عبد الله الغالب السعدي سنة 1562 م) ويمتاز بناؤها بالانسجام وبالبساطة .

4) مدرسة العطارين بنيت سنة (723) في عهد ابي سعيد عثمان على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس وحضر ابو سعيد وضع حجرها الاساسي واشترى لها السلطان عددا من العمارات وكان بها ما بين 30 وخمسين بيتا وهي من اجمل مدارس بني مرين اذ تمتاز بتنسيق زخارفها خصوصا في الصحن وبيت الصلاة وكان بها اساتذة نظاميون وقومة كثيرون.

5) مدرسة الطالعة بسلا بناها ابو الحسن سنة 1333 م (733 هـ) وهي غير بعيدة من المسجد الاعظم وكان بظاهرها سقاية ماء اوقف جريانه منذ عهد قريب ويتوسطها صحن مفروش بالفسيفساء وفي وسطه صهريج صغير من الرخام، كما يوجد بيت الصلاة داخل الفناء، واربعة وعشرون بيتا للطلبة موزعة بين طابقين . ومن المعلوم ان المسجد الاعظم بسلا ومدرسة الجوفية من بناء المنصور الموحدي . وقيل ان الفراغ من بناء المدرسة المرينية كان سنة (742) (*) وقد نقش على جدرانها قصيدة في مدح ابي الحسن .

6) المدرسة المصباحية بفاس من بناء ابي الحسن ايضا وتحمل اسم اول اساتذتها وهو ابو الضياء مصباح بن عبد الله اليلصوتي، وكانت تحتوي على 117 حجرة، وتشتمل على ثلاث طبقات زيادة على السفلى ولها بابان الرئيسي منهما يواجه باب ساقية العين من جامع القرويين، وتبلغ بيلتها الرخامية نحو متر ونصف عرضا ومترين طولا، وكان لها باب ثالث ينفذ الى زقاق الحجامة .

7) المدرسة البوعنانية : بدا بناؤها وتم في عهد ابي عنان بفاس من سنة 751 — 756 هـ (1350 — 1357 م) وهي آخر واجمل مدارس بني مرين وصفها ابن خلدون بانه لم ير لها نظيرا بالمشرق وقد بدا بناؤها على يد الناظر ابي الحسن بن احمد بن الاشقر . وخصص لها ابو عنان احباسا عديدة منها حمام ومنزل مجاور له

---

* نيل الابتهاج ص 21
* مشاهير اعيان فاس قديما ص 32
* ذخيرة 188
* مجلد 18 ص 263 (Archives Marocaines)
* الاتحاف الوجيز ص 23 — 24

بمقابلة المدرسة ورحى بجوارها وفرن واصطبلات ودكاكين بزنقة غابة القصر وحوالي اربعة وسبعين دكانا (*) وذلك للانفاق على طلبتها وقومتها واساتذتها. ولها منارة في غاية الروعة ، ومسجدها ينفصل عنها بوادي اللمطيين القادم من باب ابي الجنود . ولكن توجد قنطرتان توصلان المدرسة ببيت الصلاة . وصنعت لها مجانة ذات ثلاثة عشر طاسا وصحنها مبلط بالرخام الابيض والوردي .

وقد كانت تقام صلاة الجمعة في هذه المدرسة التي فقدت اهميتها منذ عهد الوطاسيين حيث حول ريع اوقافها لصالح الجهاد واحتفظ الطلبة بحق السكنى ، وكانوا من قبل مكفولين طعاما وملبسا

ولبني مرين مدارس اخرى كثيرة منها مدرسة السبعيين بفاس ودعيت كذلك لانها كانت تدرس فيها القراءات السبع ، ومدرسة العباد قرب تلمسان من بناء ابي الحسن ، والمدرسة البوعنانية بمكناس ، وهي في الحقيقة من بناء ابي الحسن (*) ومدرسة القاضي بمكناس من بناء ابي يوسف والمدرسة العجيبة بباب احساين بسلا من بناء ابي عنان . واكثر الملوك بناء المدارس ابو الحسن الذي شادها بتازا ومكناس وسلا وطنجة وسبتة واسفي وآزمور وآنفا واغمات والقصر الكبير والعباد (*) .

المساجد :

شاد المرينيون عدة مساجد في مختلف انحاء المغربين الاقصى والاوسط ، وامتاز فنهم في هذه المساجد بالدقة وكثرة التوريقات والمقرنصات خصوصا حول المحراب . ومن اشهر مساجدهم :

1) جامع فاس الجديد الذي تم سنة (677 هـ) ايام ابي يوسف الذي صنع له منبرا رائعا وثريا تزن سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا وعدد كؤوسها 187 وبنيت المقصورة سنة (779 هـ) (*) . ويتصل الجامع بالقصر الملكي بواسطة باب يؤدي الى بيت الصلاة ، وقيل ان ابا يوسف انفق في بناء الجامع وصنع الثريا ثمانية الاف دينار ذهبية .

2) جامع العباد قرب تلمسان والذي يزدان بمدخل قد غطي بالفسيفساء ، ويتوفر المسجد على خمس بلاطات وثلاث اساكيب ومحراب ذي زخارف من الآجر والطين ، وهو من بناء ابي يعقوب .

3) جامع القصبة بتلمسان من بناء ابي الحسن .

4) الجامع الكبير بتلمسان من بناء ابي الحسن ايضا ، وقد وصف ابن مرزوق منبره بانه لم يعمل مثله في المعمور .

5) جامع وجدة من بناء ابي يعقوب .

على انه لم يبق من مساجد بني مرين الكبرى الا عدد قليل جدا ، ولكن في المساجد الملحقة بمدارسهم بفاس ما يعطي نظرة كافية عن فن بناء المساجد في عهدهم .

المارستانات :

سبق الى بناء المارستانات كل من يعقوب ويوسف الذي بنى مارستان المنصورة قرب تلمسان (*) ، كما عني ابو الحسن بتجهيز وتسيير هذه المنشآت العمومية . ومن اشهر مارستانات بني مرين ذلك الذي بناه ابو عنان بسلا وسط حارة اليهود من حومة باب احساين وهو كما يذكره المؤرخ ابن علي الكالي بناء حفيل (*) مشتمل على بيوت كثيرة لاستقرار المرضى والمجانين والحمقى ، واجرى له الماء من الداخل على السور الذي بناه ابو الحسن ، ورتب له ابو عنان قومة واطباء ، وكان في القديم فندقا للزيت ثم هجر المارستان بعد ضعف الدولة وعاد فندقا كما كان من قبل وبقي اسم بانيه الى ان امحي في بدء الحماية الفرنسية (*) وهو يحمل اسم فندق اسكور ولكنه خرب الآن .

---

* مجلد 18 ص 278 (Archives Marocaines)
* اتحاف اعلام الناس 1 ص 122
* نخب من مسند ابن مرزوق بهسبيريس
* ذخيرة 188 .
* ابن خلدون 7 ص 458 .
* الاتحاف الوجيز ورقة 24 .
* ص 26 ج 1 Le Maroc et ses villes d'art.

الــزوايــــــا :

بنى ملوك بني مرين عددا من الزوايا في مختلف ارجاء مملكتهم لاستقبال الغرباء والمسافرين والموظفين المتنقلين ومن اهمها زاوية النساك بسلا من بناء ابي عنان سنة (1356 م) وكان لها بابان وساحة مغطاة بالفسيفساء وصهريج تغذيه (مطفية) ولم يبق منها الا باب مزخرف قريب من ساحة باب الخميس .

منشــآت اخــــرى :

اما ما يدخل في نطاق ما نسميه اليوم بالاشغال العمومية فقد مهر بنو مرين في هندسة الاسوار ونظام الري والقناطر والموانيء والقنوات ، وهم بانو سور فاس في عهد ابي يوسف سنة (673 هـ) على يد عامل الرباط ابي سالم ابراهيم ، كما بنوا سور الاقواس بسلا ، وهو الذي وصفه الناصري بما يلي (*) :

« اعلم ان هذا السور من المباني العالية والهياكل العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها . وهذا السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على اميال كثيرة ممتدا من القبلة الى الجوف على اضخم بناء واحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسي ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الارض متى ارتفعت ، ويعلو عليها اذا انخفضت ويجري على متنه من الماء مقدار النهر الصغير في ساقية قد اتخذت له . ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض عنه وكلما مر في سيره بطريق مسلوك فتحت له فيه اقواس فسمي لذلك سور الاقواس . وبالجملة فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة . »

اما القناطر فقد بنيت عشرات منها كقنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريج في عهد يوسف سنة (680 هـ) وهو الذي ركب الناعورة الكبرى على وادي فاس سنة 685 هـ) وانشا ابو الحسن قناطر وادي ردات وبني سبيل والوادي داخل فاس وباب الجياد والرصيف بفاس وغيرها .

وبنى المرينيون دار الصناعة بسلا في عهد يعقوب بن عبد الحق . وكان لواديها منفذان حيث جلب الماء من ابي رقراق الى الباب المسامت لجامع حسان من عدوة الرباط في ترعة عميقة ، فاذا صنعت سفينة في الترسانة المذكورة واريد أرسالها في الوادي فتحت الترعة فيدخل الماء وتعوم فيه السفينة فتخرج من الباب القبلي طافية فوق الماء الى ان تدخل الوادي ، وبنيت الترسانة على يد ابي عبد الله الاشبيلي الميكانيكي الذي توفي بفاس سنة 714 هـ وكان خشب السفن يجلب من المعمورة لصناعة السفن الحربية والمدنية . وكان السلطان محمد بن عبد الله العلوي قد عرض على الاتراك تجديد هذه الترسانة فطلبوا منه مدة عشرين سنة لانجازها مما دفع به الى بناء مرسى الصويرة (*) .

واهم بناء مريني بقي حتى الآن غير المساجد والمدارس المذكورة هو قرية شالة الحديثة وهي في الاصل من منشآت الفينيقيين ، ثم جددها القرطاجنيون فالرومان بعدهم . وكانت سفن الفنيقيين والقرطاجنيين تاتي اليها بالبضائع من عاج وصمغ وجلد وريش نعام ؛ وحتى الفيلة التي كانوا يستعملونها في حروبهم . وكانت تمد روما بالمنتجات الفلاحية ، وهي من اوائل المدن التي دخلت في الاسلام ايام ادريس الاول . وعند ظهور المرابطين كانت مقرا للبرغواطيين الذين خربوها ثم اعادوا بناءها (*) » ولكن الادريسي وصف خرابها حتى اذا اسس الموحدون الرباط انتقل اليها اهل شالة بتجارتهم وصناعاتهم على ان عبد المومن جلب اليها الماء من عين غبولة ، كما بنى بها المنصور الموحدي مسجدا وحصنا عظيما ومارستانا لذوي العاهات والامراض .

وفي عهد بني مرين تم تسويرها واتخذت مدفنا لعظماء وملوك الدولة ؛ وكان اول من دفن بها المنصور المريني الذي نقل رفاته من الجزيرة ودفن بجامعها (*)

---

* الاستقصاء ج 3 ص 176 .
* كل المعلومات عن هذه الترسانة من الاتحاف الوجيز ص 29 — 30 .
* مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ص 14
* نفس المصدر ص 20

وقد بنى بها المرينيون قبابا رائعة . وممن دفـن بهـا يوسف الاول وابو سعيد وابو الحسن وزوجته الحـرة ام ابي عنـان . وكان ابو الحسن قد دفـن في مراكش ثم نقل رفاته الى شالة ، وهو الذي كان قد سور هـذه المدينة وشاد بها قبة كبيرة زخرفها بنقـوش ذهبيـة والصق احجارها بالرصاص . وقد زخرفت مختلـف القباب والقبور بالآيات الكريمة والامداح والمراثي كمـا وقف على المقـرة عدد من الاوقاف الحبسية لصيانتهـا واطعام من يفد عليها من ابناء السبيل . وكان يرتـل بها القرآن الكريـم يوميـا .

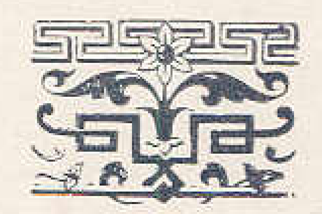
وحدثت ثورة ضد آخر ملوك بني مرين ، وهو عبد عبد الحق بن ابي سعيد من طرف اللحياني الورتاجنـي الذي استولى على مكناسة وشالـة والرباط وسـلا ، فخرب شالة واستولى على دخائرها واموالها وشـرد طلبة القرآن بها واستولى على مصاحفها وتحفها .

وقد بقي من شالة مـع هذا ، القصبة المرينيـة نفسها وبابها الرئيسـي الذي ما يزال على حالته الاصلية، وزاويتها الموجودة عن يسـار هذا الباب ومسجدان لكل منهما ميضأة ومنارة ، وقـد دفن باحدهمـا يعقـوب المنصور ، وكان بهما خزانة بها كتب طافحة ، كما بقيت آثار بيوت يظن انها كانت مـاوى للحفـاظ وسدنـة الاضرحـــة (*) .

اكاديــر : ابراهيم حركات

---

* الاتحاف الوجيز ص 33 .



الدعوة إلى تأسيس مجمع علمي

للأستاذ : عبد اللطيف أحمد خالص

تلعب المجامع العلمية في كثير من الاقطار العربية والبلدان الاجنبية دورا كبيرا في نشر العلم وبث المعارف وتشجيع المواهب الفنية وتكوين المثقفين والعلماء والمؤرخين واحياء التراث الوطني وتأسيس المكتبات العلمية والخزائنات الوطنية .

والمجامع العلمية خلايا نشيطة في الميدان الثقافي فهي تؤدي رسالة عظيمة في كثير من الامم لانها تلم شتات العلماء وتجمع شمل الادباء وتكون النخبة الممتازة من كبار المثقفين والمفكرين الشاعرين بالواجب الوطني الذي يتعين عليهم اداؤه وسط امتهم ولصالح بلادهم .

والمجامع العلمية مرآة ينعكس عليها نشاط الامم في ميادين العلم والثقافة لانها المحور الرئيسي والمحرك الاساسي لكل نشاط ثقافي وكل حركة علمية .

ولو لم يكن لهذه المجامع دور مهم في تحريك النشاط الثقافي وتكوين المجتمع تكوينا صالحا متينا لما رأينا الكثير من الاقطار المتقدمة والمتخلفة تعمل على تأسيسها وتجد في تشجيعها ومد يد المساعدة الى اعضائها حتى يؤدوا واجبهم على الوجه الاكمل . فلا غرابة اذا رأينا مثلا فرنسا والجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا تتوفر على مجامع علمية مهمة تضم احسن العناصر المثقفة واجود المؤلفين والكتاب والشعراء المنتجين واكبر الخبراء بشؤون العلم والادب والثقافة وتسهر على النشاط الثقافي والعلمي باهتمام كبير واعتبار عظيم .

ولولا الجهود الكبرى التي بذلتها هذه المجامع في الاقطار المذكورة لما رأينا تلك الاقطار تتوفر اليوم على انتاج ادبي رفيع غزا اسواق العالم اجمع وملك الباب المثقفين في كثير من بقاع العالم .

ان الفضل الاكبر في الشهرة العلمية التي ادركتها تلك الامم يرجع الى هذه المجامع العلمية التي استطاعت بفضل نشاط رجالها واجتهاد اربابها واشتغال اعضائها ان تكون طبقة من العلماء والادباء والمفكرين الذين وجدوا منها ومن اعضائها التشجيع المادي والادبي الكبير الفعال والتوجيه الصادق والمراقبة اللطيفة والحث المستمر والمعونة المتواصلة.

فالمجامع العلمية تستحث الهمم وتقوي المواهب الفنية وتزود رجال الفكر بالمواد الخام اذا امكن استعمال هذا التعبير في مضمار الثقافة والعلم . وهي بالاضافة الى كل ذلك تسهر على وضع التخطيطات المستعجلة للنهوض الفكري والنمو الثقافي والازدهار العلمي .

والحقيقة ان المجامع العلمية حلقة يتصل فيها العلماء والادباء ليتدارسوا فيما بينهم ويتباحثوا في مستقبل الثقافة في بلادهم ويتناقشوا في مواضيع فكرية ومشاريع ثقافية كما يستغلون فرص تجمعهم فيعرض كل واحد منهم على الآخرين انتاجه ليعرف رأيهم فيه وحكمهم عليه فيحظى بارشاد زملائه وتوجيهات المجمع ويستمع لملاحظات الاعضاء ؛ ومما لا شك فيه ان امثال هذه المجامع تدعو الى التنافس والتسابق في ميدان التاليف والنشر والانتاج ؛ ولن ينتج عن هذا التنافس الا الخير العميم والفضل العظيم

ان نظرة خاطفة على ما حققته الاكاديمية الفرنسية منذ نشأتها الى الآن والى ما قام به غيرها من المجامع العلمية يعطينا الدليل القوي والبرهان الحقيقي على ما يمكن ان تقوم به هذه المجامع من نشاط ثقافي حافل وما تستطيع ان تؤديه من الاعمال الجليلة والخدمات المثمرة لصالح البلاد وخير العباد .

لقد بدأت الاكاديمية الفرنسية تعمل عملها الثقافي المحمود منذ سنة 1634 عند ما دعا الكاردينال دوريشليو صديقه فالانتان كونرارط الذي كان يجتمع في بيته عدد من الادباء والمثقفين كان همهم الوحيد الاهتمام بالادب والتعرف على كل حركة او نشاط يهدف الى خدمة العلم والثقافة كما كانت

غايتهم عرض انتاجهم على بعضهم لمعرفة راي الجميع فيه . وقد ابتدات هذه الاجتماعات منذ سنة 1629 وكان هؤلاء المثقفون يجتمعون في كل اسبوع في بيت زميلهم فالانتان كونرارط الذي اصبح يعتبر بعد تاسيس الاكاديمية اب الاكاديمية الفرنسية .

ومنذ سنة 1634 اصبح النشاط الثقافي في فرنسا يحظى بالتاييد الكامل من الدولة وبالتشجيع الكافي من كبار المثقفين الذين ساروا متفرغين للقيام بهذا العمل مستعدين لكل ما يتطلبه من اجتهاد وكد متحملين اعباءه باكملها حتى استطاعت فرنسا بواسطة هذا المجمع واعضائه ان تغزو العالم بمثقفيها وانتاجاتها الادبية والعلمية .

وقد ساعدت الاكاديمية الفرنسية بنصيب وافر على ذيوع اللغة الفرنسية وآدابها ومؤلفاتها في العالم حتى اصبح الفرنسيون يتكلمون عن عالمية اللغة الفرنسية وسيادتها على باقي اللهجات واللغات .

افلا يدل هذا على اهمية هذه المجامع وفعاليتها في رفع المستوى الثقافي في مختلف الاقطار ؟ اولا يليق بالمغرب ان يحذو حذو هذه الامم ليكمل نضجه الثقافي ؟ او ليس من مصلحة بلادنا ان تحظى هي بدورها بمجمع علمي يضم كبار ادبائنا وعلمائنا ومؤرخينا ومثقفينا ؟ الم يحن الوقت بعد لنسلك الطريق الذي سلكه غيرنا حتى يكون لنا مجمع علمي نباهي به المجامع العلمية الموجودة في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق ؟

فالمغرب ولله الحمد يتوفر على نخبة ممتازة من العلماء والادباء والمؤرخين الذين يبذلون كبير الجهود ويستغلون كل امكانياتهم الخاصة في ميدان التاليف والنشر ومضمار البحث والتاريخ ويطرقون سائر الابواب من قصة وشعر وفلسفة مساهمين بذلك في تكوين مكتبتنا الوطنية وخزانتنا العلمية القومية ؛ ولكن جهود ادبائنا مبعثرة ونشاطهم مشتت وعملهم غير منظم ولا يسير على نسق يتفق وحاجيات المغرب لانهم لا يتوفرون على مجمع يضم شتاتهم ويوحد نشاطهم ويحدد الاهداف البعيدة والقريبة التي يتعين ادراكها في وقت معلوم وابان محدود . والعمل كيف ما كان نوعه وشكله في حاجة الى ضبط وتنظيم وتحديد وتصميم ؛ والنهوض الثقافي جدير بهذا النوع من التنظيم والتصميم وقد يكون اولى بالعناية والاهتمام واجدر بالاتقان والاحكام .

وليس من المعقول ان يظل المغرب الذي اختير عدد من كبار علمائه وادبائه كاعضاء دائمين في مجامع علمية ومنظمات ثقافية دولية غير متوفرة على مجمع علمي يجمع شتات رجال العلم والفكر والثقافة ويضم شملهم ويوحد عملهم وينظم نشاطهم .

وليس من المعقول كذلك ان يظل المغرب الذي تتوفر كثير من الادارات والوزارات فيه على اقسام ثقافية ومراكز للبحوث العلمية ومصالح للعلوم والفنون ومعاهد للآثار والتنقيب بدون مجمع علمي يجمع شمل تلك المراكز والمعاهد والاقسام المهتمة بكل ما يمس الثقافة والعلوم ويحركها والمسؤولين عنها للقيام بعمل ثقافي موحد يكون باكورة حسنة في سبيل ازدهار ثقافي وتطور علمي نطرب جميعا لعواقبه الحسنة وآثاره الطيبة .

وسيكون مجمعنا العلمي بادرة خير في طريق رفع مستوى انتاجنا الثقافي وفتحا جديدا في مجالي العلم والفكر والثقافة تتفجر بواسطته طاقات المغرب الفكرية وتندلع منه شرارات مضيئة تنير لنا دياجي الفكر وغياهب العقل وتحرر عقول مثقفينا ومفكرينا فتنطلق الاقلام المغربية وتنتشر آراء رجالاتنا في الداخل والخارج ويصبح للفكر المغربي والانتاج الوطني وجود وكيان نساهم بهما في مضمار الثقافة العالمية .

ان اعتقادي الجازم ان المجمع العلمي سيكون سبب انتفاضة فكرية عارمة تتضح مجاليها في المستقبل وتتعدد مجاريها في القريب العاجل بحول الله . وسوف لا يجني المغرب من وراء تاسيسه الا الخير الكثير .

انني ارسل هذه الصيحة الى آذان المسؤولين حتى يفكروا في هذا الموضوع بصفة جدية ايجابية ويدرسوا الفكرة باتئاد وحكمة حتى لا يصطبغ تكوين هذا المجمع بالفوضى والارتجال لان تكوينه على هذا الشكل قد يحطم كل الآمال المعقودة عليه ويجعله يسير من بدايته الى نهايته في طريق غير سوي وسبيل غير مستقيم .

فعسى ان تجد هذه الدعوة آذانا صاغية وقلوبا واعية لدى المسؤولين عن تطور امتنا ورقي بلادنا وعسى ان يكون لها وقع حسن لدى ادبائنا ومثقفينا ومفكرينا حتى يشاركوا في الدعوة من اجلها ويقوموا بحملة واسعة في سبيل تحقيق هذا المشروع الذي لن يضر اذا كررنا القول للمرة الاخيرة بانه عمل هام ذو فوائد جمة ومنافع كثيرة .

الرباط : عبد اللطيف احمد خالص

مشكلة الطلاق

للأستاذة : فاطمة النهامي الغربي

قبل البدء في بحث هذه الآفة الاجتماعية لابد لنا من تعريفها : فالطلاق هو انفكاك عرى الرابطة بين الزوجين والقانون يعرف الطلاق كما يلي : الطلاق هو حل عقدة النكاح بايقاع الزوج او وكيله او من فوض له في ذلك او الزوجة التي ملكت هذا الحق او القاضي .

والطلاق ظاهرة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات وعند كل الطبقات . وما دامت الحياة الاجتماعية الصحيحة لا تتحقق ولا تستقيم الا بالزواج فقد نشأت عن ذلك قوانين اجتماعية تحدد هذه العلاقات الجنسية وتدعو للمعاشرة بالحسنى لحفظ النسل وتدعيم الاسرة وبذلك تكون ادت رسالتها الاجتماعية .

ويعتبر الزواج من اقوى الروابط العائلية ، غير انه قد تاتي اسباب تؤدي الى فرط عقد هذه الرابطة فينشا ما يسمى بالطلاق .

وتختلف نسبة الطلاق باختلاف الشعوب والطبقات كما تختلف من بلد الى آخر تبعا للقوانين المرعية والديانات المتبعة . فنجد ان انتشار الطلاق بصورة عامة في البلاد الاسلامية اكثر منه في البلاد المسيحية باعتبار ان الاسلام يجيز الطلاق اذا دعت لذلك ضرورة ملحة وهو على اشكال : الطلاق والخلع والايلاء والظهار غير انه ليس معنى ذلك ان الاسلام يبيح الطلاق بسهولة اذ ابغض الحلال الى الله الطلاق . وكذلك نجد ان نسبة الطلاق في البلاد البروتستانية اكثر منه في البلاد الكاثوليكية .

كما انه لا يمكننا ان ننسى ما للظروف الطارئة من اثر في كثرة الطلاق او الاقلال منه فالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن الحرب العالمية الاخيرة قد رفعت من نسبة الطلاق في النمسا والمانيا .

والملاحظ ان نسبة الطلاق قد ارتفعت في السنين الاخيرة في البلاد العربية الاسلامية مما يدعونا ان نعزو ازدياد هذه النسبة الى تغيير الحياة الاجتماعية اذ ان المفاهيم القديمة التي كانت تعتبر المراة ملكا للرجل يفعل بها ما يشاء وهي محكوم عليها بمسايرة رغباته بالطريقة التي يريدها قد اكل عليها الدهر وشرب اذ ان وضعية المراة قد تطورت ، فالمراة في ايامنا الحاضرة استقلت اقتصاديا عن الرجل وذلك عندما دخلت الى معترك الحياة الى جانب الرجل وشاركته في شتى الميادين وبذلك اصبحت شريكة للرجل بعد ان كانت عبدة له لها عليه ما له عليها من حقوق وواجبات . غير انه للاسف هنالك كثير من الرجال العصريين (هكذا يدعون ..) لا يريدون ان يعترفوا للمراة بهذه الحقوق

آثار الطلاق في تفكك الاسرة .

لهذا العامل اهمية كبرى في تفكك الاسرة والتطويح بها وبالاخير الى خلق مجتمع مضطرب فللطلاق آثار سيئة وخصوصا على الاطفال ويلاحظ الدكتور موريس بورو ان الطفل متى وقع الطلاق يخال نفسه مذنبا ولا يمكن ان يفسره الا بائم كان قد ارتكبه هو وسينتهي به الحال اخيرا الى ان يعتبر نفسه مجرما وان يسلك بالنتيجة طريق الاجرام . كما ان للطلاق اهمية كبرى في جنوح الاحداث من 80 الى 90 من المنحرفين الاحداث ياتون من اسر متفسخة منهم 60 ٪ من آباء مطلقين . وهناك امر آخر يجدر بنا ان نقف عنده الا وهو الزواج الثاني فهو على الغالب نتيجة للطلاق فالزوجة الجديدة تفضل دائما ابناءها

على ابناء زوجها مما يؤدي الى خصومات شديدة زد الى ذلك ان الزوج بدوره وبشكل لا شعوري يكره ابناء زوجته باعتبار انهم يذكرونه بان امهم كانت لغيره قبل ان تكون له . ونتيجة لهذه العوامل المتعددة الوجوه والاسباب يقع الاطفال ضحية لها فيزجون بانفسهم في غمار الشارع يجوبونه مع ابناء الازقة واصدقاء السوء وحدث ما شئت عما تجره هذه الحالة اليهم من اثم وانحراف .

وعناية الام بالطفل امر حيوي اذا فقدها وخاصة في المراحل الاولى من عمره تعرض لتاخر في نموه الجسمي والنفسي والمعنوي معا وهذا (بالتكوين) يحدثنا في كتابه (L'enfant et les relations familiales) عن طفل وضع مدة شهرين في احد المستشفيات فبلغ من العمر اربعة اشهر وكان حينئذ وزنه اقل من وزنه يوم ولادته كما كان شاحبا متجعدا وكان تنفسه بطيئا وحدث ان نقل هذا الطفل الى بيته فاذا به بعد مضي اربع وعشرين ساعة يصبح ناشطا باسم الثغر ثم اخذ يزداد وزنه بسرعة حتى اصبح طبيعيا في نهاية السنة الاولى مع العلم ان نظامه لم يطرا عليه اي تغيير .

فاذا كان لرعاية الام هذه الاهمية الجوهرية في تكوين جيل ناضج صالح فمن واجبنا ان نهتم بمعالجة مشكلة الطلاق للحد من تفاقمها .

كما انه لا يخفى ان بعض النساء المطلقات يصبح عندهن رد فعل نفسي يهوي بهن الى المزالق ويجرهن الى ارتكاب اعمال لا ترضى عنها الاخلاق الكريمة ويكن بالتالي سببا في تفسخ المجتمع وسقوطه في الرذائل والشقاء والتعاسة .

ومن اجل معالجة هذه الآفة الاجتماعية لابد من معرفة اسبابها، واسباب هذه المشكلة متعددة ومتداخلة ولكن من اجل التسهيل والتبسيط سنعزوها الى ثلاثة اسباب : عدم التوافق والامتزاج ثم الحالة الاقتصادية ثم الحالة الاخلاقية واخيرا اسباب اخرى.

فعدم التوافق والامتزاج هو في الحقيقة اهم هذه الاسباب قاطعة ، والمؤسف ان هذا السبب يستحيل اكتشافه قبل الزواج وقد ينشا بعده بسبب حالات العجز والبرودة النسبية في القوة الجنسية لدى احد الزوجين . ويقول ((هاملتون)) في كتابه (اخطاء الزواج) ان معظم المشاكل التي تنشا بين الزوجين مصدرها سوء العلاقة الجنسية بينهما وان هناك مشاكل عديدة اخرى يمكن للطرفين التغاضي عنها اذا تحسنت هذه العلاقة ولن تتحسن الا اذا فهمناها .
ولسنا ندعي بهذا القول ان المشاكل الجنسية هي وحدها التي تقرر مصير الروابط الزوجية ولكنها تشكل عنصرا اساسيا في سعادة العائلة او شقائها وتماسكها او انحلالها . فحيث يكون التلاؤم في الاذواق الجنسية والفهم الكامل يكون الوئام مخيما والطلاق الذي يقع بسبب بعض الخلافات بين الزوجين ما هو الا تبرير لاتمام الطلاق

اما حينما يتعلق بالسبب الاقتصادي فهو بدوره مهم . فللفقر كما نعلم نتائج وخيمة ومتعددة على المجتمع وغالبا ما يكون سببا في تعاسة وشقاء الاسرة ونفور الزوجين من بعضهما البعض وقد يؤدي احيانا الى الانفصال .

وكما هو معلوم ان السعادة هي غاية كل انسان في الحياة فالفرد يبحث عن سعادته اينما وجدها وعلى الوجه الذي يفهمها في عمله وفي زواجه وفي اختيار اصدقائه الخ ...

وسعادة الاسرة تقتضي من جميع افرادها المساهمة في الاهتمام بشؤون المنزل المادية وخلق جو من التفاهم والمحبة والانسجام . فتحقيق التكوين بين الزوج وزجته شيء صعب جدا ، فاذا كان التكيف بين الفرد ورؤسائه واقرانه يتطلب جهدا مع اعتبار ان الصلة بينهم تكون متقطعة وخارجية فان الصلة بين الزوجين تكون مستمرة وداخلية فيجب ان تصل الى التوحيد في النواحي الجسمية والنفسية اذ على الزوجين التوفيق بين الامزجة والعادات والاخلاق والمعتقدات والميول الخاصة بكل واحد منهما والملاحظ ان السعادة الزوجية تتطلب مجهودات شاقة لتحقيق التكيف بين الزوجين الجديدين .

واخيرا لابد من الاشارة الى الآثار السيئة التي تتركها في جو الاسرة تدخلات اهل الزوجين عادة وما تخلق من الخصومات والمشاحنات بين الزوجين .

وعلينا بعد ان بحثنا اسباب الطلاق ونتائجه ان نجد الطرق لعلاجه والا كان تناولنا للموضوع ناقصا .

وباعتبار ان اكبر نسبة للطلاق ترجع الى جهل احد الزوجين واحيانا كليهما معا بشؤون الزواج فهل انشاء معاهد وكليات لتعليم المقدمين على الزواج من

الجنسين في الحياة الزوجية السعيدة كما هو الحال في بعض الولايات المتحدة الاميريكية يكون علاجا ناجحا للحد من هذا المرض البغيض ؟ .

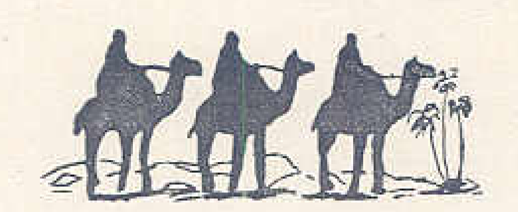
والاتجاه الآن هو ايجاد مواد دراسية تختص بالزواج والتعارف بين الخطيبين قبل الزواج ، هذه المواد موجودة كذلك في امريكا في السنوات النهائية من الدراسة الثانوية . وقد لوحظ ان الشبان والفتيان يتزوجون في سن مبكرة نتيجة هذه الدراسة كما اتضح ان نسبة الطلاق بين الجامعيين والجامعيات اقل بكثير منها بين سواهم .

والواقع ان انشاء كليات لدراسة هذا الفن غير عملي ، اذ لن يلتحق بها سوى عدد ضئيل جدا باعتبار ان أكثر الذين يذهبون الى المعاهد يذهبون لتاميسن حياتهم المادية ومركزهم الاجتماعي بالدرجة الاولى . والحل العملي لذلك هو النهوض بمستوى التعليم عامة فهو كفيل بانتاج جيل واع ينعم بحياة سعيدة وجعل البرامج خاصة لدراسة كل ما يتصل بامور الاسرة والمجتمع على ان تتلاءم هذه المناهج مع عقليات جميع طبقات المجتمع عن طريق الاذاعة والتلفزيون والمحاضرات وبعبارة اخرى تسخير كل الوسائل الحديثة لخدمة هذا الهدف ، ثم العناية بالهيئات الاجتماعية .

وهناك محاكم خاصة تدعى محاكم العائلة تنظر في الخلافات الزوجية قبل الطلاق او بعده ومحاولةالتوفيق بين الطرفين وقد صرح احد القضاة لاحدى الولايات الاميريكية انه تمكن من بلوغ النجاح فيما لا يقل عن 50٪ من الخلافات الزوجية التي وردت عليه .

مثل هذه المحاكم موجودة في امريكا وتونس ومصر وهي فكرة اجتماعية تناسب عصرنا الحاضر وان كانت قديمة اذ عرفها المجتمع الاسلامي منذ اكثر من 13 قرنا وهي فكرة التحكيم التي عبر عنها القرآن الكريم ((وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها)) صدق الله العظيم .

الربـاط : فاطمة التهامي



المسرح الكلاسيكي

للأستاذ عباس عبدالله الحاري

دعاني الى كتابة هذه المقالة دافعان : احدهما عام والآخر خاص . اما الدافع العام فأمل ملح في ان تفتح « دعوة الحق » امام قرالها آفاقا جديدة من الادب والفكر ، لعل من واجب كل من يقدر مسؤوليته في معركة الثقافة ان يكشف لهم عنها بقدر ما يستطيع . واما الدافع الخاص فمناقشة حول مفهوم المسرح الكلاسي ومقوماته ، دارت بيني وبين احد طلابنا المفتنين بالتمثيل ، يبدو من خلطه بين افكار ومعلومات لم تختمر بعد في ذهنه انه حديث عهد بدراسة هذا اللون من الادب وربما دراسة الادب على وجه العموم .

واذا عدنا الى معاجم اللغة نتتبع معاني الكلاسية او الاتباعية كما يترجمها بعض الباحثين العرب ، واذا حصرنا مواطن استعمال الناس لها ، الفينا ان مفهومها قد تحدد في الاذهان والكتب على عدة معان :

اولا : ما يعلم في الفصول الدراسية Classes

ثانيا : ما يسير وفق قواعد وقوانين معينة

ثالثا : التعليم الذي يعتمد على اللغات الكلاسية (اللاتينية واليونانية)

رابعا : الكتاب الكبار الذين ظهروا في القرن السابع عشر

خامسا : كتاب الطبقة الخاصة

سادسا : كل كاتب كبير

سابعا : كل شيء قديم ولو بعض القدم

ثامنا : احياء القديم

ولو تعمقنا قليلا في البحث لوجدنا ان المعنى الخامس كان اسبق هذه المعاني جميعا ، ففي مؤلف لاحد كتاب القرن الثاني اللاتينيين يدعى اولوجيل (ت سنة 163 Auiu Gelle) ، وهو اول من استعمل مصطلح الكلاسية ، وردت هاتان العبارتان : Scriptor classicus اي الكاتب الذي يكتب لطبقة خاصة من الناس هي الطبقة المثقفة Scriptor proletarius اي الكاتب الذي يكتب لطبقة العامة

ومع هذا ، فقد عاش المعنى الاول قرونا عدة في اذهان الناس ، واستنتجوا من مدلوله ان الكلاسية تشمل كل ما يمكن بحثه وتعلمه في المدارس والمعاهد ، وانه ليس غير روائع الادب اليوناني والروماني جديرا بالبحث والدرس ، وبالتالي جديرا بان يكون كلاسيا .

ولعلنا نستطيع ان نتبين المعنى الحق لهذا المصطلح اذا عرفنا ان علماء الاسكندرية اليونانيين حين راوا انفسهم قاصرين عن ابداع آثار ادبية شبيهة بما ابدعه عباقرة الشعر والمسرح في اثينا وغيرها من مدن الاغريق ، حولوا اهتمامهم الى دراسة انتاج هؤلاء العباقرة يحللونه وينقدونه ، وبالتالي — ومن غير ان يعلموا — يضعون قواعد وتحديدات للمذهب الكلاسي .

ثم تحول السلطان الى رومة ، فبسطت الدولة الرومانية سيادتها على كل شيء ما عدا الادب والفكر ، فقد ظلت زعامتهما لليونان . ولا عجب فالادباء الرومانيون وخاصة في العصر الاغسطي (63 — 14 ق م) معجبون بروائع النتاج الاغريقي ، يعرضونها ويرونها مثلا عاليا للتقليد والاحتذاء ، شانهم في ذلك شأن ادباء

الاسكندرية ، يقلدون الاغريق ويقدسون آراء ارسطو في المسرح والشعر ، فهم يدعون للصنعة والتقيد بالقواعد والمناهج ، ويدرسون النفس الانسانية ويبحثون في الطبائع والاهواء ويؤمنون بالموضوعية ويحكمون المنطق والعقل ويخفون العاطفة والخيال ويبرزون نماذج بشرية من خلال الخصائص الانسانية العامة التي يدرسونها .

كذلك ساروا في المسرح على دستور القدماء فخضعوا لهذه المقومات :

أولا : قانون الوحدات الثلاث :
La règle des trois unités

1 – وحدة العمل Unité d'action بمعنى ان تضم المسرحية فعلا واحدا تكون له بداية ووسط ونهاية . وهي وحدة اشترطها ارسطو (384 – 322 ق.م) سواء للملحمة او القصة المسرحية .

2 – وحدة الزمان Unité de temps وقد حددها ارسطو حين فرق في الزمن بين الملحمة والمأساة . فالملحمة لا تحدد مدتها ، في حين ان المأساة تحد بدورة واحدة للشمس أو لا تتعداها الا قليلا .

3 – وحدة المكان Unité de lieu وقد اضيفت فيما بعد قياسا على وحدة الزمن اذ لم ينص عليها ارسطو في كتاب الشعر .

ثانيا : عظمة الشخصيات ، بمعنى ان يكونوا من الآلهة وانصاف الآلهة والملوك والامراء ومن في طبقتهم ممن تتفق مكانتهم مع نبل الموضوع .

ثالثا : نقاء اللغة وخلوها من كل ما لا ينسجم وعظمة الشخصيات ، وهذا يقتضي ان تكون شعرا قويا واضحا ينضم على طريقة القدماء .

رابعا : وحدة النغم Unité de ton بحيث لايخلط الجد بالهزل في عمل مسرحي واحد .

خامسا : خضوع الاحداث للقضاء والقدر .

سادسا : معالجة مشكلة انسانية عامة .

سابعا : خمسة فصول عند الرومان بدلا من ثلاثة او اربعة عند الاغريق .

ثامنا : ابعاد مناظر القسوة والعنف من المسرح باعتباره مكان احترام وتقديس والتعويض عن تمثيلها بالوصف والاخبار .

تاسعا : ابعاد مناظر الخلاعة والدعارة .

وقد كتب لآراء القدماء وارسطو خاصة ان تغمض طوال العصر الوسيط لاسباب ربما كان من بينها خطأ الترجمة التي نقلت بها كتبه (*) ولكنها لم تلبث ان بعثت في ايطاليا عند منتصف القرن السادس عشر اثر الهجرة التي قام بها اساتذة الادب الاغريقي الى ايطاليا ، ولكن لا للمحافظة على المذهب الكلاسي كما عرفه ادباء روما والاسكندرية ، فقد كانت النهضة في ايطاليا قومية في طابعها وجوهرها ، وانما لخلق حركة جديدة تستوحي روحها واغلب قواعدها منه ، سماها الباحثون فيما بعد : كلاسية حديثة Néo-classicisme

تبلورت هذه الحركة في فرنسا طوال القرن السابع عشر حين احس الادباء الفرنسيون بضرورة خلق ادب قومي لا سيما بعد ان فقدوا على اثر الحروب الدينية (*) صلاتهم بالبلياد Pléiade التي كان قد انشأها رونسار (Ronsard 1524-1585) لحماية اللغة الفرنسية وتنميتها . ولم يكن هذا الادب تقليدا اعمى لادب الايطاليين والقدماء ، وانما كان محاكاة فاحصة وناقدة لروائع هؤلاء ودراسات اولئك ، ومحاولة صادقة لمعرفة اسباب الروعة والابداع فيما انتج القدماء . وقد لمع في هذه الفترة كورني 84 – 1606 (Corneille) ومالرب (1555 – 1628 (Malherbe) وديكارت (1596 – 1650 (Descartes) ثم راسين (Racine 1639-1699) وموليير (1622 – 1673 (Molière) وبوالو (1636 – 1711 (Boileau) وغيرهم من الادباء الذين وضعوا بانتاجهم الخصب الغزير قاعدة ثابتة لهذا المذهب .

---

* يكاد يجمع الباحثون على ان العصر الوسيط كان يعتمد في ارسطو على ترجمة ابن رشد وان هذه الترجمة كانت مليئة بالخطأ وسوء الفهم .

Les guerres de religion وهي ثمانية حروب دارت بين الكاثوليك والبروتستان من 1562 الى 1598 .

وانتقلت العدوى الى انجلترا ولكن دون ان يكون لها اثر كبير ، فقد كان الانجليز بطبيعتهم على اهبة واستعداد لحركة اخرى ستظهر فيما بعد . ثم ان الكلاسية فى انجلترا لم تكن تعبيرا عن فن ارستقراطي كما كان الحال فى فرنسا ، وانما كانت مرآة تعكس افكار الطبقة المتوسطة من الناس . اما المانيا فقد سارت فى طريق الكلاسية حين بزغ فجر نهضتها فى القرن الثامن عشر حيث نجد الناقد لسنج 1729 — 1781 يدعو الى مقررات اليونان ويدافع عنهما فى تحمس واقتناع .

ومع ان زعماء هذه المدرسة لجاوا الى الشكل المسرحي القديم والى تاريخ الرومان واساطير الاغريق يقتبسون منهما موضوعاتهم ، فانهم لجاوا كذلك الى بعض التعديل فى قواعد القدماء ، فقد راوا امكان اعطاء ادوار لشخصيات غير ارستقراطية وامكان تمديد وحدتي الزمان والمكان واضافة وحدة اخرى دعا لها كورني هي وحدة الخطر Unité de péril ولم يروا شرا من وجود عقد تضاف الى العقدة الاساسية شريطة ان تكون متماسكة ، وان تؤدي الى غاية واحدة ؛ والا تضعف من العقدة الرئيسية . وفى راي كورني انه يجب ان تعتمد الماساة على الصراع بين الاهواء وشيء آخر اقوى منها كالواجب او الوطنية . يكون النصر فيها للعاطفة النبيلة والارادة القوية . فالعواطف والاهواء تحل محل القضاء والقدر وكانها ادعى للعبرة النفسية مما تفرضه الصدفة والحظ .

ويبدو تحكم القضاء والقدر فى مصير الانسان واضحا عند سوفوكل (497 — 405 ق م (Sophocle فى ماساة اوديب ، ومجملها ان لايوسا ملك طيبة رزق بولي للعهد تنبأ الكهان انه سيقتل اباه ويتزوج امه ، فاراد الملك ان يتخلص منه فسلمه لاحد الرعاة ليقتله ولكنه اشفق عليه وسلمه لراع من مملكة كورنث لم يلبث ان ذهب به لملكه الذي اتخذه لعقمه وليا للعهد . ويكبر الطفل ليكشف له اصحابه فى ليلة خمر انه مجهول الاصل ، فيذهب الى احد الكهنة فيخبره بحقيقة امره ، فيهيم فى الارض حتى اذا وصل الى مفترق طرق قابل ركبا يصر على ان يمر قبله فتنشب معركة يقتل فيها كل اصحاب الركب دون ان يعرف انه ركب ابيه الذي كان فى طريقه الى الكهنة ليسالهم عن سبيل للتخلص من وحش يقطع الطريق على كل من لم يجبه على لغز . ويلقى اوديب هذا الوحش فيحل اللغز ويقتله ويريح اهل طيبة منه ، وكانوا قد نذروا ان الذي يخلصهم منه يجعلونه ملكا ويزوجونه ملكتهم . ويتولى اوديب ملك طيبة ويتزوج والدته ويتجب منها . وتمر السنون ويصاب البلد بطاعون يرى الكهنة انه لن يزول حتى يتخلص البلد من قاتل لايوس ومدنس فراشه . وتنكشف الحقيقة لاوديب فيفقا عينيه اما امه فتنتحر .

ويتمثل الصراع بين الحب والواجب فى كثير من ماسي كورني . ففي هوراس مثلا نجد الاخوة هوراس الثلاثة ، وهم محاربون رومان ، يخوضون حربا ضد مدينة الب يكون اطرافا لهم فيها الاخوة كورياس الثلاثة على الرغم من ان احدهم مرشح للزواج من كامي شقيقة الاخوة هوراس ويهلك اثنان من الهوراس ويفر الثالث ليقتل الكورياس الثلاثة فتثور اخته ويحدث صراع ، ولكن اخاها لا يطيق ثورتها فيقتلها . اما رومة فتعترف له بالواجب الذي اداه لوطنه وتغفر له جريمة قتل اخته .

ويتخذ هذا الصراع شكلا آخر عند راسين ، فيصبح صراعا بين العواطف والاهواء الجامحة . ففي اندروماك مثلا نجد سلسلة من العواطف والنزوات تبدا من اورست وتنتهي عند هكتور . فاورست يحب هرميون التي تحب بيروس الذي يحب اندروماك التي تحب ابنها السجين استياناكس والتي تضطر فى سبيل اطلاق سراحه الى قبول الزواج من بيروس ، وينتهي هذا الصراع العاطفي الحاد بقتل بيروس وانتحار هرميون وجنون اورست . اما اندروماك فتعتلي عرش اليونان بعد ان اصبحت وارثته الشرعية .

واذا كانت الماساة قد اقتفت آثار الاغريق والرومان ، فان الملهاة لهذا العهد فى فرنسا (القرن السابع عشر) كانت بدورها تقتفي آثار القدماء ، وكانوا فى الملهاة لا يطبقون القواعد المتبعة فى الماساة فارستوفان (445 — 387 ق م (Aristophane مثلا يتحلل من قانون الوحدات الثلاث وعظمة اللغة والشخصيات ، ولا يخضع لتيار الصدفة والقدر ، ولا يعتمد على غير المنطق فى نقد الحياة اليونانية وتصويرها تصويرا مضحكا قد يبلغ درجة الافحاش . وكذلك سارت الملهاة اللاتينية التي كادت ان تتحلل من كل قيد لولا انها حافظت على وحدتي الزمان والمكان .

اما موليير فبالرغم من انه عاصر كتاب الماساة الكلاسيين فانه لم يسايرهم فى تطبيق كل القواعد والقوانين التي كانوا يتبعونها ، فهو يصور عصره ويعني بمجتمعه ويدرس مشكلاته ويكشف شخصيات شعبية

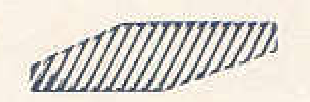
ووقائع محلية ويتحلل في الشعر من قيود كثيرة ويعمد الى استعمال النثر واحيانا الى استعمال لغة التخاطب واللهجات المحلية الخاصة بشخصياته . وقد يستغني عن حبك العقدة ويكتفي بعرض صورة جذابة من الحياة ، ثم هو بعد هذا لا يخفي ذاته وشخصيته وانما يكشف عنها في كثير من الوضوح . ومع ذلك ، فهو يطبق قانون الوحدات الثلاث ، ويبرز من خلال صوره نماذج بشرية على طريقة معاصريه من كتاب المأساة . وقد ظلت الملهاة تسير في هذا الطريق الذي خطه موليير الى ان تطور عند ماريفو (1763 — 1688 (Marivaux الى ما يسمى بالملهاة الباكية التي تصور الجانب المؤلم من حياة الناس الخاصة ؛ غير ان هذا النوع وجد مقاومة تزعمها بومارشيه (99 — 1732 (Beaumarchais الذي حاول ان يعود بالملهاة الى خط موليير ؛ ولكن محاولته لم تصمد طويلا لتيار التجديد .

ولم يكد القرن السابع عشر يقرب من الانتهاء حتى تعرضت الكلاسية لهزات عنيفة . فالازمات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية من جهة ، وظهور آثار الفلسفة الديكارتية التي بدأت تستخدم في نقد الدين وما صاحبها من انتصار المنطق والذوق على التزمت والتقليد من جهة أخرى ؛ ثم المعركة الطويلة التي نشبت بين القدماء والمحدثين حين ثار هؤلاء على تقديس القديم من جهة ثالثة ؛ كل هذه كانت علامات انذار بقرب نهاية المذهب الكلاسي . فلم يكن بنتصف القرن الثامن عشر حتى ظهر روسو (78 — 1712 (Rousseau يدعو الى الطبيعة وعدم التقيد بالقواعد والتقاليد ؛ وظهر شاتوبريان (Chateaubriand 1768-1848) ومدام دوستال (Mme de Staël 1766-1817) يجددان في الشكل والتعبير ، وظهر دوماس الاب (1870 — 1803 (Dumas père والفرد دفني (1863 — 1797 Alfred de Vigny يكتبان مسرحيات ابداعية تثير النقاد . ولم يكد هيجو (Hugo 1802-1885) يخرج رواياته حتى بدا واضحا ان المذهب الجديد قد اخذ مكانه في القلوب التي ضاقت ذرعا بكل قيد وغدت تواقة للحرية والانطلاق .

ومع ذلك فقد ظل كثير من الادباء يسيرون في تيار المذهب القديم يعتمدون على المنطق والعقل ويعتبرون التفكير الديكارتي قادرا على خلق نظرة جمالية كما هو قادر على خلق نظرية فلسفية . غير انهم على عكس عباقرة الادب الكلاسي الذين استطاعوا ان يبرزوا كيانهم ؛ لم يكونوا يومنون بقدرة الفنان على الخلق والابداع والاحساس بالجمال فلم ينتجوا غير ادب جامد لم تلبث الحركة الرومانسية ان اخذت مكانه وقضت عليه .

لقد ثارت الحركة الرومانسية — او الابداعية كما يترجمها بعض الدارسين العرب — على وحدات الزمان والمكان والنغم وعلى موضوعات التاريخ القديم وعلى ارستقراطية اللغة والشخصيات واصبحت تستوحي التاريخ المعاصر وتصور الحياة باحداثها الواقعة والوانها المحلية ومظاهرها العنيفة وشخصياتها الشعبية ومشكلاتها الاجتماعية المألوفة وتبسط الاسلوب الشعري وترفض كل المحسنات التي تحول دون وضوح التعبير بل ترى ان النثر انسب للمسرح في مجتمع قضت فيه الثورة على الطبقة الارستقراطية .

القاهرة — عباس عبد الله الجراري



الفكر الفلسفي والفكر الوجودي

للأستاذ : نجيب بلدي

قد يبدو لمطالع فلاسفة الغرب ان تغيرا جوهريا قد طرا لاول مرة على الفلسفة منذ بداية القرن التاسع عشر ، وذلك فى المانيا وفرنسا بوجه خاص . والحق ان الفارق يبدو عظيما بين فلسفات القرن السابع عشر وبين فلسفات القرنين التاسع عشر والعشرين ، بل يبدو ان هذا الفارق ذاته مما يميز الفلسفات الاخيرة عن فلسفات العصرين القديم والوسيط التي اسسها افلاطون وارسطو . فشيء من هذه الفلسفات ما زال مستمرا ، باقيا حتى نهاية القرن السابع عشر ، هذا بالرغم من ان نقطة البداية فى الفلسفة مختلفة ، وان هذه البداية بعد ان كانت اشياء فى الفلسفات القديمة اصبحت « الانا » او النفس عند ديكارت وتلاميذه . غير ان طبيعة المعرفة واحدة : رؤية ومشاهدة ليس الا ، تظهر فيها الاشياء للمشاهد ، فى جو نقي شفاف ، لاتقتضي منه الا ان يفتح عينيه ليراها ، كما يقول الفيلسوف الايرلندي جورج باركلي فى بداية القرن الثامن عشر . وموقف المشاهد من الاشياء واحد لم يتغير ، سواء اوصل اليها مباشرة بالحدس العقلي ، كما اعتقد ديكارت بعد الافلاطونيين ، ام على نحو غير مباشر ، بواسطة تجريد متصل من الحس والمحسوس . وموضوعات المعرفة ذاتها لها طابع واحد ، وصفات لم تتغير ، سواء اكانت مثلا حسب اعتبار افلاطون ، ام صورا وماهيات عند ارسطو ، ام طبائع حقيقية ثابتة عند ديكارت والديكارتيين . وكما امتاز موقف العارف بالسلبية ازاء الاشياء ، امتازت موضوعات المعرفة بالثبات والازلية . ومن ثم جاءت الفلسفة منفصلة عن الواقع الوجودي المحسوس ، عن الحدوث والزمن والتاريخ ، وظهر الفيلسوف محجما عن اي تدخل فى الواقع ، متجنبا اي محاولة لتغييره .

اما التغير الفلسفي الذي اشرنا اليه ، فلا شك انه قد ابتدا قبل القرن التاسع عشر ، وان بعض عوامله واضحة كل الوضوح عند كنط مثلا ، مؤسس الفلسفة النقدية . ونظن ان من الواجب اعتبار الثورة الفكرية التي اعلنها هذا الرجل فى كتبه الرئيسية مجاوزة فى خطرها وتاثيرها لجميع المحاولات التي قام بها رجال القرن السابع عشر فى الفلسفة والعلم .

كان كنط واعيا اشد الوعي للتغير الاجتماعي والاقتصادي الذي بدا فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، واعد بوعيه هذا فلسفات القرنين التاسع عشر والعشرين . كان وعيه وعيا ثوريا لما احدثه التقدم الصناعي من تغير فى معنى العلم ، وفى معنى موضوعات العالم ، وفى علاقة الانسان بالعالم . وهو هذا الوعي الذي جعله ينكر ان يكون علمنا الموضوعي مشاهدة لاشياء فى ذاتها ، وهو الذي جعله يثبت ان العلم صنع مستمر لموضوعات العالم ، واننا : (لا نفهم من الاشياء الا ما ركبناه وصنعناه بانفسنا) حسب عبارته فى الجزء الثاني من (نقد العقل النظري الخالص) .

وهو هذا الوعي الذي جعله ينكر ان تكون لدينا معرفة ميتافيزيقية حدسية للانا ، يستقل فيها الانا وينعزل عن العالم والموضوعات ، ويبقى فى هذا الانعزال متأملا ذاته ووجوده وحياته الداخلية البحت . ان الانا مع الموضوعات ، مرتبط بها وبتركيبها وصنعها ، ان الانا لا يعرف الا فى هذا الارتباط ، فى هذا التركيب والصنع . وعلى ذلك وجب الا نقول كما قال ديكارت : (انا افكر فانا موجود) بل ان نقول (انا افكر Ich denke او انا افكر فى الموضوع) او بعبارة افضل ، لم يقلها كنط بل جاءت على لسان تلاميذه وشارحيه (انا افكر فانا اعمل واصنع) .

نتقدم في الزمن حوالي سبعين عاما ، فنجد كارل ماركس ، مؤلف كتاب « راس المال » يقول : (ان الفلاسفة عملوا حتى الآن على البحث عن تاويلات مختلفة للعالم ، ولكن الامر الرئيسي هو كيف يمكن تغيير العالم) .

ولا فارق كبير بين عبارة كنط التي ذكرناها ، وبين هذه العبارة لكارل ماركس ، الا في عظم وعي ماركس للتطورات الصناعية والاجتماعية ، الحاضرة والممكنة ، وهو هذا الوعي الذي ادى به الى التصريح بمعنى جديد للفلسفة : ان الفلسفة وصف للتغير الذي تم في العالم من الوقت الذي شرع فيه الانسان معرفة العالم ، وصف لهذا التغير ، وحث مستمر على احداثه ، وصف اذن لتاريخ العالم ، وصنع لهذا التاريخ في الوقت ذاته . انها وعي لحركة الاصطدام المستمر بين ذهن عملي تظهر قدرته في عمل اليدين والالات ، وبين مادة تتحول تحولا مستمرا بفعل اليدين والالات ، وعي للصراع المستمر بين الانا والمادة ، صراع تنتهي فيه المادة بالتحول الى موضوعات ومصنوعات . وما دام الاصطدام او الصراع زمنيا ، بل كان هو الزمن ذاته في حقيقته الفعلية العملية ، كانت المعرفة صنع الاحداث وتاريخها في الوقت ذاته . وما دام الارتباط وثيقا بين المعرفة وصنع الاحداث وبالتالي بين المعرفة وتاريخ الاحداث ، اصبحت الفلسفة «فلسفة التاريخ» فحسب، اصبحت (مادية تاريخية (Matérialisme dialectique)

لا ان ماركس فيلسوف مادي يؤمن بالمادة الجامدة ، ويستصدر من تحولاتها العقل والمعرفة . انه في الواقع اقل ايمانا بها من افلاطون ، ومن ديكارت نفسه ، لا يثبتها كالافلاطونيين ليرى فيها الشر مجسما ، ولا كديكارت لان الاحساس والخيال يقتضيانها ، ولا كملبرانش لان الوحي الديني لايقوم بدونها .

ان (المادية التاريخية) انتهاء فلسفة الانا المنعزل عن العالم والموضوعات ، المتأمل في ذاته ووجوده واحواله الداخلية ، انها انتهاء فلسفة الذين توهموا في النفس قدرة على التأمل في المادة ، كما لو كانت هذه تمثال اله في معبد يوناني ، او في متحف من المتاحف الحديثة . ان « مادية » ماركس « مادية جدلية » تعتبر المادة في الجدل التاريخي وحده ، في صراع التاريخ ، في صراع الانسان مع الطبيعة ، صراع تختفي معه المادة الخام اختفاء نهائيا .

هذه هي الفلسفة التي تحل محل الفلسفة التقليدية ، فلسفة صنع وعمل ، موضوعها الاحداث والتغيرات والتاريخ ، لا فلسفة مشاهدة وتأمل ، موضوعها الماهيات المجردة ، المعاني والمثل الازلية الثابتة .

اليس الشبه قويا بين ما يسمى اليوم (بالوجودية) او ما وجب تسميته (بالفكر الوجودي) وبين هذه الفلسفة المادية التي ترى في الانا نتاج الفكر البورجوازي، التي تعطي الاولية للحدوث على الامور الثابتة ، لتاريخ الاشياء على معانيها. وهذا سارتر احد زعماء(الوجودية) في الوقت الحاضر ، الذي يرى في (الوجودية) اثباتا اسبق الوجود على الماهية ، يحس بالتشابه العميق بين تفكيره وبين الفلسفة الماركسية الى حد اتخاذ مبادىء هذه الفلسفة اساسا لآرائه السياسية في كتابه الاخير (نقد العقل الجدلي) بل الى حد الانتماء الى الحزب الشيوعي .

غير انه يجب علينا ان ننتبه الى شيء هام : ففي الوقت الذي نشأت فيه (المادية الجدلية) قامت مظاهر للفكر الوجودي اوضح واصرح مما نجد في الفلسفة المذكورة ومعارضة اشد المعارضة للفكر الفلسفي في صميمه . فهذا كير كجارد يصيح صيحته الشهيرة ضد هيجل وضد محاولته في فلسفة الدين المسيحي :

« انت الذي تفلسف الدين المسيحي ، هل انت مسيحي ؟ » مشيرا بهذا الكلام الى الهوة العميقة بين المعاني الثابتة التي يقام عليها دين من الاديان ، وبين حال المؤمن الذي «يجرب» ايمانه في كل لحظة ،ويجرب في ايمانه في كل لحظة . هذا لوكييه (Jules Léguier) الفيلسوف الفرنسي ومؤلف « البحث عن حقيقة اولى» يقرر القضية التي اتخذها سارتر فيما بعد شعارا لكتابه « الوجود والعدم » :

« العمل .. العمل .. وبالعمل نصنع انفسنا »

وهو لوكييه الذي يريد تحدي الاله في حريته الشخصية ، فيقرر : « سأسبح ما استطعت » — وكان يجهلها كلية — : « حتى ينقذني الاله ، اذا اراد انقاذي »

وبالفعل يتجرد لوكييه من ثيابه ، ويقذف بنفسه في مياه المحيط ، ويمضي في الماء ثواني ، حتى تغطيه الامواج ، فيغرق .

واضح ان الهوة عميقة بين الفكر الوجودي وفلسفة التاريخ ، بل بين هذا الفكر واي فلسفة كانت.

فثورة الفكر الوجودي على الفلسفة في القرن التاسع عشر ـ وسنرى انها سابقة على القرن التاسع عشر ذاته ـ لم تقم بالهام من الواقع الاقتصادي والاجتماعي ، ولا بالهام من التطور العلمي والصناعي ، كما كان الامر في نشأة « فلسفة التاريخ » انها بالعكس تصدر من اعماق الواقع الانساني الفردي ، من الوجود الشخصي الذي لا يقيم للعالم واحداثه وتاريخه وزنا .

« لان الانسان يعرف انه مائت ، اما العالم فلا يعرف شيئا » كما قال بسكال .

انها ثورة الفكر الذي يرفض البحث في معنى الوجود بوجه عام ، ويرى ضرورة الابتداء بالبحث في معنى وجود الباحث ذاته ، كما يقول هيدجر ، انها ثورة الانسان الحر الذي يرفض الارتباط بجبرية الاحداث الاجتماعية وتسلسلها التاريخي ، تلك الجبرية التي تعمل على اثباتها الفلسفة الماركسية .

بين الفلسفة الماركسية وبين « الوجودية » المعاصرة ، تشابه في الظاهر ادى الشعور به بالبعض الى قبول تلك الفلسفة بل الى الانتماء الى احزابها السياسية . ولكن بالرغم من هذا التشابه في الظاهر ، فالتباين جوهري ، بين الفلسفة التي تنتهي اليها « المادية الجدلية » وبين الفكر الوجودي . وقد ذكرنا كير كجارد ولوكيه وبسكال ، وسياتي لنا ان نذكر غيرهم ، مما يدل على تنوع وتعدد تيارات الفكر الوجودي .

وفي نظرنا ، هناك سؤال رئيسي ، يجب وضعه بصدد التفكير الوجودي ، وهو : ان صح أن مصير الفلسفة هو الانتهاء الى « مادية جدلية » فهل التمييز بين الفكر الفلسفي والفكر الوجودي هو بحيث يمنع أي اتحاد بينهما واي تفاعل ؟ .

واضح ان هذا السؤال الرئيسي يتضمن عدة اسئلة ، لابد من مناقشتها : ما هي تيارات الفكر الوجودي التي دخلت في تاريخ الفلسفة ، وما اثرها في هذا التاريخ ؟ وكيف اثر دخولها في التفكير الفلسفي ؟ وهل ادى الى هدم هذا التفكير او الى اضعافه ؟ وهل تطورت العلاقة بين الفكر الوجودي والفلسفة بحيث اصبح على المفكر ان يختار بينهما ، وبحيث يضحي بمطالب الوجود اذا كان فيلسوفا ، وبالفلسفة اذا كان وجوديا ؟ ثم هل تطورت الفلسفة في علاقتها بهذا الفكر بحيث لم يعد هناك مجال الا لفلسفة واحدة ، تترك الوجود جانبا ، وتهتم بصنع العالم فحسب ؟ ولو صح تحول الفلسفة الى فلسفة تاريخية اجتماعية صناعية كفلسفة كارل ماركس ، وتمت التضحية بالوجود الشخصي ، الا تصبح الحرية الفكرية ذاتها مهددة بالدمار ؟ واذا كان الامر كذلك ، الا تكون الفلسفة في تطورها قد قضت على ذاتها ، واصبحت اليوم علم المجتمعات القوية التي تقوم على انقاض الفرد والشخصية ، بعد ان كانت في العصر القديم « علم الرجال الاحرار » كما قال سقراط ؟ .

هذه بعض الاسئلة الهامة التي يجب على الباحث في الفكر المعاصر وضعها ، والتي لايمكن القضاء فيها بكيفية مباشرة ، تحسم في الموضوع حسما ، طبقا لمبادىء نظرية واضحة كل الوضوح ، بل يجب فيها الرجوع الى التمثيل . وغرضنا فيما بعد ان نعرض امثلة للفكر الوجودي ، ولتعارض هذا الفكر مع الفلسفة منذ العصر القديم ، لكي نتبين تنوع هذا الفكر وضرورته ايضا ، ثم تحوله اثناء علاقاته بالفلسفة ، وتحول الفلسفة بدخوله فيها .

ويبقى بعد ذلك ان نتساءل : وهل ادى التفكير الفلسفي منذ العصور القديمة الى الآن الى وحدة تختفي عندها لا مظاهر التفكير الوجودي فحسب ، بل علامات التفكير الانساني ذاته ؟ .

وعلى ذلك يكون السؤال الرئيسي الذي نريد وضعه خاصا بطبيعة الفلسفة ومصيرها .

الرباط : نجيب بلدي

قطرة مائك الوطني ليست هي محيط العالم

ترجمة الأستاذ محمد السر غسيني
عن مجلة الإكسبريس عدد 660

(ان مقالة السيد (الان روب كريي) : ((الادب التابع بالسياسة)) تلك التي نشرت في ((الاكسبريس)) في عدد : 1963/12/19 ، قد اثارت مناقشات حامية على منبر الصحافة الاوروبية كلها ، سواء كانت شرقية ام غربية .

وننشر اليوم جوابا للسيد (خوان كوتيصولو) ، زعيم القصاصين الاسبانيين الناشئين ، ذلك الذي يبحث عن مجاوزة المعركة بين المجددين ، وبين المدافعين عن الادب التقليدي ، وذلك باظهاره الدور المختلف الذي يقوم به الكاتب في كل من البلدان الصناعية ، وفي البلدان التي هي في طريق النمو ، حيث تكون الحريات غير مضمونة) .

في اثناء الاجتماعات الدولية الاخيرة للكتاب والفنانين — وليس فقط في لينينغراد ، وفي ادنبورغ ، وفي فلورانسا ، بل في فورمانطور ، وفي مدريد ايضا — كان موضوع المناقشات هو العلاقات بين السياسة والادب ، ومعطيات الفن ، وهل انتاجه يكون لغاية نفسه ، او انه ينتج ليكون في خدمة اتجاه من الاتجاهات ان تحفظا مطرد النمو ، ازاء القيم الادبية ، يدفع عددا مهما من الكتاب الى البحث عن اسباب بعيدة عن الفن لتبرير فعلهم .

ان المواقف المدافع عنها لا يمكن جبرها ، كما ان الملاحظ النزيه يعتقد غالبا انه يشاهد معركة خرساء في هذه الاجتماعات ، يقول الاولون : ((ان الادب والسياسة شيآن مختلفان)) في حين يجيب الآخرون : ان الادب بمجرد ما يولد ، يكون مظهرا اجتماعيا ، فهو بهذا الاعتبار يقوم بمهمة سياسية .

وحديثا ايضا ، كتب (الان روب كريي) في ((الاكسبريس)) ، و (لوسيان كولدمان) في ((مجلة معهد بروكسيل لعلم الاجتماع ، و (جيروم لاندون) وتطرقوا جميعا الى مفهوم الفن الملتزم نفسه ، وتخلصوا الى القول : ((بان التزام الكاتب لا يكون الا في فنه)) ويرى (الان روب كريي) على الخصوص : **ان الكتاب** ليسوا سياسيين بالضرورة ، ومن دون شك ، فهل من الطبيعي ان تكتفي الاغلبية في هذا الصدد ، بافكار صغيرة وسطحية ؟ .

ولكن ، لماذا يصرون على التعبير عن هذه الآراء امام الجمهور في كل مناسبة ؟ ذلك لاني اعتقد بكل بساطة انهم يخجلون من كونهم كتابا ، ولكونهم يعيشون في فزع دائم من انهم ربما عيب عليهم ذلك ، او سئلوا لماذا يكتبون ؟ ولماذا يصلحون ؟ وما هي مهمتهم في المجتمع ..؟ ان الكاتب لايمكنه ان يعرف وجوه صلاحيته فالادب بالنسبة اليه ، ليس وسيلة يتوصل بها الى جعله في خدمة بعض القضايا ..) .

ان ملاحظات الواضع الرئيسي للاسس النظرية ((للقصة الجديدة)) هي بلا شك مصيبة ، ولكنها في حاجة الى بعض الايضاحات ، **لاعطائها ابعادها العادية** اذ يظهر قبل كل شيء ، انه **من الضروري جعلها في** محلها من المحتوى التاريخي : كتعبير ثابت عن اماني الكاتب في مجتمع محدد .

صيغة فارغة : انه في فرنسا ، حيث حرية التعبير والتفكير واقع ، وحيث المساواة في الحقوق السياسية ليست صيغة خالية من اي معنى ، فعلاقات

القصاص مع الجمهور تختلف اختلافا كبيرا عن العلاقات التي توجد بينهم وبينه فى اسبانيا مثلا ، او فى اقطـار اميركا اللاتينية ، والسبب فى ذلك بسيط .

فعندما يمكن للمعارك السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، تلك التي تكون القوة التطورية والحيوية فى اي بلد ، ان تعلن عن نفسها بحرية فى الجرائد التي تمثل المصالح المتنازع عليها ، يكون واجب الكاتب مغايرا لواجب الكتاب الذين ينتمون الى حكومات لا يمكن معها التعبير عن مصالح واماني المجموعات المختلفة .

ان البناء الخاص للمجتمع الفرنسي ـ الان وقد اختفى ذلك الخطأ التاريخي للحروب الاستعمارية وامكن تجنب الخطر الثوري بفضل التحول العجيب الناتج عن تبني الراسمالية الجديدة ـ يساعد على تفتح ادب لكي ينهج منهج (فيتوريني) فانه يميل الى اطار المرور فى المواساة وقيادة الضمير ، الى اطار تلمس البحث الى اطار الجواب الخصب ، واخيرا ، الى اطار العلم .

وعلى العكس ، ففي البلدان المتخلفة ، او التي هي فى وضع موطىء للنمو ـ كما هو الشان فى اسبانيا ـ فان الادب يجهد نفسه ليعكس الواقـع السياسـي والاجتماعي (واهمال هذا الواجب ، سيؤدي الى نتيجة عاجلة ، هي تضح النتاج المقلد البسيط الذي ينسج على منوال بلدان مثل انجلترا ، والمانيا ، او فرنسا ، تلك البلدان التي وصلت الى مستوى عال فى السياسة والثقافة والاقتصاد . وعلى هذا ، ينسى هـذا الادب تطوره كضرورة تقنية ، الشيء الذي يسهل منطقيا نمو النتاج الذي يصور الواقع بادوات عتيقة ، وصيغ بالية، فيصير محاكاة لطبيعة اجدادنا .

وفى هذه النقطة بالذات ، فان الالحاح الذي حمل (روب كريي) على اظهار قيمة عامل التقنية فى الفن نفسه ، يظهر لي صحيحا ، وليس فى ادب بلده فقط ، بل حتى فى جميع الاداب التي تضحي بتقنية الفن ، فى سبيل التعبير عن الواقع ، وذلك لاسباب مختلفة ، وربما متناقضة فى بعض الاحيان .

على ان (روب كريي) اخطأ تكبرا حين قـال : (بهذه الوطنية الخاصة بالكتاب الفرنسيين ، اولئك الذين يميلون الى مزج الادب الفرنسي ، بالادب البحث) ـ كما ذكر (بلوش ميشيل) فى ((الحاضر الاشاري)) ـ انه يدعي تطبيق تجربته ـ التي هي نتاج وضعية فرنسية خاصة ـ على بلدان يبعد ان يكون مستـواها السياسي والاجتماعي والثقافي ، معادلا للعناصر التي استخدمها كاساس لتحليلاته .

وحين تمنع السياسة بارادة حكومية رسمية ـ كما فى اسبانيا ـ او تفرض على المجموع ليكون لها المقام الاول عند الدولة فى خدمة المجتمع ـ كما كـان الحال عليه فى الاتحاد السوفياتي فى عهد ستالين ـ فان الصحافة لا تعكس الحرارة المثمرة والتناقض الحيوي للمجتمع ، وحين لا تقدر المجموعات الاجتماعية (كما هو الشأن فى اسبانيا دائما) على اظهار عاطفتها ، ولا الدفاع عن مصالحها بحرية ، فان الكاتب يصير على الرغم منه لسان هذه الحيوية وهاته العواطف ، وتلك المصالح ، انه يلعب دورا شبيها بعض الشبه بمدخنة السيارة .

ولقد وضحت فى مناسبة اخرى كيف ان مأساة الرقابة الاسبانية قد ضيقت الخناق على القصاصين ، فلم تجعلهم يشبعون نهم الجمهور باحاطته علما بالحقيقة وذلك بان يعرضوا عليه فى كتبهم ، ذلك الواقع المناقض الا واقع ، الذي ينعكس على الصحف ، وبعبارة اخرى فانهم يقومون بواجبهم الذي يتحتم القيام به فى فرنسا وفى بلدان اخرى على الصحافة ، ان انتقادات (روب كريي) التي تتعلق بتحكيم السياسة فى الكتاب ، تفقد كل جدواها فى هذه الحالة .

مسيو جوردان : وبينما التحكم السياسـي فى فرنسا هو نتيجة للاختيار الحر للكاتب ، ـ باعتبار ان مهمة الادب هي هنا ((بحث)) اكثر منها ((مواساة)) وباعتبار ان الكاتب المتخلص من كل ضغط حثيث من لدن قرائه، يمكنه ان يتجنب عكس الواقع السريع ليركز انتباهه على تنمية فنه كتقنية ـ فان التحكم السياسي فى الاتحاد السوفياتي او فى اسبانيا ، قد حدد مقـدما لاسباب مختلفة ، بالوضعية الخاصة للفنان فى مجتمعه، وبمتطلبات مهيئة واضحة من لدن جمهوره .

السياسة اذن ، تغير لون الفن ، والكاتب احب ام كره ، يتحول الى متكلم باسم القوات التي تكافح فى صمت ضد ضغط طبقة اجتماعية ، او ضد احتكارية ايديولوجية تحولت الى عقيدة ، وهكذا فالادب الاسباني المعاصر ، مرآة للكفاح المظلم المتواضع اليومي ، من اجل الحرية الضائعة ، كذلك الشعر السوفياتي الناشيء ، فانه اخذ يهيي طريق الثورة الفنية للاجيـال الجديدة ضد الجنون الستاليني ، وهكذا ، فالسياسة والادب يمزجان معا اسلحتهما فى معركة تحررية واحدة ، والنثر

ايضا ، شبيه بالشعر عند (مسيو جوردان) ، فالكاتب متسيس دون علمه بذلك .

ولقد حلل (لوسيان كولدمان) بكثير من التبصر، تلك العلاقة التي توجد بين تحول الشكل القصصي وبين التطور الاقتصادي المعاصر ، فالقصة وقعت في ازمة في نفس الوقت الذي وقعت الفردية فيها ، تلك الفردية التي كانت صالحة كدعامة لها ، وذلك لانها صارت تعبر عن فكرة اتت نتيجة للاصلاح ، ولانعكاس المعارضة التي تفاقمت بين الانسان والمجتمع بعد سقوط الحضارة المتوسطية .

وكان سقوط واختفاء الشخوص واستقلال الشيئية المتزايد ، ابتداء من (جويس) وكافكا و (كامون) الى (روب كريي) وغيره ممثلي « القصة الجديدة » ملائما حسب راي (كولدمان) ، لتحلل الفردية والحياة الفردية ، واندماجهما في البناء الراسمالي الاحتكاري الذي ازدهر في الثلث الاول من القرن العشرين ، قرن الراسمالية الجديدة ، ولقد عرف هذا الاتجاه في الادب الماركسي باسم Réfication وهكذا كانت اعمال (بيتور) (وروب كريي) (ونتلي ساورت) المحكوم عليها بالتقليد في الغالب ، تعبر تعبيرا احسن من القصة النفسية في القرن التاسع عشر ، عن الواقع الصناعي التقني لعصرنا ، رغم وضعه المنحرف الذي لا يقبل النقد ، بالنسبة الى هذا الواقع .

الميثاق الفني : ويرى (كولدمان) ان (روب كريي) يدافع عن : (تحكم يكاد يكون فنيا) محدد في مشاكل القصة — تحكم طالب به ميشيل ليريس) — ولكنه في الوقت الذي يضيف فيه : (بان مشاكل : مثل الحرب ، والوعي الاجتماعي .. الخ) تمس حياتنا الوطنية ، (تلك تبتدىء من اللحظة التي نضع فيها صوتنا في صندوق الانتخابات) والتي تضع الصيغة الفارقة بين الفنان والمواطن — هذه التفرقة ، لا يمكن ان تطبق على البلدان التي تنعدم فيها الحريات السياسية الطبيعية، — كما في اسبانيا — او التي تتبنى ايديولوجية ثورية ، لتكون في خدمة ديكتاتورية ذات ميل شخصي — كما كان الحال عليه في الاتحاد السوفياتي على عهد ستالين — فانه يرغم الجمهور على استعمال الادب كمدخنة السيارة ، ويدفع الكاتب الحقيقي الى ان يحتل الصدارة في معركة تتجاوز الاطار الادبي المحض ، لتكون طورا جديدا لكفاح الشعوب المستمر من اجل الحرية .

علام يدل هذا الميثاق اذن ، على مستوى ((الكتابة)) بالنسبة الى القصاصين الناشئين الاسبان ، وبالنسبة الى (استيريا) او كتاب امريكا اللاتينية ، اذا كانت الامية والظلم الاجتماعي وعنف الحكم ، تمنع من مزاولة الحقوق المدنية ؟ او اذا كانت المطالبة الصريحة بالحرية الممنوحة من لدن حكوماتنا المحافظة في القرن التاسع عشر ، جرما ، فمن يستطيع ان يتكلم بدون خوف من البلبلة ؟ .

وحينما تنعدم الحرية السياسية ، يصير كل شيء سياسة ، فيختفي الفرق بين المواطن والكاتب ، في هذه الحالة ، يقبل الادب ان يكون سلاحا سياسيا ، او يتوقف عن ان يكون ادبا ، ليتحول الى تقليد مصطنع لادب مجتمع آخر ذي مستويات مختلفة (ان ازدياد عدد كتاب مثل (روب كريي) في اسبانيا ، وفي المكسيك ، وفي البرتغال ، او في الارجنتين ، بعد وجود جماعة مثل ((فولكنر)) و ((كافكا)) لهو خير مثال يؤيد ما اقول..)

ويكفي ان نلقي نظرة بسيطة حولنا ، لنعرف ان النتاج الادبي في اربعة اخماس العالم ، محكوم عليه بالتمسك ، طبقا لقوة الاشياء ، باطار ((المواساة وقيادة الضمير)) وبان يكون كما قال ((بافيسي)) في عهد الفاشية : ((دفاعا ضد آثام الحياة)) ، واذا كان تحليل (كولدمان) صحيحا ، — وهذا ما اعتقده شخصيا — فان الميثاق على مستوى الكتابة ، يؤدي الى مذهب تقدمي يعتنقه الكتاب في المجتمع التقني المعاصر ، سواء كان النظام السياسي لهذا المجتمع ، اشتراكيا ام راسماليا جديدا .

نموذج من النماذج : ان استحصال الحريات العامة في اسبانيا ، وفي اغلبية مجموع بلدان العالم الثالث ، وان نهاية الاحتكار الفني للواقعية الاشتراكية ، وضغط الدولة — بفضل نمو الثقافة المتوسطة — في البلدان التي تخضع اليوم لديكتاتورية بروليتارية ، هي التي تسمح وحدها بقيام ادب للاكتشاف ، تكون موجة ((القصة الجديدة)) لا تمثل فيه غير نموذج واحد فقط دون ان تكون قاعدة لقانون فني مقدس ، قد ورثناه على الخصوص من الجماعة الصغيرة من كتاب ((القصة الجديدة)) اولئك الذين يتحلقون حول دار ((نصف الليل)) للنشر ، هذا الادب الذي يعكس المظاهر العديدة لارتباط (الانسان — الشيء) هو حلقة بسيطة للتطور الصناعي الكبير ، وللتصميم والبيروقراطية العمياء : انه عالم ضئيل السحر — ويجب علينا ان نكافح من اجله — انه عالم الراسمالية الجديدة المعاصرة ، او عالم

البناء الاولى للاشتراكية ، هذا العالم الذي سيكون عالمنا حتما ، الى ان تتهدم اقتصاديات الدول الغربية (وهذا غير محتمل) او تصل الينا دعوة الشيوعية الروسية .

وكما هو معروف ، فالادب كتجربة ، وكشيء مستحيل التحقيق ، بل كحدث وكهروب ، يلعب دورا سياسيا واقعيا ، حينما يكون في اصله كتلة من القرارات والمشاريع التي من شانها ان تبدل وتحول وجه العالم ، ولكن هذا الدور ، هو في الواقع مبهم وفيه التباس ، وكما قال (موريس بلانشو) : (فالكاتب يكتب قصصا تتضمن بعض التاكيدات السياسية بشكل يجعله جزءا مرتبطا باتجاه ما ، اما الاخرون الذين لهم ارتباط مباشر بهذا الاتجاه ، فانهم مدفوعون الى اعتبار الكاتب واحدا منهم ، ورؤية الدليل في انتاجه على ان الاتجاه اتجاهه بالذات ، ولكنهم بمجرد ما يطالبونه به ، يشعرون بانه لا يرتبط باي اتجاه ، وبان الاتجاه الحق ، لا يكون الا منه ، اذ ما يهمه منه ، هو عمليته الخاصة) .

كتاب وقلميون : والتقاء الادب بالسياسة ، يضمحل في نفس اللحظة التي تتوقف فيها تلك العوامل التي تسببت في هذا الالتقاء — مثل الاضطهاد السياسي وتحكم العقيدية الفنية ، الخ — الا اذا هجر الكاتب الادب ، وهكذا يحدث عادة في الكتلتين ، الغربية والشرقية ، ليتخلص جسدا وروحا الى صياغة امداح ادبية مزيفة للاتجاه الذي يعتنق مذهبه ، ولكنه بعد ليس بكاتب ، اذ ليس هو غير حامل قلم ، وبضاعته ليست من الادب في شيء .

وفي هذا الوقت — احب (روب كريي) ام كره — فان الكتاب الاسبانيين وزملاءهم السوفييت ، او الذين ينتمون الى اغلبية بلدان العالم ، باستثناء بعض الدول الغربية الديموقراطية ، سيعيشون لمدة طويلة متابعين بالسياسة .

هذا وان اي زعم لعكس هذه الفكرة ، سيكون كما اكده (بلوش ميشيل) متحدثا عن واضعي نظريات ((القصة الجديدة)) كحمل قطرة من مائهم الوطني ، الى محيط العالم ، او صبهم تعبهم الخاص في يأس الانسانية كلها) .

فاس : محمد السرغيني



إلى أين تسير الحركة الشيوعية العالمية ؟ 2

للأستاذ المهدي البرجالي

التطورات الجديدة في الازمة الشيوعية الراهنة بعد مؤتمري سنة 1957 و 1960 الموضوعات الاساسية التي يتناولها الجدل الدائر : (الحرب والتعايش ـ العلاقة مع الحركات التحررية القومية ـ العلاقة بين الاحزاب الشيوعية ـ العلاقة بالعالم الغربي) بعض المسائل التي يثيرها ذلك : 1) من الناحية الموضوعية المتعلقة ب « الازمة » 2) من ناحية الظروف والمداخلات التي تكتنف تطورها واستمرارها ـ النقائص المتزايدة بين الشيوعية الصينية ، والشيوعية السوفيانية وصلة ذلك بآفاق الازمة العامة في العالم الشيوعي المعاصر .

هل تكفي معطيات الاختلاف العقائدي والمنهجي بين الصينيين والسوفييت ـ هل تكفي هذه المعطيات بصورتها الراهنة لتبرير الانفصام الذي ما فتئت شقته تتسع بين الجانبين منذ سنة 1956 ؟ وهل تعتبر هذه الاختلافات من الاهمية وخطورة الشان ، بحيث تجعل القطيعة النهائية بين الشيوعيتين : الصينية والرسية ، امرا ضروري الوقوع وحتمية اساسية ليس لها من راد او معدل ؟

ان استعراض جملة النقط الرئيسية التي يتركز حولها الجدل الدائر ، ضمن الازمة الشيوعية الحاضرة ، ثم مقابلة هذه النقط ، بواقع السياسة الداخلية والدولية ، سواء عند هذه الجماعة الشيوعية الدولية او الاخرى ، كل ذلك من شانه ان يساعد على استبانة جانب الاهمية في المواضيع التي يدور حولها الاختلاف الموجود ، ومدى ما يكون هناك من صلة بين هذا الاختلاف ، وبين امكانيات القطيعة الحاسمة بين الحزب الشيوعي الصيني من جهة ، والحزب الشيوعي الروسي من جهة اخرى .

لقد بدات أوجه النظر تتباعد بين بيكين وموسكو ـ كما تقدم ـ غداة انعقاد المؤتمر العشريني للحزب الشيوعي الروسي الذي كان نقطة الانطلاق الحاسمة وما كان لهذه الحملة من مضاعفات نفسانية وعقائدية ودولية ، بيد ان خريطة الخلاف ـ مع ذلك ـ لم تكن واضحة المعالم بدرجة كافية ، بل ان البعيدين عن تسيير الحركة العمالية الدولية في اطارها الشيوعي لم يكن يعلمون من وجود هذا الخلاف بأي شيء مهم ، ان لم يكن قد كانوا يجهلونه بالمرة ، وسجلت سنة 1957 في هذا الموضوع خطوة « تاريخية » مهمة ، اذ ان زعماء الاحزاب الشيوعية الحاكمة في اوربا وآسيا قد تنادوا الى عقد مؤتمر في موسكو ، بحثت اثناءه كل النقط الشائكة ، ذات الصبغة العقائدية وما في حكمها وافضى كل ذلك الى اصدار تصريح مشترك ، يكرس في نصه ومفهومه حالة الاتفاق والتفاهم ، التي اصبحت تسود جو العلائق بين الاحزاب الحاكمة ، وبالتالي بين الدول الشيوعية ، مستثنى منها يوغوسلافيا التيتوية لكن تصريح سنة 1957 لم يستطع مع ذلك ان يسد جميع الثغرات المفتوحة وذلك لاسباب منها :

1) ان الجمع الذي انبثق عنه هذا التصريح ، لم يكن يضم الا الاحزاب الشيوعية المسيطرة على الحكم فعليا اي انه كان مؤتمرا دوليا محدودا ، وليست له اية صبغة عالمية شاملة ، هذا بينما تنتحل الماركسية ـ اللينية لنفسها صفة العالمية التي لا تعرف حدودا ضمن نطاق الطبقية البروليتارية .

2) ان التطورات التي حدثت بعد سنة 1957 سواء داخل الصين ، حيث عرف الحزب سلسلة من التغيرات المختلفة سواء على الصعيد التنظيمي او العقائدي او غيره ، او في الاتحاد السوفياتي حيث سيطر الكاتب العام الحالي على مقاليد الامور بصورة كاملة ، ووقع اقصاء الكثير من الوجوه البارزة الاخرى او في بقية اوساط الحركة العمالية الدولية ، وعلى الاخص ، داخل اقطار العالم الثالث ـ ان هذه التطورات ، لم تترك لتصريح سنة 1957 الا نسبة من الاهمية محدودة المدى ، واصبح الحال داعيا الى اصطناع اتفاق شيوعي جديد ، ولكن على مستوى عالمي اوسع ، وفي دائرة الاعتبارات الجديدة التي اصبحت تواجه الحركة الشيوعية العالمية ، وانعقد لذلك مؤتمر سنة 1960 ، وكانت ميزة هذا المؤتمر الاساسية ، انه شمل جميع الحركات الشيوعية في مختلف انحاء العالم، ولم يقتصر على ممثلي الاحزاب الشيوعية الحاكمة كسابقه ، وتجلت في التصريح المشترك ، الصادر عن هذا المؤتمر ـ تجلت الرغبة في تنسيق وجهات النظر الشيوعية المختلفة ، واصطناع اساس فكري وعقائدي مشترك ، يمكن من استمرار وحدة العمل بين الاحزاب القائمة ، وعلى الرغم من الانعكاسات التي ما فتئت الخلافات تحدثها داخل المعسكر الشيوعي بكامله ، والتي ليست حوادث المجر وبولونيا (1956) والتحولات الداخلية بروسيا (1957) عنها ببعيدة ـ على الرغم من كل ذلك ، فان معطيات الخلاف التفصيلية ، بقيت على ما كانت عليه من ابهام ، ولم تتخذ صورتها الكاملة الواضحة ، الا في غضون السنة الماضية ، حيث اقدم الطرفان ـ حينئذ ـ على تزويد الراي العام العالمي بوثائق ومستمسكات مهمة ، تتصل بجوهر الخلاف من اساسه وتلقي اضواء كاشفة على مجموع حقائق الازمة الماركسية الحديثة ، فبعد المقالات والتعليقات المختلفة ، التي ما برحت الصحافة الالبانية والصينية من جهة ، والصحف الروسية من جهة اخرى تنشرها طيلة السنة المنصرمة حول قضية الخلاف بين الدوكماتية والتعديلية « العصرية » اصدر الحزب الشيوعي الصيني في 14 يونيه من نفس السنة ، رسالة مستفيضة تتضمن 25 نقطة في موضوع الخلاف العقائدي الدائر ، وبعد ذلك بشهر اي بتاريخ 14 يوليوز نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي ـ بدوره ـ رسالة مفتوحة في الموضوع نشرتها الصحف السوفياتية كجواب عن الاعتراضات الصينية وكمحاولة لتوضيح وجهة النظر الروسية حول الازمة العقائدية الناشبة ، وفي اواسط اكتوبر الماضي شرعت الصحافة الصينية في نشر سلسلة من المقالات ، تتناول جوانب الرسالة الروسية بتاريخ 14 يوليوز وتفندها اولا باول، وقد تعرضت المقالات الصينية هذه لكثير من القضايا والمشاكل العقائدية التي تباعد فعلا بين وجهتي نظر الطرفين ، وقد كان التوقيع على معاهدة موسكو حول تحديد انتاج الاجهزة الذرية ، كان التوقيع على هذه المعاهدة ، باعثا على اثارة حالات اخرى من الجدل بين السوفييت وخصومهم الشيوعيين ، ففي 15 غشت الماضي نشر الحزب الشيوعي الصيني تصريحا ، مطولا يتبلور من خلاله موقف مضاد ، لتوقيع المعاهدة الدولية النووية ، باعتبار ان هذه المعاهدة ، من شانها ان تضاعف من فرص نشوب الحرب لا ان تساعد على التقليل من احتمالاتها ، ولم تنقض بضعة ايام حتى صدر الجواب السوفياتي على الرسالة الصينية (21 غشت) وتضمن تاكيدا قويا لاهمية المعاهدة الموقعة ، وما يمكن ان تساهم به من توقيف انتشار الاجهزة الذرية وخاصة بالنسبة الى المانيا الغربية وفورموزة وغيرهما من البلدان التي تعتبر ذات استثنائية في خطط الستراتيجية العسكرية الغربية .

والمهم في امر هذه الرسائل والمقالات والتوضيحات سواء الصادر منها عن « بيكين » او « موسكو » انها ساعدت على تحديد كثير من النقط الجوهرية التي تشكل حالة التناقض العقائدي والاتجاهي عند الجانبين ، واعانت ـ بالتالي ـ على بلورة المواقف المتخذة ، ووضعها في الاطار الذي يمكن ان يبرز طبيعتها ، وما تعكسه من آفاق واحتمالات مستقبلية عدة .

* * *

تتعدد نقط التناقض بين ما يدعى بـ «الدوكماتية» الصينية من جهة و « التعديلية » الروسية من جهة اخرى ، وتتشعب اوجه المفارقة بينهما ، بتشعب العلاقات الدولية الحديثة ، وتعدد المشاكل والقضايا التي يثيرها جو الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في عالمنا المعاصر ، ويمكننا ـ على الرغم من وجود هذا التشعب الملحوظ ، ان نركز جملة المسائل المطروحة على بساط المناقشة والجدل ، ونحصرها في ثلاثة قطاعات اساسية :

1) **موضوع الحرب والتعايش :** ويرى الصينيون ـ بأن الحرب ـ وان كانت غير مرغوب فيها لذاتها ـ الا انه لا يمكن تلافي وقوعها ما دام هناك استعمار سافر او مقنع ، وطالما كان ثمة شعوب مستقلة ومضطهدة فيجب التمييز ـ على هذا الاساس ـ بين الحرب الغاشمة ، والحرب العادلة ، وهذه الاخيرة تشكل ضرورة حتمية ولو كانت تتخذ صورة عراك دولي شامل ، تلتحم فيه البروليتارية العالمية مع القوى الامبريالية التحاما حاسما لا بد ان يفضي الى تصفية الوجود الامبريالي من اساسه هذا فيما يذهب الروس الى التأكيد بان العمل على تلافي حرب حرارية نووية ، قد غدا ضرورة حتمية اكثر من اي وقت مضى لان مثل هذه الحرب ـ وان كانت تلحق دمارا بقوى الراسمالية العالمية ، الا انها تؤدي كذلك الى اصابة كافة الشعوب بدون استثناء واحداث افدح الاضرار للجميع ، بما في ذلك طبقات البروليتاريا بالبلاد الراسمالية ، على ان كل هذه المحاذير لم يعد لها من مبرر ، ما دام ان هناك مجالا امام قوى السلم ، ووسائل عدة تستعملها هذه القوى ضد الامبريالية دون ان يدعو ذلك الى خوض حرب حرارية نووية ، على المستوى العالمي الشامل . ويتصل بهذه النقطة من الجدل : موضوع الاسلحة الصاروخية والذرية حيث يذهب الصينيون ـ على العكس من الروس ـ الى التقليل من شانها ، بل واعتبارها ضئيلة الاهمية امام القوى البشرية المتمثلة في تكتل القوى العالمية المضادة للامبريالية وكذلك الامر فيما يتعلق بفكرة نزع السلاح الشامل . . هذه الفكرة التي يرى « الدوكماتيون » انها ترتكز على خطا كبير في النظر والتقدير ، اذ انها تستند على الزعم بان الامبريالية يمكن ان تلغي السلاح بمحض اختيارها ، ولمجرد الحفاظ على مصاير السلام ، انه من الجائز ـ حقا ـ ان يتم بطريقة من الطرق نزع السلاح على المستوى الدولي والعالمي ، ولكن الامبرياليين لا يمكن ان يقدموا على ذلك الا اذا كان يذهب في خط اهدافهم ، الرامية الى تعطيل الحركات الثورية التحررية ، وحرمانها من اي مدد عتادي او ستراتيجي تتعزز به ، اما ما يراه الروس بهذا الشأن فهو يقضي ـ على النقيض من ذلك ـ بان نزع السلاح ليس من شانه الا ان يساهم في خدمة قضايا الشعوب المضطهدة وبالتالي فانه يشكل عملا مضادا للامبريالية يتحتم انجاحه وتوفير عوامله ، وبالنسبة لقضية التعايش فان الاراء بين الدوكماتيين والتعديليين تختلف كذلك اختلافا بينا ، فبينما يرى هؤلاء انه من الممكن بل من المحتوم ـ بعد تطور الاسلحة الحديثة ـ اقرار مبدا التعايش السلمي ، والمنافسة الايجابية بين مختلف الانظمة الاجتماعية الموجودة ، يرى الاخرون ان هذا التعايش ـ اذا كان له مجال ممكن ـ فانه يجب الا يتناقض مع مبدا الصراع بين الطبقات ، **اذ لا تعايش تراه الدوكماتية الشيوعية ممكنا بين البروليتارية ،** والطبقات الاجتماعية المناقضة لها ، ولا يذهب الروس في هذه النقطة الاخيرة مذهبا معاكسا تماما ، وهم يبدون حرصا متزايدا على الفكرة القائلة ، بالا تعايش بين الايديولوجيات ، ولكن النظرية السوفياتية ـ مع ذلك ـ لا تستلزم وجود اي تعارض بين التعايش الدولي وبين مصالح الطبقة البروليتارية ، داخل المجتمعات الامبريالية ، وهذا ما لا يسلم به الاخرون تسليما مطلقا.

2) **في موضوع الحركات التحررية القومية .**

يشدد الدوكماتيون على اهمية هذه الحركات المضادة للامبريالية في افريقيا وآسيا وجنوب امريكا وغيرها ، ويربطون بين مصير قضية البروليتاريا ، وبين امكانيات النجاح او الاخفاق الذي تلقاه حركات من هذا القبيل ، وكما يبدو ، فان التعديليين اذ يسلمون ايضا باهمية الحركات القومية المضادة للامبريالية في افريقيا وآسيا وامريكا الجنوبية ـ فانهم لا يرون مع ذلك ان هذه الحركات هي التي تشكل القوة الضاربة الحاسمة ضد الاستعمار ، ويرون بالنتيجة لذلك انه من الخطا الجسيم عزل الحركات القومية عن مجموع الحركات العمالية الدولية اذ ان هذه الاخيرة هي التي تبقى دائما في رايهم العامل الاساسي البات ضد النفوذ الامبريالي في العالم .

وحول قضية التنافس الاقتصادي والاجتماعي كعامل مهم في مجال الصراع بين الشيوعية والراسمالية الغربية ، فان الملاحظ أن الدوكماتيين وان كانوا لا يرفضون هذا العامل (عامل التنافس) من اساسه الا انهم لايقبلون ـ عكس ما ترتئيه التعديلية الحديثة ـ بصورة تقريبية ـ أن يصبح بديلا عن الصراع الطبقي ، والثورية العمالية الدولية ، اذ ان هذا الصراع الثوري يبقى في اعتبارهم دائما بصفته حجر الزاوية في مناواة الامبريالية والنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي المنبثق عنها على نحو او آخر ، وعلى هامش الصراع هذا تختلف الدوكماتية والتعديلية ايضا بنسبة كبيرة جدا ، ففيما يرى التعديليون ان ديكتاتورية البروليتاريا هي مرحلة موقتة ليس من معقولية لاستمرارها في ظل الدولة الشيوعية القائمة بالفعل اذا ما استتمت

هذه الدولة حيثيات وجودها بحرص الدوكماتيون من جهتهم على ضرورة استمرار الديكتاتوية هذه وذلك بصورة تطول جدا عما يتصوره التعديليون اصلا . والامر كذلك في موضوع الدور الذي يجب ان يلعبه الحزب الشيوعي داخل القطر الذي يسيطر عليه هذا الحزب فوجهات النظر بين الدوكماتيين والتعديليين تتراوح بين ضرورة تشديد مراقبة الحزب على جميع المستويات وبين مفهوم آخر في الموضوع ذي مرونة نسبية ويثير هذا قضية هامة ، كم استطاعت ان تاخذ باهتمام مختلف الاوساط الشيوعية الدولية خلال السنوات الاخيرة ، والقضية هذه هي قضية عبادة الشخصية على الطريقة التي كانت سائدة في العهد الستاليني الدابر ، ويصب التعديليون — بهذا الصدد — كثيرا من الاتهامات على خصومهم من ذوي المواقف الاورتودكسية فيرمونهم بانهم يبثون الاراء الستالينية الخاطئة، وبانهم يتبنون الايديولوجية والاخلاق والاشكال والمناهج التي كانت متبعة في عهد عبادة الشخصية .

3) **اما في موضوع الحركة الشيوعية الدولية والعلاقة بين دول العالم الشيوعي :** فهناك ايضا مظاهر تباين في وجهات النظر بين الطرفين ، وتوجه التهمة الى الدوكماتيين بهذا الصدد — بانهم يسعون الى بناء اقتصاد قومي مكتف بذاته ، ومنغلق على الاقطار الشيوعية الاخرى ، وبذلك يساهمون في اضعاف الروابط الموجودة بين دول العالم الشيوعي هذا بينما تقوم وجهة النظر الدوكماتية على المبدا القائل بان كل بلد اشتراكي يجب ان يقوم بناؤه على موارده الخاصة . الا ان هذا لا يمنع من اقرار تعاون اقتصادي وثيق بين الدول الشيوعية ولكن على اساس المساواة والمنافع المشتركة وتبادل المساعدة على نطاق واسع وتثير العلاقة بين الاحزاب الشيوعية جدلا متواصلا بين الدوكماتيين والتعديليين فبينما ينتقد الاولون كل محاولة للتشهير باي حزب من الاحزاب الشقيقة او الانتقاص منه على اي شكل من الاشكال (مثل ما تفعله موسكو بالنسبة للحزب الشيوعي الالباني ولكن مثل ما يفعله ايضا الحزب الالباني ضد الحزب الشيوعي الروسي) بينما ينتقد الدوكماتيون مثل هذا السلوك نجد التعديليين من جهتهم ياخذون على الدوكماتية سعيها الى بث الفرقة داخل الاحزاب الشيوعية العالمية ومحاولتها اصطناع المتمردين والمنشقين ، واحداث التصدعات الداخلية هكذا في حظيرة الاحزاب الشيوعية في الولايات المتحدة ، واستراليا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، والهند ، والبرازيل وغير هذه الاقطار ، وبخصوص البانيا ياخذ الحزب الشيوعي الروسي على الماركسيين الالبان سعيهم الى احداث القطيعة مع موسكو ، واحتضان برنامج غير اصيل ، من شانه ان يبعد البانيا كما يرى الكرملين عن حظيرة الجماعة الشيوعية العالمية، على ان الالبانيين وحلفاءهم لا يقلون حدة وصرامة في نظرتهم الى العلاقة الودية المتزايدة بين السوفييت من جهة ، ورابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين من جهة اخرى ، ولا تخفى بيكين نظرتها الصريحة في الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي ترى فيه محور التعديلية الحديثة او « التحريفية » الحديثة كما يحلو للالبانيين ان يرددوه دائما ، وحتى في موضوع الدوكماتية نفسها، تتعدد النظريات ، وتتنوع الى حد كبير ، فالصينيون وحلفاؤهم ما فتئوا يبدون نفس الحرص على انتقاد التعديلية والدوكماتية على السواء ، الا ان مفهوم الدوكماتية يختلف بالطبع عما يراه السوفييت ، والاحزاب الشيوعية الموالية لهم بهذا الصدد ، فهؤلاء ينظرون الى الدوكماتية على انها تعني ما يمكن ان يعبر عنه بالتحجر المذهبي ، والتزمت في الراي بصورة تجعل من العسير التلاؤم مع الحقائق الاساسية في العالم ، هذا في الوقت الذي ينظر فيه الالبانيون والصينيون الى الدوكماتية بمنظار آخر ، فهي ليست في اعتبارهم نتيجة تحجر او تزمت ، بل انهم يكادون — في كثير من الحالات — يباهون بذلك ، ويقدرون ان ما يسميه خصومهم بالتحجر او التزمت ، ان هو الا الاستمساك الوفي بالمبادىء اللينينية الماركسية والحرص على اتباعها روحا ونصا وذلك بمقدار ما تبدو هذه المبادىء صالحة للتطبيق بصورة شاملة ومطلقة على خلاف ما يراه التعديليون اليوغوسلافيون وغيرهم ، اما مفهوم الدوكماتية كما يتصورها الصينيون وحلفاؤهم ويؤكدون رفضها كلية ، فهي تلك التي تعني التبعية العمياء لحزب شيوعي معين ، يفرض نفسه في مركز القيادة الشيوعية العالمية ثم يتخذ خططا ويتبنى مناهج مستوحاة من احواله الداخلية المفردة ، ولا يمتنع بعد ذلك من محاولة اقحامها على جميع الاحزاب الشيوعية الاخرى في العالم ، بغض النظر عما يحيط بهذه الاحزاب من حقائق وما يكتنفها من صلات وملابسات ، وما تنفرد به من خصائص لها وزنها في العمل والتسيير والاستنتاج .

4) **ويرتبط بكل هذا ما يتصل بموضوع العلاقة مع الدول الغربية والولايات المتحدة بصورة خاصة :** ففي اواخر عهد الرئيس الامريكي المغتال تطورت

العلاقات بين الشرق والغرب الى الحد الذي ادى لتوقيع اتفاقية موسكو حول الاختبارات الحرارية النووية وما سبق ذلك واعقبه من انفراج عام بين الكتلتين انسحب مفعوله على كثير من ميادين العمل الدولي ، وانعكست اثاره على مختلف مناحي العلاقات الدولية بصورة عامة ، غير ان النظرية الصينية الالبانية ــ وان كانت لا تستبيح القول بمعاكسة الاتجاهات التفاهمية على الصعيد الدولي ــ الا انها لم تفتا تنطوي على كثير من بوادر الحذر والريب تجاه التقارب السوفياتي الامريكي ، اذ ترى انه لا يمكن ان يؤدي الى خدمة اهداف السلام ، بقدر ما يشكل مجرد نزوع الى الاستسلام امام القوة والتضحية بمصالح الدولية البروليتارية والحركات التحررية القومية في مختلف انحاء العالم ، ومما يضاعف من زيادة ايمان الكتلة الصينية الالبانية بهذه الوجهة من الراي انها تعتقد بان مستوى توازن القوى في العالم قد تغير كثيرا لصالح المعسكر الشيوعي الامر الذي يسلم به الروس تسليما مبدئيا ولكنهم لا يقبلونه على عالته جملة وتفصيلا ، وبالتالي فان السوفييت ومن يواليهم لايرون ان امر الامبريالية الغربية هو بهذه البساطة التي يتصورها « الرفقاء الصينيون » .

وكم تشتد حملة الدوكماتيين على النزعة الديمقراطية الاشتراكية التي لا يستبينون من خلال وجودها ونشاطها الا نوعا من اليمينية الانتهازية التي تقف في خط متناقض مع اهداف الدولية البرليتارية واتجاهاتها في مختلف الميادين ولا تنحصر انتقادات الدوكماتية في نوع من الاحزاب من هذا القبيل بل انها تتناول ــ بشكل عام ــ كثيرا من الاحزاب المماثلة في الغرب وغيره سواء على صورة او اخرى بما فيها تلك التي تحاول اعتماد الاساليب المسالمة عوض العمل المباشر الامر الذي يسجل فيه التعديليون نوعا من الاختلاف يقل او يكثر وذلك حينما يمعنون في تشديدهم على اهمية العمل السلمي في تطور الاوضاع العالمية بل انهم اخذوا يرون في الاشادة بالحدة والعنف كسبيل اصيل للعمل الشيوعي وسيلة لاحداث كثير من التشكك في المحتوى الانساني الايجابي للماركسية اللينينية وحمل العديد من الناس على النفور منها في مختلف انحاء العالم ، وتوريط حظوظها بالنتيجة لذلك توريطا عميق النتائج .

ويبادرنا السؤال من جديد : هل يكفي وجود التناقض في وجهات النظر حول هذه القضايا ومثيلاتها ــ لامكانية احداث القطيعة الحاسمة بين محوري الشيوعية العالمية المعاصرة وتعريض الدولية البروليتارية لاحتمال انفصام ثنائي ليس من البساطة تقدير مداه ونتائجه احد الآن ؟ .

ان هناك ــ قبل كل شيء ــ مجالا لاستعراض بعض الملاحظات بهذا الصدد منها ما يتعلق بمضمون القضية القائمة والعناصر الموضوعية التي تتشكل منها ومنها ما يتعلق بالظروف التي تحيط بتطور هذه القضية وما يمتزج بها من اعتبارات وحيثيات مختلفة ، فمما يتعلق بمحتوى المسالة وعناصرها الموضوعية تبدو امام المرء بعض الملاحظات من بينها :

1) **ان الخلاف حول حتمية الحرب ، واولية اللجوء اليها :** في حل المشاكل ــ هذا الخلاف يبدو انه يدور في مجال نظري يدعو بطبيعته الى مزيد من الجدل « البزنطي » الذي لا يمكن ــ بالضرورة ــ ان يفضي الى قرار ثابت ، فحتمية الحرب او عدم حتميتها من الناحية النظرية كل ذلك من شانه ان يقود الى تكوين نظريات متباينة ، يتوافر لكل منها رصيد من الحجج والاستدلالات الفلسفية التي ليس لها من حدود اما من حيث صلة هذه القضية بواقع التطور العالمي ، وبطبيعة الظروف العامة التي تتحكم في تحديد الاعتبارات الاقتصادية والعلمية والسياسية عند اي قطر ذي مسؤولية من الاقطار المتساكنة في الارض فكل ذلك لا يبيح كثيرا من الحرية في تطبيق بعض المواقف الفلسفية ومن شانه ان يفرض قدرا غير قليل من روح الواقعية على اي شعب مهما كان مركزه ونوع اتجاهاته، ويؤكد السوفييت ان الصينيين انفسهم يدركون هذه الحقيقة ، ولهذا فانهم لم يقدموا لحد الآن ــ لجعل « فورموزة » او « هونغ كونغ » سببا لحرب عالمية ثالثة على الرغم مما يبدونه من آراء حربية جريئة ، كما ان السوفييت كذلك لم يذهبوا الى درجة اتخاذ « كوبا » خلال ازمة خريف سنة 1962 ذريعة لاضرام الحرب العالمية المفترضة ، على الرغم من وجود قذائفهم الصاروخية انئذ في الجزيرة ، والامر كذلك بالنسبة للغرب الذي لم يندفع به حماسه لحكومة « ايموناجي » في هنغاريا (نونبر 1956) الى درجة التدخل المباشر ، من اجل مساندة هذه الحكومة والتعرض هكذا لاحتمال الاصطدام مع الروس اصطداما كان من الجائز جدا ــ لو حدث ــ ان يقود الى نشوب عراك شامل بين الشرق والغرب ، يتخذ صورة الحرب العالمية المفترضة، ومثل هذه الظواهر ــ الدالة على الحذر الانساني من

الحرب الحرارية النووية ــ تكررت كثيرا خلال السنوات الاخيرة ، وبشكل يؤكد وجود هذا الحذر ، وما له من فاعلية حقيقية لها تاثيرها على اتجاهات السياسة العالمية الراهنة ، وبمقدار ما تتولى النوازع السلمية هذه بمقدار ما يتكرر التناقض في الاوساط الشيوعية العالمية بين وجهات النظر القائلة بحتمية الحرب ، والمعارضة لذلك ، وقد يستطيع المرء ان يسلم بكثير من الاشياء ولكنه لا يستطيع ان يسلم بسهولة ــ والاحوال على هذا النحو ــ ان من الضروري ان يؤدي الخلاف حول مثل هذه النقطة « النظرية » الى احداث الانفصام داخل العالم الشيوعي بصورة لا تقبل المراجعة ، وعلى افتراض ان الصين تنظر الى الموضوع من زاوية عملية اذ انه يمكن ان تكون لها الرغبة في الربط بين اقرار مبدا حتمية الحرب ، وبين استدراج السوفييت الى مظاهرتها في حرب محتملة بآسيا من اجل « فورموزة » والحدود الهندية ؛ وكذلك من اجل توسيع نطاق العمليات الجارية في اللاووس والفيتنام وغير ذلك ــ على افتراض ان هناك ارتباطا في الذهنية الصينية بين اقرار مبدا حتمية الحرب وبين احتمالات الحرب عمليا في آسيا وغيرها ، فان الامر بهذا الصدد يجب ان يبقى منحصرا في نطاق الحروب الاقليمية ، كالحروب المشار اليها آنفا ، اما الحرب العالمية الشاملة فان استعداد الدولة البروليتارية لتحمل نتائجها الحرارية النووية ــ هذا الاستعداد سيبقى دائما موضوع نقاش غير محدود ، وذلك بسبب الاحتمالات المتضاربة التي لابد ان تبرز بهذا الصدد وتاثر هذه الاحتمالات بمجرى التطورات السريعة المتلاحقة في الاوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية العالمية ومن غير شك فان الذي يفكر به عدد من النظريين الماركسيين ان اية حركة انفصام داخل الحركة الشيوعية الدولية ليس من شانها ان تاتي بحلول لمواجهة اعتبارات ملحة من هذا القبيل .

2) ان تباين وجهات الرأي بين الصين والسوفييت حول نسبة الاعتماد على المنافسة السلمية في مجال الصراع مع الغرب ، وهل تقوم هذه المنافسة مقام الصراع الطبقي الحاد ، ام العكس :

ان التباين النظري في مثل هذه المسائل يسير ــ كما هو ملحوظ ــ سيرا متوازيا مع الاحوال الاقتصادية السائدة عند هذا الطرف او الاخر فمعطيات الاقتصاد السوفياتي ــ على الرغم من النقائص الزراعية والانتاجية التي تشوبها ــ فان آفاقها ــ مع ذلك ــ تبيح لها القيام بدور المنافسة للغرب ، ضمن حدود معينة وذلك باعتبار المستقبل على الاقل اما الاقتصاد الصيني بصورته الحالية ــ فهو يجتاز ادوار تطور واستحالة ، ولكن اجتياز هذه الادوار لا يعني اكتساب القدرة على المنافسة العملية ضمن الاطار العالمي الشاسع ، فهل لهذه الاحوال غير المتكافئة بين الصينيين والروس دخل في تكييف نظرياتهم الحالية في موضوع المنافسة والصراع ، كما يفترضه بعض المراقبين ؟ سواء كان الامر على هذا النحو او غيره فهو لا يستطيع ان يعلل مجموع التطورات الراهنة في العالم الشيوعي وما تتميز به هذه التطورات من اشتداد التدابير بين التعديليين والدوكماتيين خاصة وان حظوظ تطور اقتصادي شيوعي يمكن من مسابقة الغرب ومصارعته في هذا المضمار كل ذلك لا يمكن ان تعزز عوامله احوال سلبية من هذا القبيل .

3) ان حالة العلائق بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفياتي تثير قدرا كبيرا من الاثارة والحساسية :

في اوساط الدوكماتيين هنا وهناك ويدور الجدل ــ باستمرار ــ حول المنهج الذي تحتذيه رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف وهل يمكن ان يعتبر من قبيل الماركسية اللينينية ام لا ؟ والملاحظ ــ بهذا الصدد ــ ان النظام الموجود بيوغوسلافيا قد اتبع ــ منذ سنة 1948 ــ خطا مذهبيا معينا لم يحد عنه سواء في خلال العهد الستاليني او بعده ، وهذا الخط ــ وان كان ينتسب الى الماركسية بسبب او آخر ــ فانه ــ علاوة على ذلك ــ قد كان نتيجة تحول جوهري في موقف الدولة البلقانية الكبرى ، ونظرتها الى مختلف القضايا والمشاكل ، سواء منها ما يتصل بتطورها الذاتي او ما يتعلق بمركزها في حظيرة الاسرة الدولية والعالمية ولا يستطيع المرء ان يتصور ــ بسهولة ــ احتمال وقوع تطورر مضاد يقلب وضعية الموقف الحيادي الذي تلتزم به « بلغراد » ويحدوها الى مراجعة ستراتيجيتها المذهبية الراهنة اذ ان هذه الستراتيجية ــ كما يبدو ــ ترتبط باحوال دولية واسعة النطاق تمتد جذورها في آسيا وافريقيا وغيرها وتتفاعل مع كثير من الافكار والقضايا الرائجة هنا وهناك في مختلف انحاء العالم .

4) ان قضية توازن القوى في العالم :

وهي موضوع جدل طويل بين : الدوكماتيين والتعديليين هذه القضية لم تعد ــ تتمثل فقط في مستوى التوازن بين الكتلتين الكبيرتين وفي نطاق الاعتبارات الحربية والستراتيجية بالدرجة الاولى ، ان هناك ــ بالفعل ــ حالة دولية قائمة هي التي تتمثل في التعايش القائم

الان بين دول عديدة تنتسب الى القارات الخمس ، والجزر التي بين ذلك ، وهذه الحالة الدولية لا تقوم – بحق – على اساس التوازن العسكري اذ ان هذا التوازن غير موجود فعلا بين الكتل النووية من جهة ومجموعة الدول الصغيرة التي لا يزال الكثير منها يبتاع الاسلحة الكلاسيكية من جهة اخرى غير ان هذا التوازن العسكري – وان كان غير حاصل بالفعل – فانه مع ذلك لم يعد كل شيء في موضوع التوازن الدولي العام ، فهناك اعتبار كبير اصبح يقام لتوازن القوى السياسية بالعالم ، هذه القوى التي تبرز في ضمنها الكتل الدولية المختلفة بما فيها مجموعة الدول الصغيرة والمحايدة وقد اصبح لهذه المجموعة تاثير كبير على مصاير التطور السياسي بالعالم وبصورة غير مباشرة على اتجاهات الاحوال العامة نحو الحرب او السلام ولا شك ان اية مناقشة دولية حول موضوع التوازن العالمي بهذا المعنى يجب ان تراعى فيها مثل هذه الحقائق التي هي ذات اهمية اساسية .

اما فيما يتصل بالجدل الدائر بين الشيوعيين حول هذا الموضوع وذلك على اساس البحث فيما اذا كانت حالة التوازن العسكري الدولي في الوقت الراهن تعتبر ملائمة لامكانية تحقيق تفوق حربي ضد الغرب ام ان هذه الملاءمة موجودة فلا شك ان تشابك الاحوال العالمية بالصورة التي راينا لا يبيح الخروج من مثل هذا النقاش بنتيجة عملية حاسمة وبالتالي فان مجال التساؤل سيبقى مفتوحا اذن حول هذه المسالة وهل من الضروري أن يؤدي الخلاف حولها كما في غيرها من النقط المماثلة – الى توتير العلاقة بين الاطراف الشيوعية الحاضرة وذلك الى حد لا يقبل المراجعة او التعديل وبصورة من شانها ان تفضي الى احداث القطيعة الحاسمة .

* * *

تلك بعض الملاحظات التي تتصل – على نحو او آخر – بجملة المواضيع المختلفة التي تثيرها حالة التناقض الايديولوجي بين الدوكماتيين والتعديليين والملاحظات هذه لا يستهدف منها اتخاذ موقف معين سواء في نطاق ما يدعوه شيوعيون بالدوكماتية وما يدعوه شيوعيون بالتعديلية الحديثة وانما الذي يعني من ذلك هو فقط ابراز بعض التعقيدات المذهبية والمفارقات الفلسفية والتجريبية التي تكتنف احوالا دولية من هذا القبيل وما يمكن ان يثيره ذلك من قضايا مختلفة على المستوى العالمي الواسع وهناك جملة ملاحظات اخرى تتصل بظروف التطور ، تطور الخلاف القائم والملابسات الزمانية والمكانية التي تحيط بهذا التطور منذ ان بدات مظاهره تتوالى قبل عدة سنوات خلت ومن ضمن هذه الملاحظات :

أ – عهد البدء في الحملة ضد الستالينية داخل روسيا ودول اوربا الشرقية : وقد استطاع الجانبان : الصيني والسوفياتي ان يتغلبا على مظهر الانفصال المتناقض الذي اصبح يباعد بينهما خلال هذا العهد وان يحجبا ذلك – مع بعض النجاح – بستار كثيف من مظاهر التضامن على المستوى الدولي ، وان كان هذا التضامن لم يجاوز في كثير من الحالات الدرجة التي تكون بين مطلق الدول المتصادقة على نحو عادي ومحدود وقد امتنعت الصين – خلال هذه الفترة – عن شن الحملات العلنية ضد العمليات اللاستالينية في روسيا وغيرها ، ولكن الحزب الشيوعي الصيني لم يبد كذلك تاييده لهذه العمليات او على الاقل موافقته عليها ، ولو من ناحية مبدئية .

ب – عهد المجمعات الشعبية « الكومونات » (1957) وقد بدأ الخط المذهبي الصيني الخاص يزداد في هذا العهد تبلورا ووضوحا ، واخذت الشقة العقائدية والمنهجية بين الشيوعية الصينية والشيوعية الروسية تزداد سعة وعمقا ، وفي تقدير الصينيين اصبح ثمة فارق مهم بين منهجيتهم الاصيلة وبين المنهجيات الاخرى في بقية الاقطار الشيوعية باوربا وغيرها ، وهذا الفارق يتمثل في ان طريقتهم – والمجمعات الشعبية احدى صورها – تقتضي الانتقال المباشر الى نظام الشيوعية الكاملة بينما « بمرحل » الاخرون هذا الانتقال اي انهم لايستهدفون التوصل اليه الا بعد اجتياز مراحل معينة ، قد تطول احيانا الى حد بعيد وقد اثارت هذه الاتجاهات في التفكير والتنظيم المتمثل في نظام المجمعات الشعبية – اثار ذلك جملة من الانتقادات العلنية او الضمنية في اوساط الشيوعيين الروس والاوربيين ولم تمر هذه الانتقادات – والجو العام الذي برزت من خلاله – لم يمر ذلك دون ان يخلف اثارا غير طيبة في بعض الحالات .

ح – عهد الحملة الكبرى على جزر « ماوتسو » و « كيموي » التابعة للادارة الوطنية الصينية (حزيران 1958) : وقد حشدت الصين في هذه الحملة طاقات عسكرية قوية ، وطيلة الخريف واوائل الشتاء من تلك السنة ، انهالت آلاف القنابل على « موتسو » و « كيموي » وانهالت في نفس الوقت مات الانذارات من

جانب الصين على الولايات المتحدة : ولكن الاتحاد السوفياتي بقي متمسكا في غضون الازمة كلها بهدوء غريب ، على عكس ما ينتظر في مثل هذه الحالات ، فهل كان ذلك يعود الى عدم موافقته على الطريقة التي سلكتها الصين في معالجة قضية الجزر الوطنية المواجهة لها ، ام ان الامر يرجع الى ما هو ابعد من ذلك اي الى حالة التسمم التي عرفتها العلاقات بين الحزبين الشيوعيين الصيني والروسي منذ بداية عهد اللاستالينية في الاتحاد السوفياتي ، سواء في هذه الحالة او تلك ، فقد كان لهذه القضية ايضا اثرها الشديد في مضاعفة نسبة التسمم الذي ما برح يصيب العلائق بين الحزبين ، بل انها تشكل ـ كما يبدو ـ مرحلة مهمة من مراحل هذا التسمم .

د ـ عهد الحرب الصينية الهندية على الحدود (1962) : والصراع في منطقة « الهملايا » بين « بيكين » و « نيودلهي » يؤول الى عدة سنين خلت ؛ بل الى ما قبل قيام النظام الشيوعي الصيني بالمرة ، لكن التطورات التي عرفها هذا الصراع منذ عدة شهور، والمضاعفات الدولية الخطيرة التي ما فتئت تنشأ عنه باستمرار ، كل ذلك بدأ يضفي اهمية استثنائية ، ذات ابعاد عميقة جدا ، ومن بين المضاعفات الخطيرة التي احدثها هذا الصراع انه ساعد على نشوء حالة من انقلاب الاحلاف هي من الاثارة بمكان كبير ؛ فبعض اعضاء الكتلة الغربية كالباكستان ، التي تنتسب في نفس الوقت الى الحلف المركزي ، وحلف جنوب شرقي آسيا لم تتردد في مظاهرة الصين من الناحية السياسية، وذلك الى درجة ملحوظة جدا ؛ هذا بينما واصل السوفييت تزويدهم الهند بالاسلحة اللازمة ، ضمن الصفقات التي كان متفقا عليها من قبل ؛ بل انهم ـ الى ذلك ـ لم يتخذوا ـ حتى من الناحية السياسية موقف المساندة المطلقة للصين في حربها الحدودية تلك ، واذا كان الدافع للباكستان على انتهاج خطة قلب الاحلاف هذه ، يعود ـ بالدرجة الاولى الى اسباب تتعلق بقضيتها المزمنة في « جامو » و « كشمير » فان موقف الروس كان يبدو ـ على العكس من ذلك ـ اكثر اثارة للاهتمام ، اذ انه يرتبط ـ في صميمه ـ بالستراتيجية السياسية السوفياتية في اقطار العالم الثالث ودول الحياد ، بما فيها القارة الاسيوية وغيرها ، وله كذلك ـ كما يبدو ـ بعض الصلة الدقيقة بازمة العلاقات الناشبة باستمرار بين الشيوعية الروسية من جهة والشيوعية الصينية من جهة اخرى ومن غير شك فقد كان لكل هذه الاحوال اثر ما في اشتداد التوتر وامتداده على نطاق واسع بين السوفييت والصينيين فالشيوعية الروسية لم تجتريء ـ في هذه الحالة ـ بمجرد الامتناع عن مساندة بيكين في عملياتها الحدودية الواسعة بل انها قد ذهبت مذهبا يرى فيه « الدوكماتيون » ولا شك نوعا من المظاهرة غير المباشرة للهند ، وذلك ما يمكن استنشاقه من لهجة التعليقات المختلفة التي كانت تصدر بهذا الصدد ، والمهم في الامر ان المسائل التي اثارتها هذه التطورات لم تبق محصورة في النطاق السياسي العادي اي ما يتصل بحالة العلائق بين دولتين حليفتين يزدهر التعاون بينهما الى درجة التحالف والتكافل او ينخفض الى مستوى الازمة ، او القطيعة ، لقد كان لمضاعفات الحرب الحدودية بين الصين والهند، وانعكاساتها على حالة الارتباط بين بيكين والاتحاد السوفياتي ـ كان لذلك اثره العميق ايضا في الميدان العقائدي اي فيما يتصل بقضية المفاهيم الماركسية اللينينية والاختلاف في ادراكها وتاويلها بين الشيوعيين هنا وهناك ، وفي ذات الوقت الذي كان فيه الصراع على اشده في منطقة « الهملايا » كان الجدل يدور مشتدا وواسع النطاق حول المشاكل الايديولوجية التي كان لابد ان تثيرها حالة من هذا القبيل ، أي ان الجدل كان يدور حول اولوية الاختيارات التي يمكن اتخاذها حينئذ من جانب الدول الشيوعية المختلفة ، ازاء الخلاف الحدودي الناشب : فهل اولى بالاختيار : العامل الايديولوجي الذي يقضي بالحفاظ على مصلحة التضامن بين اعضاء العشيرة الشيوعية الدولية ، والانطلاق من ثم الى موالاة الموقف الصيني بغض الطرف عن جميع الاعتبارات الدولية الاخرى ، أم ان الاوجب من ذلك مراعاة العامل الدولي المطلق بما يقتضيه من خضوع للاعتبارات السياسية العالمية اي بما يفرضه من ضرورة الانفعال بواقع الاحوال السيكولوجية والفكرية بالعالم وتطورات القضايا السياسية والقانونية والدولية في ربوعه مع ما لكل ذلك من ارتباط بنزوع الدولة الى تامين مركزها الدولي وضمان استمرار تعاطيها مع بقية القطاعات العالمية الاخرى واشعاعها النفوذي بمختلف الجهات وقد طفحت الصحافة الشيوعية الدولية ـ خلال اشتداد ازمة الهملايا ـ باصداء الجدل الذي دار كثيرا بهذا الصدد وترددت هذه الاصداء كثيرا سواء في داخل الشيوعية الهندية نفسها حيث ما زال الحزب الشيوعي تتوزعه النزعة القومية القائلة بضرورة الوقوف الى جانب المصالح الوطنية الهندية في قضية الحدود ، والنزعة الدولية البروليتارية القاضية بالتفاضي عن

المصالح القومية الضيقة في سبيل الاستجابة لاعتبارات التضامن العقائدي الذي يفرض موالاة وجهة النظر الصينية في الموضوع باعتبار ان الصين هي مركز الثقل الشيوعي الاساسي في الشرق الاقصى ومنطقة جنوب شرقي آسيا اما الاهم من ذلك فهو الجدل الصيني السوفياتي المباشر حول الموضوع ، وقد كان هذا الجدل من اهم ما يميز المرحلة الجديدة التي دخلت فيها الازمة الايديولوجية والاتجاهية العامة بين الشيوعيين

هـ ـ عهد المحاولات التوفيقية والآثار الناشئة عن ذلك : وقد كان من ابرز هذه المحاولات : المؤتمر العقائدي الكبير الذي التأم في 5 يوليوز 1963 بموسكو ، وضم ممثلين للحزب الشيوعي الصيني ، وممثلين موازين لهم من الحزب الشيوعي السوفياتي وذلك لمحاولة البحث عن قاعدة اتفاق عقائدية مشتركة ، تضع حدودا ما لمجموعة الخلافات الاساسية الناشئة بين الحزبين ، وقد علق كثير من الاهمية على التآم هذا المؤتمر سواء داخل الاوساط الشيوعية او خارجها وكان من دلائل الاعتبار لهذه الاهمية ان سبعة اعضاء من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني كانوا من ضمن الوفد الذي شارك في المداولات الرسمية كما ان الوفد الروسي كان يضم وجوها بارزة من بينها النائب الاول لرئيس الحكومة السوفياتية بيد ان الجمع التوفيقي ذلك لم ينته الى اية نتيجة تذكر على الرغم من عمق المواضيع التي طرقت ، والنقاش الذي جرى حول ذلك على نطاق واسع بل ان الجو الروسي الصيني غداة هذا الجمع قد اصيب بحالات تدهور جديدة ، منها ما هو ذو صدى عابر ومنها ما هو ذو مفعول مستمر وكان من عوامل ذلك : تطور المحادثات بين الغرب والسوفييت حول المعاهدة الذرية التي كانت مرتقبة آنئذ ومن ذلك ايضا : الرسالة التي نشرها الحزب السوفياتي (15 يوليوز) موجها اياها الى جمهرة الشيوعيين الروس ، وهي تتضمن هجومات حادة على الحزب الشيوعي الصيني ثم الاجتماعات المضادة السوفييت التي اخذت تنظم في بيكين ومنها المؤتمر النسوي الكبير الذي عرفته العاصمة الصينية في 18 يوليوز اي قبل انفضاض المؤتمر بقليل .

وهناك بالاضافة الى هذه المعالم الخمس ، في مضمار التطور الذي عرفته الازمة الصينية السوفياتية ـ هناك بعض الوقائع الاخرى التي يمكن القول بانها لم يكن من شانها ان تكون ذات تاثير جوهري في الامر غير انه ـ نتيجة لطبيعة الجو المتوتر ، الذي ما فتيء يسود العلائق بين الطرفين فقد كانت لها من اجل ذلك انعكاسات بل مضاعفات عميقة الاثر في قصة النزاع بين بيكين وموسكو ، ولم يزل لهذه المضاعفات نوع من الامتداد المستمر في كثير من الميادين ، ومن بين الوقائع من هذا القبيل : حادثة الصواريخ السوفياتية بكوبا وتراجع الروس (اكتوبر 1962) امام الازمة الدولية التي نشات عن ذلك ، ومن قبيل الوقائع ايضا : الحالة الناشئة عن توقيع اتفاقية موسكو حول الاختبارات النووية (غشت 1963) والموقف المترتب عن تزايد عوامل التفاهم والمودة بين الحكومة السوفياتية والادارة الامريكية على عهد الرئيس السابق والتقدير الحار الذي اضفته « موسكو » على هذا الاخير غداة مصرعه في نونبر الماضي كما ان هناك بعض الاحداث من نوع آخر والمراد بها جملة الاحداث ذات الصبغة القومية التي ساهمت بدورها في تمديد رقعة التوتر الروسي الصيني او لعلها كانت من نتائج هذا التوتر وعواقبه غير المباشرة ومن بين التطورات من هذا القبيل ماعرفته الحدود السوفياتية مع الصين في شرقي آسيا من مماحكاة شديدة كشفت عنها المصادر الصينية في 5 شتنبر الماضي ومنطقة الحدود المعنية بالامر تقع في ناحية « سينكيانج » الصينية باواسط آسيا حيث تلتقي الاراضي السوفياتية والصينية بصورة واسعة وقد ضاعف من تعقيد المسالة هذه ما عرف من هجرة نحو ستين الفا من سكان المنطقة المسلمين وتنقلهم عبر الاراضي السوفياتية الامر الذي ادى الى تبادل اتهامات متناقضة بين الجانبين واضاف الجو الصيني ـ الروسي اعباء جديدة هذا الى عدد من من المداخلات والظروف الدقيقة الاخرى التي تتوالى باستمرار ولا تزال تساهم ـ اما لخطورتها الفعلية في نظر هذا الجانب او الاخر ـ واما انها لا تكتسي خطورة حقيقية ولكنها تستغل فقط لاسباب تكتيكية وما في نوعها ، لا تزال تساهم ـ لاجل ذلك كله ـ في تمديد مناحي الخلاف الروسي ـ الصيني ، وخلق ابعاد جديدة له سواء من نوع او آخر .

الملاحظة الثانية : ان الخلاف الروسي الصيني والازمة الناشئة عنه قد خلف ولا يزال يخلق ـ بحق ـ كثيرا من الاثار السلبية على صعيد العلاقات بين البلدين الا ان الذي يمكن ان يلمحه المرء بهذا الصدد هو ان هذه الاثار السلبية الناشئة عن حالة الخلاف هذا تبدو بصورة متفاوتة في ميدان العلاقة الدولية (اي بين الدولتين) من جهة وفي مضمار العلاقة الحزبية من جهة اخرى ففي الميدان الدولي اي فيما يتصل بالعلاقة بين

الدولتين تبدو آثار الخلاف ـ بالرغم عن المظاهر ـ ذات امتداد محدود نسبيا ، فهي ـ اي هذه الآثار ـ تبدو ـ عمليا ـ في المجال الاقتصادي حيث ان التعاون بين البلدين ـ في هذا الشأن ـ قد اصيب بتدهور بالغ نتيجة حجب المساعدات السوفياتية التي كانت تقدم من قبل وانسحاب التقنيين والخبراء الروس الذين ما برحوا يعملون منذ عدة سنوات لحساب العهد الحالي في الصين اما في الميدان الديبلوماسي العادي فان العلاقات بين الدولتين لم تصب اصابات كبيرة لحد الآن فعلى الرغم من التوتر السائد ، فان الروابط الديبلوماسية العادية لم تنقطع بين البلدين سواء بصورة رسمية او غير رسمية ، كما انهما لم يصطدما على اي مستوى دولي جدي ، بلجئهما الى توسط المنظمات الدولية او الى اي شكل من اشكال التحكيم الدولي بل ان بعض التاكيدات التي يدلى بها ـ بهذا الصدد ـ سواء من هذا الجانب او الآخر ـ تنصب حول القول بان الحالة الخلافية القائمة هي على مستوى حزبي وفي النطاق العقائدي المحض ، وليست من قبيل الحالات النزاعية العادية التي تقوم بين دولة او اخرى من المجموعة الدولية الراهنة ، وهناك نصيب كبير من الحقيقة في هذه التاكيدات ذلك ان الصلات ـ اذا لم تكن قد انفصمت كلية بين البلدين على المستوى السياسي الدولي فانها تكاد تتعرض لذلك من ناحية الارتباطات الحزبية على الشكل الشيوعي المعتاد والادعى من ذلك الى الالتفات ان كثيرا من القرائن التي لها دلالتها توعز بالاعتقاد با انفصاما حاسما على المستوى الحزبي بين الروس والصينيين يمكن ان تتلوه حالة واسعة النطاق من الازدواجية المتوازية في مضمار الحركة الشيوعية العالمية كل ذلك ليس من شانه ان يثير كثيرا من الاندهاش في حالة استمرار الاوضاع الحاضرة او تطورها بصورة راديكالية وان كان هذا ليس مؤكدا ـ على اي حال ـ على اساس يقيني لايقبل المراجعة .

الملاحظة الثالثة : تبدو الخريطة الخلافية في العالم الشيوعي الحاضر على درجة من التناسق والتلاؤم بصورة تلفت النظر كثيرا ومظهر التناسق هذا يتجلى في ان النزعة الصينية يكاد نفوذها الفعلي يتركز في منطقة مخصوصة بينما النزعة الاخرى المناقضة لها تجد مجال التجاوب معها في مناطق معينة غير الاولى فباستثناء الباتيا التي تقع في شرقي اوربا (على ان منطقة البلقان كلها تنطبع عقليا واجتماعيا ببعض اللمحات الاسيوية وذلك ـ كما يبدو ـ لاسباب اثنوغرافية وتاريخية) باستثناء هذه الدولة الاوربية تكاد آسيا ـ وخاصة الجزء الشرقي منها ـ تشكل المجال الاساسي الذي تروج فيه النظرية الصينية على نطاق واسع (شمال الفيتنام ـ شمال كوريا ـ وبدرجة اقل : اندونيسيا ـ سيلان ـ اليابان) اما النظرية السوفياتية بكل متعلقاتها وتحملاتها ـ فانها تكاد لاتجد رواجا كبيرا في الاحزاب الشيوعية الاسيوية على اساس بعيد المدى ، وخاصة بالنسبة للاحزاب الحاكمة مع استثناء الحزب الشيوعي لمنغوليا الخارجية الذي ما برح يحتفظ بموقف لا باس به من الموالاة لوجهة النظر السوفياتية وعلى العكس من ذلك فان بقية الاحزاب الحاكمة باوربا والاكثرية الساحقة من الاحزاب غير الحاكمة بالمنطقة الاطلسية بما فيها غربي اوربا ووسطها واقطار نصف الكرة الغربي تحتفظ بنسبة كبيرة من الولاء لمحتويات النظرية السوفياتية فهل تساعد ملاحظة ظواهر من هذا القبيل على اطلاق القول بان هناك مجالا قد بدا يتفتح امام امكانية تبلور الحركة الشيوعية الدولية في شكلين اساسيين متمايزين : شكل اسيوي او شرقي قد غدت ملامحه الاولى تتخطط ضمن اهداف النزعة الصينية وشكل آخر غربي أو اوربي امريكي تتبلور خطوطه البدائية في افق الاتجاهات التي تحتضنها النظرية السوفياتية ؟ هناك من بين الملاحظات التي تتردد بهذا الصدد ما يمكن ان يغري بالاخذ بهذه النظرية ، او بالاقل اعتمادها في استخلاص بعض النتائج الجزئية فقد يجوز ان يقال : ان العقلية الاسيوية التي تتحكم في تحديد وجهة الشيوعية الصينية وبالتالي وجهة الشيوعية التي يمكن ان تتخذ صورة نهائية بالشرق الاقصى هذا الى الظروف السيكولوجية والتاريخية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية الخاصة التي تسود واقع الحياة عند شعوب هذه المنطقة كل ذلك ربما يكون من شانه ان يؤدي الى تشكيل صورة منفردة للحل الشيوعي الذي يمكن انتهاجه باسيا ويحتم وجود انواع من الفرق بين هذا الحل ، والاختيارات المتعلقة به ، وبين الحلول والاختيارات الاخرى التي تحتضنها الدول الواقعة خارج القارة خاصة وان التوقيت الزمني بين تطور الشيوعية الاسيوية كحقيقة دولية فعالة وبين تطور الشيوعية الاخرى الموازية لها اي الشيوعية السلافية (الصقلبية) هذا التوقيت يعكس فارقا شاسعا له اهميته ولذا فان الظروف الاتية التي تكتنف كلا منهما هي متفاوتة الى حد كبير لا تسمح لهما بقدر من التوافق والانسجام غير محدود والواقع ان احكاما

من هذا النوع ـ وان كانت منبثقة عن عدد من الظواهر والملاحظات الصحيحة التي لها قيمتها ، الا انه يبدو من التسرع المبالغة في استعجال هذه الاحكام ، والاخذ بها اخذا يقينيا مطلقا اذ أن القيمة الاستدلالية والاستنتاجية لمجمل الظواهر التي يمكن اعتمادها بهذا الصدد ـ ليست ثابتة دائما وذات مضمون واسع يمكن من تكوين مفاهيم قارة ونهائية .

ويقودنا هذا الى ابداء ملاحظة خامسة : تتصل بالموضوع ، وفحوى هذه الملاحظة ، ان بروز حالة الخلاف الصيني ـ السوفياتي تكاد تسير سيرا متوازيا مع بروز حالات اخرى كثيرة من الخلاف في اوساط الشيوعية التعديلية نفسها ، بل وكما يمكن تاكيده في حظيرة الحركة الشيوعية العالمية بوجه عام اي ضمن دائرة هي اوسع بكثير من مجرد الدائرة الصينية ـ الروسية فهناك اتجاهات عديدة اخرى غير الاتجاه الصيني تتبلور داخل المجتمع الشيوعي العالمي الراهن . وهذه الاتجاهات التي لا تسير ـ بالضرورة ـ ضمن اهداف النزعة الصينية والتي يمكن ان تلمح مظاهر عديدة لها سواء باوربا او غيرها ـ هذه الاتجاهات تعتبر ذات اثر فكري وعقائدي متفاوت ، وهي ـ في مجموعها ـ لما تزل في دور الاحتضار الاولي قبل ان تستطيع المساهمة ـ على اي حال ـ في تعديل صورة الشيوعية المعاصرة ، وتوسيع الاطار المذهبي الذي يتسع لهذه الايديولوجية في الوقت الراهن ، ومن الجائز ان يعتبر البعض من هذه الاتجاهات ذا صبغة تمردية على الجوهر المذهبي الذي يحدد صورة الماركسية ـ اللينينية في الاصل ، كما ان هناك من هذه الاتجاهات ايضا ما يمكن اعتباره ذا نزوع فقط الى الاجتهاد في فهم المذهب ، ومحاولة اعادة النظر في تطبيق معطياته حسب المقتضيات العالمية المتجددة .

* * *

استعرضنا من خلال الملاحظات السابقة ، بعض الظواهر والحقائق التي تتجلى بصورة او اخرى من خلال الاوضاع الشيوعية الحاضرة ، على المستوى الدولي والعالمي ، والملاحظات هذه لا يوجد ـ حقا ـ بينها ترابط شامل يضفي عليها قدرا من التناسق والانسجام اللازم ومرد ذلك هو ان هذه الملاحظات لا يقصد منها استيعاب كافة جوانب الازمة القائمة ، واستقصاء جزئياتها وتفاصيلها من الاساس ، فالمراد فقط هو استعراض جملة من الظواهر العارضة التي لها اهمية في الموضوع ، بصرف النظر عما يتوافر فيها من ترابط دقيق او شامل ، وللمرء ـ انطلاقا من هذه الظواهر ـ ان يفحص الكثير من جوانب الخلاف الموجود ويستجلي العديد من وجهات الراي سواء عند هؤلاء او اولئك كما ان هناك امكانية كذلك لتصنيف وجهات الراي هذه واعتمادها في اطلاق عنوان « الدوكماتيين » على جماعة دولية او حزبية معينة ، او عنوان « التعديليين » على جماعة اخرى لكن الملاحظ ـ بهذا الصدد ـ ان عددا من الخلافات من هذا القبيل او ما يقاربه حيث تمتزج العقيدة بالمصلحة والذاتية بالموضوعية مثل هذه الخلافات قد تتعرض لها دول متحالفة في بعض الحالات ويحدث لها ذلك تناقضا او اصطداما لكن دون ان يؤدي بها الامر دائما الى درجة توريط المحالفة العقائدية او المصلحية التي تربط بينها على شكل او آخر ، ومن الامثلة التقريبية على ذلك : قضية الخلافات البارزة التي تفصل بين فرنسا والولايات المتحدة والتي يمكن ان تحدث بصددها تطورات خلافية اخرى دون ان يتوقع من ذلك انفصام حقيقي وحاسم في الصلة التي تضم بينهما داخل المعاهدة الاطلسية ، وحتى اذا حدث هذا الانفصام فانه ليس من المنتظر ان يتم بالسرعة التي تتم بها الآن التطورات الشيوعية الراهنة ، والمظنون ان « الظاهرة » الصينية لو كانت هي كل ما تضطرب به احشاء الجماعة الشيوعية الدولية لما كان لها ان تتجاوز ـ في مضاعفاتها ـ مقدار التاثير الذي تحدثه المنازعات الفرنسية الامريكية الموازية وحتى اذا تجاوزت ذلك فانه ليس من شانها ان تصل الى درجة تصديع البناء الدولي الشيوعي بقوتها المفردة ، لكن الذي يلمحه المرء ـ كما تقدم ـ ان هناك « ظواهر عديدة اخرى ما فتئت تظهر في افق العالم الشيوعي ولا تعد « الحالة » الصينية الا واحدة منها فقط ، وهذه الظواهر ـ التي يتكرر بروزها هنا وهناك في مناطق متعددة من العالم ـ تعكس ـ ولا شك ـ الظهر الكبير المتكامل للازمة الشيوعية الراهنة ، وان كان من الصعب اكتناه كافة هذه الظواهر من الآن واستبانة كل القضايا والحقائق التي يمكن ان تنبثق عنها في الامد البعيد .

فما هي جملة هذه الظواهر ؟ وما صلتها بوجود الازمة الشيوعية العالمية الحاضرة ؟ وما درجة ارتباطها بواقع هذه « الازمة » واتجاهاتها في الوقت الراهن ؟ والى ابن تسير الحركة الشيوعية الدولية على العموم ؟

ذلك ما سنحاول ـ بمشيئة الله ـ ان نعالجه في العدد القادم .

سلا : المهدي البرجالي

إهنأ بدار الخلد

للشاعر محمد فهمي

اهنأ بدار الخلد ربك منعم ... غر المآثر من علاك تترجم
يا واهب الشعب الحبيب حياته ... وجهاده في الله ضاح معلم
كانت حياتك نفحة قدسية ... الله ارسلها لشعب .. يكرم
في كل ناحية وكل محلة ... مما غرست .. فم عليك يسلم
اني تلفتت العيون ترى لكم ... وجها تبسم او صدى يتكلم
ما زالت الاصداء تنتظم الحمى ... ويشيع فيه جلالكم .. والموسم
فلكم طلعت على الجموع بطلعة ... نسيت بها الاخطار وهي تحوم
يا للمواقف حين شبت كفكم ... نار التحرر .. فاستجاش العيلم
وطفت اواذي الجموع تدفقا ... صوت الرعود هديرها .. بل اعظم
سوق الجهاد .. اقمت بادخ ركنها ... فتسابق الشهداء خلفك ترحم
الهول .. لا يثني قناتك هوله ... بل يستثير العزم فيك ويضرم
هي عزمة .. عرق الرسول جرى بها ... وجرى بمجراها مشاشك والدم
دهشت لك الدنيا وانت تقودهم ... ثبت الجنان .. كما تقحم ضيغم
فاذا نفيت .. طغى السعير تأججا ... جياش روحك كان ينفث فيهم
هي آية الحب العظيم سما بها ... شعب عريق .. يفتدى ويعظم
حتى تجلى النصر لالا السنا ... واطل وجهك .. كالضحى يتبسم
صار المحال حقيقة وضاءة ... فاتى بالاستقلال ركبك يقدم
واذا ابتسامتك الحبيبة بلسم ... يأسو الجراح .. وللهداية ميسم
اضحى امير المؤمنين مؤزرا ... بالنصر .. والاسلام راح يترنم

●

يا ساكن الفردوس اعلا منزل ... في منزل الشهداء .. انك منهم
(محمد) انت الشهيد وان تكن ... ابقيت بعد النصر .. كيما تدعم

ارسيت اسباب البقاء لدولة … ما شد كفك ليس فيه تثلم
ومضيت نحو الخلد عجلان الخطى … واخترت قرب الله .. نعم المغنم
ونفثت فى (الحسن) الموفق سركم … فاذا به سبل الهدى يترسم
نعم الامام .. فتوة واصالة … وشجاعة كالسيف حين يصمم
متوثب العزمات .. جبار الخطى … يبني كما بنت الجدود ويحكم
هو فى جلال الملك اروع مالك … هو فى مضاء العزم ليس يجمجم
عجمت خطوب الحادثات قناته … فاذا به الطود الاشم الاعظم
يعفو وقد طالت عزائم باسه … ويعف عن فعل الصغار .. ويحجم
متعشقا للمجد فى وثباته … وعلى هناء الشعب فهو القيم
سهران فى رعي الامانة انه … نسل الاماجد والذين هم هم
للدين حارسه .. وراعي ركنه … يخشى الآله كانما هو محرم
فاق الشيوخ روية واصابة … ما كان بدعا اذ يصيب ويفحم
اوليس فرعا انت غارس نبته … بل انت والده .. وانت معلم ؟
رفع اللواء مجاهدا فى حكمة … الله راعيه وسرك يلهم

الرباط : محمد فهمي

ليلة النصف من شعبان

للشاعر: محمد أحمد حيدر

قد يفرح الناس بأعيادهم — اما انا احيا ولا عيد لي
اعود لا احمل حلوى ولا — خبزا ولا شيئا من الماكل
اعود للبيت لكهفي الى — سجني الى لحدي الى منزلي
اعود للاطفال فى كوخهم — اعود للنار التي اصطلي
اعودُ يا رب ولا حاجة — احمل للاطفال فى انملي
اعود يوم العيد لا مأمل — لا وجبة يلهو بها مرجلي
اعود لا وعد ولا موعد — يئست من عيشي ومن مأملي



*

اترع كاسي من كروم المنى — خمرا فاصحو قبل ان تمتلي
اشربها نخب صغاري وكم — ادرتها والولد فى معزل
اجتر آمالي فارقى بها — من عالمي لعالم افضل
اعيش كالناس بحلمي — ومذ أصحو اعد لعالمي الاسفل
لى واقع ابصره عند ما — يبصرني ابصر فى معولي

*

قال صغيري ليت لي والدا — غيرك (يا بابا) كثير العطاء
يطعمني لحما وحلوى ولا — يبخل بالمال ولا بالكساء
يركبني سيارة حلوة — يمنحني يا فرحتي ما اشاء
يسكنني بيتا رفيع الذرى — بروجه قرب بروج السماء
وامسك المسكين لما راى — حزني واغمض مجهشا بالبكاء
وغاب فى صدري واغرقته — بالدمع . يا للبؤس . يا للشقاء

ضاقت بي الدنيا على رحبها ‏ ‏ ومات فى عيني حبل الرجاء
خلقت يا رب فقيرا وهل ‏ ‏ ابقى على فقري ليوم الفناء
يا رب اطفالي ما ذنبهم ‏ ‏ الداء يؤذيهم ولا من دواء
الجوع يا رب وما حيلتي ‏ ‏ ان لم اجد مسعى واعطى جزاء
كيف اراهم . ليتني لم اكن ‏ ‏ خلقت . غفرانك يوم النداء
ان كنت اجرمت فما بالهم ‏ ‏ كانما بالجرم كنا سواء

*

تجمع الاطفال حولي وكم ‏ ‏ بكيت اذ ابصرت وجه الصغير
سريره والارض . وما حيلتي ‏ ‏ ان كنت لا املك حق السرير
يرنو بوجهي وانا مثله ‏ ‏ ارنو واستجلي . وكنت البصير
المح فيه الف دنيا اسى ‏ ‏ واقرا الاحداث فيه سطور
شعرت اني بت فى عالم ‏ ‏ يرتاح للبؤس . ارتياح السرور
مادت بي الارض وماتت ‏ ‏ على اللهاة آهات كلفح الهجير

محمد احمد حيدر : حماة ـ سورية

لأجل وطني

الام تعربد في مضجعي ‏ ‏ قضاء تمكن من اضلعي
احسك شوقا تفور به ‏ ‏ دمائي ، وينصب في مدمعي
احسك كالنور هالته ‏ ‏ تحف كياني وتحيا معي
احسك قبل الربيع ندى ‏ ‏ تلالا في زهر اروع
احسك قبل الخريف يدا ‏ ‏ تذهب فاتنة الاربع
احسك نارا وعاصفة ‏ ‏ وانشودة الخلد في مسمعي
فيا وطن العز يا وطني ‏ ‏ ومقبرة البغي والمدعي
لانت لعيني ضياء لها ‏ ‏ وانت بجسمي فؤاد يعي
لاجلك عشت ايا مغربي ‏ ‏ لاجلك اهوى انا مصرعي

القنيطرة : ابراهيم الهواري السولامي



الهي ، ارى قلبي بحبك عامرا . .
وان كنت لا استطيع رسمك في عقلي
قرات لاهل الصين ما فلسفوا بشأنه
مداك ، ولليونان ما كتبوا قبلي
فلم تهدني في البحث عنك علومهم ،
وما زاد علمي ، بل تاكدت من جهلي

*

فهمت على وجهي بصحراء داخلي
احاول امساك السراب على الرمل ،

وطوقني الالحاد من كل جانب ،
وباتت سموم الشك تقطر من حولي ،
مما زاد قلبي منك الا قرابة
وانا ، وايمانا بوجدانك الكلي
سابقى الهي ، باحثا عنك مخلصا
لقلبي وعقلي في نهاري وفي ليلي . . .

واشنطون : احمد عبد السلام البقالي



كتاب المقالات والفرق

تصنيف الأستاذ سعد بن عبد الله أبي خلف
الأشعري القمي المتوفى سنة 301 هـ. صححه وقدم له
وعلق عليه عن نسخة خطية وحيدة: الدكتور محمد جواد
مشكور عرض وتعليق الدكتور ميكتور الكك

كتـــاب من القطع المتوسط يقع فى مائتين وثمانين صفحة ، نضلا عن مقدمة المصحح التي جاءت فى 18 صفحة ، اما متن المصنف فاخرج فى 116 صفحة وشمل ما تبقى تلعيقات المصحح .

وهو من اقدم الكتب التي الفت فى فرق الشيعة ، جاء اسمه فى رجال النجاشي : ((فرق الشيعة)) وفى فهرست الشيخ الطوسي ومعالم العلماء لابن شهر آشوب ((مقالات الامامية)) ، وقد استند اليه العلامة محمد باقر مجلى فى تاليف كتابه ((بحار الانوار)) الذي يعد بحق دائرة المعارف الشيعية وسماه ((مقـــالات الامامية والفرق واسماؤها وصنوفها)) .

وساد الظن بان يد الزمان عبثت به الى ان وقع على نسخة فريدة منه الدكتور شكور لدى فضيلة الاستاذ ((سلطاني شيخ الاسلامي)) نائب المجلس الوطنى الايراني سابقا .

وتعتبر هذه النسخة مخطوطة يتيمة وحيدة ، اذ انه لا وجود لنسخة خطية ثانية لهـــا ـ فى الوقـــت الحاضر ـ فى مكتبات العالم العامة او المكتبات الشخصية الخاصة ، وقد جاء اسمها فى الصفحة الاولى كما يلي : « كتاب المقالات والفرق واسمائها وصنوفها والقابها ، تصنيف سعد بن عبد الله ابي خلف الاشعري القمي وهو رحمه الله قد ادرك امامين هماميـــن الحسن العسكري وابن صاحب الزمان رضوان الله عليهما » .

وبين هذا الكتاب وكتاب ((فـــرق الشيـــعة)) للنوبختي المتوفى بين عامي 300 و 310 للهجرة) تشابه فى المطالب والموضوعات ، وكذلك فى اسلوب تنظيمهـــا بصورة عامة ، وفى ((المقالات والفرق)) اضافات على كتاب النوبختي .

وقد حدد المصنف الغرض من مصنفه فقال بعد ان حمد الله ووجه اليه تعالى دعاء : ((اما بعد ، فان فرق الامة كلها المتشيعة وغيرها اختلفت فى الامامة فى كل عصر ووقت كل امام بعد وفاته وفى عصر حياتـــه منذ قبض الله محمدا (ص) وقد ذكرنا فى كتابنا هذا ما يتناهى الينا من فرقها وارائها واختلافها وما حفظنـــا مما روى لنا من العلل التي من اجلها تفرقوا واختلفوا وما عرفنا فى ذلك من تاريخ الاوقات وبالله التوفيـــق ومنه العون)) .

وجرى الحديث فى ((كتاب المقالات والفرق)) على ما يقرب من المائة فرقة مع ذكر مقالات كـــل فرقـــة واحتجاجاتها والاشعار التي قيلت فى هذه المواضيع ، كالأزارقة والبترية والبزيعية والبشرية والجومدينيـــة والخرمدينية والسرحوبية والصائدية وغيرها .

*

اما مصنف الكتاب فهو سعد بن عبد الله بن ابي خلف الاشعري القمي من كبار محدثي الشيعة الامامية ، ومن شيوخ رواية محمد بن جعفر بن قولوية ، ذكره الشيخ الطوسي فى رجاله ، وعد من اصحاب الامام العسكري ، كما ذكره فى فهرسته ، وذكره النجاشي ايضا فى رجاله ، وقال فيه : ((شيخ هـــذه الطائفة وفقيهها ووجهها)) ، كما ذكره غيرهما ممـــن الفوا فى تاريخ الامامية وفرقها ، وروى الشيخ الصدوق فى كمال

الدين وتمام النعمة (ص 251 — 257 من طبعة طهران) قصة لقائه مع الامام الحسن العسكري .

وشيخنا الاشعري عربي الاصـــل ، والاشعري نسبة الى اشعر وهي قبيلة يمانية مشهورة ، والاشعر على ما يروى هو : بنت بني أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وانما قيل له الاشعر لان امه ولدته والشعر على بدنه (❋) وقد هاجر بعض الاشعريين من اليمن الى الكوفة ومنها الى قم بايران .

اما مؤلفاته فتبلغ نيفا وخمسة وثلاثين مصنفا ، منها : كتب الرحمة ، وكتاب جوامع الحجج ، وكتاب مناقب رواة الحديث ، وكتاب المتعة ، وكتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ، وغيرها .

ولما كان سعد بن عبد الله من كبار محدثي الامامية فان رجال الشيعة الامامية كالكشي والشيخ الطوسي يعتمدون على اقواله ويأخذون عنه معظم المطالب المتعلقة بفرق الشيعة اكثر من اعتمادهم على النوبختي واخذهم عنه لانهم يعتبرون النوبختي من علماء الكلام وينظرون الى الاشعري كمحدث فقيه ، وعليه فان ما نقل عن فرق الشيعة فى كتب الرجال والحديث مطابق مطابقة تامة لعبارات الاشعري ومقولاته فى كتابه ((المقالات والفرق)) وليس الامر كذلك بالنسبة لكتاب النوبختي .

وسوقنا الحديث هنا الى الكلام عن مصحح هذا الكتاب ومحققه ، وهو كما يظهر من عنوان الكتـاب : الدكتور محمد جواد شكور ، الاستاذ فى دار المعلمين العليا بطهران .

والواقع ان الدكتور شكور بذل جهدا مشكورا فى تحقيق هذا الكتاب وايضاح غوامضه وحل مشكلاته.

فقد قدم له فى 18 صفحة كما مر بنا وقابله بكتاب النوبختي مبينا وجوه التشابه والاختلاف بينهمـا ، وبلغت التعليقات التي اضافها الى متن المخطوط مـع الفهارس المفصلة مائة وستين صفحة ، صحح فيها بعض الاغلاط التاريخية وغيرها .

ويكفيه ثوابا فى عالم التحقيق انه اخرج لنا على اكمل وجه هذه المخطوطة النفيسة اليتيمة التي جلت حقائق تاريخية هي بالنسبة لتاريخ الاسلام والفـرق وسير العقائد وتطورها من الاهمية بمكان .

ومن بين هذه الحقائق امر مقتل ابن المقفع ، فان رواية كتاب المقالات والفرق تناقض الروايات السائدة والقائلة بان سفيان بن معاوية قتله ومثل به تنفيذا لامر الخليفة المنصور ، اما رواية ((المقالات والفرق)) فتقول ان سفيان بن معاوية لما ظفر بابن المقفع واراد حمله الى المنصور قتل نفسه : قال بعضهم انه شرب سما وقال بعضهم انه خنق نفسه .

بيروت : فكتور الكك

❋ اللباب فى تهذيب الانساب لابن الاثير طبع مصر سنة 1357 هـ ج 1 ص 51 .



قصة العدد

ثوار وعشاق

للاستاذ يوسف مدور

جلس حامد الاخضر قائد احدى فرق المناظلين الجزائريين فى زاوية من زوايا الكهف الذي اتخذ منه مقرا لقيادته والتف حوله رجاله يحتضن كل منهم سلاحه منتظرا التعليمات بلهفة ، وبدا حامد حديثه قائلا :

ـــ ان الطقس جميل اليوم ، لذلك فان ((فرانسوا فورنييه)) صاحب مزرعة الليمون ، سيكون حتما جالسا كعادته فى الحديقة يحتسي الخمر مع زوجته ، ومهمتنا الليلة اختطافهما دون ضجة ودون اطلاق رصاصة واحدة .

فصاح منصور بيرم :

ـــ ارجوك ان تسمح لى بتنفيذ هذه المهمة بمفردي، واعدك بعدم اطلاق الرصاص حتى اني ساذهب دون بندقية ، ان سلاحي الوحيد سيكون خنجري فقط

فاجاب حامد :

ـــ ان هذا ليس وقت الانتقام لابنتك التي دهسها ((فرانسوا)) بسيارته ، اننا نريدهما احياء ، وانت حتما سوف تذبحهما .

ان الغاية من اسر ((فرانسوا)) وزوجته فى منتهى الاهمية بالنسبة للقيادة العامة ، حتى انهم لم يطلعوني على السر ، لذلك قررت ان اقوم انا شخصيا بهذه المهمة وسيرافقني طاهر ومراد ، وقد رسمت الخطة باحكام حيث ينتهي كل شيء خلال ثلاث ساعات ، اما اذا انقضت هذه الساعات الثلاث ولم نعد فهذا يعني اننا اخفقنا وقضي علينا ، عندئذ ستستلم القيادة انت يا منصور وتنتظر التعليمات الجديدة ، لكن اياك ان تقوم بأي عمل انتقامي قبل وصول التعليمات ، والان هيا بنا .

عندما وصل حامد ورفاقه قرب المزرعة ، تسلق السور وقفز الى الداخل دون ضجة ، ثم اخذ يتقدم رويدا رويدا شاهرا رشاشه، وكان ((فرانسوا فورنييه)) فى ذلك الوقت كما تنبا حامد ، يرتشف الخمر المعتق بينما كانت زوجته الجميلة ((كريستين)) تغني له بصوت خافت اغنية ((لاسين)) وعندما اصبح حامد خلفهما تماما ، قال بصوت منخفض وصارم فى الوقت نفسه :

ـــ لا تلتفتا الى الخلف.. انهضا حالا .. واتجها الى باب الحديقة دون كلمة .. والا افرغت فى راس كل منكما عشرين رصاصة ..

اعترت الرجفة ((فرانسوا)) ولم يستطع الوقوف وسقطت الكاس من يده ، فامسكت به زوجته من ذراعه وساعدته على النهوض وهي تقول :

ـــ تشجع ، انهم على ما يظهر لا يريدون قتلنا والا لما ترددوا لكن اذا رفضنا تنفيذ الاوامر فقد ينفذون وعيدهم ، هيا لا تخف يا حبيبي .

عند ما قطع الثلاثة حوالي مائتي متر ، ظهر طاهر ومراد من وراء احدى الاشجار فقال لهما حامد :

ـــ اني سأتقدمكما مسافة مائة متر لاكشف الطريق ، فاذا سمعتما طلقات نارية ، غيرا طريقكما ، وعند وصولكما مع الاسيرين بالسلامة الى مقرنا ، اعلما القيادة حالا ان ((فرانسوا)) وزوجته اصبحا بحوزتنا، وسالحق بكما فيما بعد اذا بقيت حيا ، واعلما ان المهم فى القضية هو بقاء الاسيرين بحوزتنا احياء ، هيا بنا الآن اتبعوني .

وصل حامد ورجاله مع الاسيرين بسلام الى المقر حيث وجدوا شخصا غريبا بانتظارهم ، بادر بتهنئتهم لنجاحهم فى المهمة ، ثم عرفهم على نفسه قائلا :

—— انا نادر بن قدور ، موفد من القيادة العامة لانقل اليكم تفاصيل بقية المهمة ولاتعاون معكم على تنفيذها ، وها هي النقط الهامة :

ان حملة فرنسية كبيرة سوف تتجه الى منطقتكم للقيام بعمليات حربية واسعة النطاق بغية تطهير المنطقة على حد تعبيرهم ، لانكم تسببون لهم ازعاجا كبيرا ، لذلك يتوجب علينا ابادة هذه الحملة بكاملها دون ان نسمح لها بالمقاومة الفعالة ، وهذا لا يمكن الا اذا كمنا لها في مكان مناسب ، وكي تنجح خطتنا نجاحا تاما يتوجب علينا الحصول على المعلومات التالية :

1) عدد افراد الحملة .
2) الطريق الذي سوف تسلكه .
3) التاريخ الذي ستتحرك به .
4) مكان التجمع .
5) الاسلحة المزودة بها .
6) اية معلومات اضافية اخرى .

عندما سمع حامد هذا الكلام ، صاح :

—— ان هذا الطلب عظيم جدا ! وحق سيدي عبد القادر) لو كان عدد هذه الحملة عشرة الآف جندي وتمكنت من الحصول على جزء واحد من هذه المعلومات لامكنني ابادتها مع عشرين مناضلا فقط ..

فاضاف نادر وهو يحاول ان يبتسم :

—— وهذا ما يجب ان يحصل ، لانه بلغ القيادة ان عدد افراد الحملة هو حوالي عشرة الآف ، لكننا نريد ان نتأكد من ذلك ، وانا وان كنت واثقا من شجاعتك وشجاعة رجالك تماما الا اني افضل في حال ثبوت هذا الرقم ، ان نحشد لهم عددا مناسبا في مكان مرتفع كي نضمن النصر ، لان المجازفة في مثل هذه الحالات غير محمودة .

فاردف حامد :

—— لكن لم تخبرنا عن كيفية الحصول على هذه المعلومات ؟

فقال نادر

—— ان الشخص الذي يستطيع ان يفعل ذلك موجود الان بيننا ... ثم التفت الى فرانسوا فورنييه وقال له بلهجة اهل مرسيليا :

—— مسيو فورنييه عندي خبر سار جدا بالنسبة لك ، وهو ان القيادة امرت باطلاق سراحك ، ولن يمسك احد بأذى ، ولكن مقابل ذلك يجب ان تمدنا ببعض المعلومات عن الحملة التي ستاتي لتطهير هذه المنطقة ، واذا نجحت بالمهمة سوف تعود الى بلادك سالما معافى ، اما اذا اخفقت او فررت ولم تعد الينا ، فقد تنجو موقتا من بين ايدينا ، لكن نفس هذه الفرصة لن تسنح لمدام فورنييه لانها ستبقى ضيفة لدينا الى حين عودتك .. ونحن متأكدون انك ستعود ، لانك لن تستطيع العيش بدونها ، اذ اني قد سمعت الكثير عن اسطورة حبكما التي وان كان قد مضى عليها حتى الان عدة سنوات ، ما زالت مرسيليا تذكر حوادثها وبصورة خاصة انتحار زوج كريستين الاول يوم علم انها فرت معك ... فما رايك يا مسيو فورنييه ؟ هل انت موافق على التعاون معنا ؟

رمق فرانسوا زوجته بطرف عينيه محاولا ان يقرا رايها في عينيها ، فرآهما تضرعان اليه وكانهما تقولان : افعل كل ما يطلبونه منك ، لكن لا تتركني اموت

لاحظ نادر هذه المحاورة الصامتة التي تدور بين الزوجين العاشقين ، وكي يذكي نارها اضاف :

—— ثم يجب ان تعلم يا مسيو مورنييه انك اذا عدت الينا بالمعلومات التي نريدها ، فلن نطلق سراحكما فحسب بل وسوف نعطيكما مليون فرنك كهدية لتبدا حياتكما من جديد ، ولكن ليس هنا بل في مرسيليا او في بلد آخر ، اما هنا ، فلا ...

بعد ان فكر فرانسوا فورنييه برهة قال لنادر :

—— اني اثق بوعدك كما اثق انك لن تمس زوجتي بسوء ، لذلك سوف احاول الحصول على كل ما استطيع من المعلومات .

فقال نادر :

—— لا يجب ان تحاول فقط ، انما من الضروري ان تحصل على كل ما نريد ، ونحن لم نكلفك بهذه المهمة الا لاننا متأكدون من قدرتك على النجاح ، والسبب الذي يظهر انك لم تعرفه بعد ، هو ان شقيقك ((الكوماندان)) ((روبير فورنييه)) قد وصل منذ عشرة ايام الى الجزائر وباشر عمله كمعاون لرئيس ((المكتب الثالث)) وكما تعلم ، ان هذا المكتب هو الذي يضع جميع الخطط الحربية ، هل فهمت الآن لماذا اخترناك ؟

عند سماع هذا الكلام ، ظهر الارتياح على وجه ((فرانسوا)) وقال :

—— اذن سوف تحصل على كل ما تريد من معلومات خلال ثمانية واربعين ساعة فقط ، لان لا طاقة لي على احتمال فراق ((كريستين)) اكثر من ذلك ...

دمشق : يوسف مدور



اعداد : الأستاذ محمد برادة

احاول في بعض الاحيان ان اعد الكتب التي يصدرها مغاربة خلال سنة واحدة ، فتروعني قلتها بالاضافة الى تفاهة مواد معظمها ، وفوز الكتب المدرسية بالقسط الاوفر . وفي كل اسبوع اقرا عناوين الكتب الصادرة في فرنسا ، فأجدها كثيرة متنوعة تطرق جميع ابواب المعرفة والفن . ويلح علي سؤال : الا يمكن ان يكون الفرق الشاسع في مجال النشر ، دليلا ملموسا على خصائص الدول المتحضرة ؟ هي تنتج لانها تفكر ، وهي تفكر لانها في حوار مسموع ، دائم ، بينها وبين المجتمعات الاخرى .. ولان اي عمل لا يمكن ان يكون مرتجلا ، اي غير مسبوق بالتفكير . وطبعا اصل الى مشكلنا « المزمن » .. لماذا حركة النشر غير رائجة بالمغرب ؟ لماذا لا يفكر ابناؤنا ؟ هل من الممكن ان نعيش بدون ثقافة (حضارة) ؟ الخ

وقد يكون من الاجدى الا ندخل في هذه الدوامة ، وان نكتفي بالقاء بعض الاضواء على الكتب القليلة التي تصدر عندنا ، رغم كل شيء .

ايليا ابو ماضي

منذ شهرين صدر كتاب « ايليا ابو ماضي . دراسة تحليلية » (*) للاستاذ جعفر الطيار الكتاني . وهو ينبهنا — منذ البداية — الى انه اعتمد بالدرجة الاولى على شعر ابي ماضي ، وليس على آراء الذين كتبوا عنه من قبل . وهذا المنهج الذي اختاره المؤلف يستحق ان نقف عنده قليلا — ولو أن هذه ليست دراسة نقدية . ذلك ان كثيرا من النقاد ، ودارسي الاداب يغالون في افراغ حقائبهم على ظهور المبدعين ، فتاتي احكامهم متسمة بالتعسف والافتراضات . ومن ثم شاهدنا ظهور دراسات كثيرة عن ابي العتاهية ، وابي نواس ، وابي العلاء ، والمتنبي ، باعتبارهم تجسيدا لنظريات نفسانية اكتشفها فرويد ويونج .. فتنقلب الدراسة الادبية الى تطبيق سيكولوجي ، بدلا من ان تكون وسيلة للتذوق والفهم .

من اجل ذلك فان الاستاذ جعفر كان موفقا في اختيار منهج الاعتماد على الشعر مباشرة ، واعطائه الاسبقية في تحديد عالم الشاعر ورؤاه . وهو نفس المنهج الذي اتبعه المرحوم عباس محمود العقاد في دراسته الفذة عن ابن الرومي .

وعند ما حاول الشاعر الروسي المعاصر « اوجين ايفتشنكو » ان يكتب سيرته الذاتية (*) بداها بقوله :

« ان السيرة الذاتية لشاعر ما ، هي اشعاره . وما تبقى فهو تعليق . ومن حق الشاعر ان يتقدم الى قراءه حاملا في كفه احساساته ، وافكاره ، ومواقفه » .

واظن ان الاستاذ الكتاني حاول أن يتقمص نفسية ايليا ابي ماضي ، بعد ما رافقه في مختلف اطوار حياته وتطوراته ، ثم قدم لنا حصيلة رحلة الشاعر الى عبقر ، وما استخلصه من تطوافه في الاقطار ، وبين الناس . وبذلك جاءت كثير من الصفحات تكتسي صبغة الخلق ، لا طابع التقنين وحشو الافتراضات ، مثل قوله (*) :

« بيد ان ايليا هذا الشاعر الانساني ، الذي عرف واقع الحياة ، واعتقد في وحدة الوجود ، ووهب نفسه دون اختيار منه لما عرفه ، واعتقد فيه .. ما شأنه وهذه الحيرة ، التي تقحم نفسه في هدوء ايمانها ، فتشوش فيه ما استقر عليه باله ؟ فبينا هو ضاحك

---

* الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ومكتبة الرشاد بالدار البيضاء وفاس .

* Autobiographie précose - Julliard

* ص 98

مطمئن الى طبيعة دينه ، اذا بالقلق يغمر رواءه ، ويسربل تأملاته بوشي داكن ، ويقض سكينته في مضجع امنها ، وكأنما هو ذلك الفتى الذي ما يزال يفتت الظلمة بخطاه، ليكبس مفتاح النـور .. »

وهناك عنصر اساسي في الكتاب ، وهو مناقشة بعض الافكار التي أوردها من كتبوا من قبـل عـن ابي ماضي ، مثل تشاؤمه ولا ادريته . فقد أصر أكثرهـم على التماس منابع هذه الافكار في الفلسـفة اليونانية أو عند الخيام او ابي العلاء .. وغالى بعضهم فاعتبر كل شعر ابي ماضي نتيجة لتأثره بمطالعاته ، او برفاقه في المهجر . والواقع ان التأثر بالعصر ، او بأدباء آخرين ، ليس عيبا ، بل هو حتمي في معظم الاحيان ، شريطة ان يتمثل الفنان مكتسباته قبل ان يصوغهـا في تجربتـه الخاصة . ومن الصعب جدا تحديد بؤرة التأثر عنـد الفنانين ، لان عملية الخلق الفني لا يمكن تجزئتها الـى عناصرها الاولية ، كمـا يتبيـن من كتـاب « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعـر خاصة » للدكتـور مصطفى يوسف (الفصل الثالث : عملية الابداع) .

وكل ما يمكن ان نطالب به الشاعـر هو صدوره عن تجربة متفردة ؛ واقناعنا بانه لا يجتـر ذكريات عكاظ ، أو يطحن الفاظ زهير . والتقليد غير التأثر .. فكل شاعر يبدأ مقلدا قبل ان يجد أصالتـه . وهـذا ما اوضحه الاستاذ جعفر الكتاني في فصل « بين الانقياد والثورة » اذ كان ابو ماضي يستوحي الشعر الجاهلي في الشكل والمعنى ، ويستنجد بمختزناتـه من اشعـار الزهد والحكمة .. قبل أن يصل الى مرحلة الابـداع ليعزف انغاما ذاتية ممتزجة بتجاربه المعاشة .

والدراسة مقسمة الى اربعة اقسام :

1) حياتـه مـن شعـره
2) ثقافتـه مـن شعـره
3) شخصيتـه مـن شعـره
4) فنيتـه مـن شعـره

الا انني كنت افضل الا يفرق بين ثقافة الشاعـر وشخصيته ، لان الشخصية هي انعكاس للثقافـة . وهكذا كان من الممكن أن يربط الحديث عـن لا ادريـة ابي ماضي ، بالحديث عن حنينه الى المجهول وحيرته وقلقه .. اما فصل « بين الانقياد والثورة » فيمكن ان يدمج في القسم الرابع لاظهار خط تطـور الشاعـر . ووجدت الخاتمة : « ايليا ابن فلكه » غير كافية ، لانني افتقدت عنصر المقارنة . وانا اعلم جيدا ان كتابة دراسة مقارنة تتطلب مجهودا خاصا ، ومنهجا مغايـرا .. الا انني احسسـت بنوع من « التجريد » في تقديـم ابـي ماضي دون موضعـه بالنسبة للنتاج الشعري المعاصر لـه ، وبالنسبة لتاثيراته فيمن اتوا بعـده (التـراث الشعري تجربة متكاملة) .

ومما لا شك فيه ان الاستاذ جعفر الكتانـي قـد نجح في اجلاء شخصية ابي ماضي وتخليصها مما علق بها من احكام سابقة ، وافتراضات مغالية .. ووصلنا بالالحان الاصيلة التي عزفتهـا قيثارة شاعـر مـزج التشاؤم بالتفاؤل ، واللا ادريـة بطمأنينـة القلب .. فتسللت نغماته الى نفوس تحمل رسالة الحب والفرح . ان عظمة ايليا ابي ماضي في شعره الحزيـن الذي يشع صفاء وحبورا ، وكان الشاعر الفرنسي « روني شار » كان يعنيـه عند ما قـال :

« وانت مثمل بالكآبـة ، فان حزنك لا يفوق ، في هذه الحال ، كآبـة البلـور » .

شاعـر الحمـراء في الغـربـال

والكتاب الثاني عن الشاعـر محمد بن ابراهيـم بقلم الاستاذ احمد الشرقاوي اقبال (*) ، وهـو أول محاولة تصدر لدراسة الشاعر « الاسطورة » كما اوثر ان اسميه . فمنذ توفي سنة 1955 ، ونحن نسمع اصداء السعي لاصدار ديوانه المتفـرق في صدور الاصدقـاء والرواة .. ومع مر السنين تتضاعف شهـرة شاعـر الحمراء ، وتذكي جذوتها عناصر متباينـة ، لم نكـن نجسر على مناقشتها لاننا نجهل انتاجه ، ولان ادباءنا قد توارثوا الاقرار له بالتفوق والنبوغ ، وان اخـذوا عليه مدحه للكـلاوي ...

ومن اجل ذلك فان اضطلاع الاستاذ اقبال بتقديم صورة لحياة وانتاج محمد بن ابراهيم ، يعتبـر عمـلا قيما ، لانه سيتيح للكثيرين معرفة الشاعـر اللغـز ، وسيمكنهم من تكوين راي صحيح عن مكانته في ادبنـا الحديث . ويظهر ان المؤلف قد اعتمد على عدد لا باس به من منظومات ابن ابراهيم ، ومن معرفته الشخصية لـه ، وما تناقله الناس من نكاتـه وطرائفـه ؛ فقسم كتابـه الى ثلاثـة اقسـام :

* مطبعة الجامعة ـ الدار البيضاء

1) شاعـر الحمـراء في خاصة نفسه
2) شاعـر الحمـراء في الجماعـة
3) شاعـر الحمـراء في آثـاره

وقـد كانت ثقافة محمد بن ابراهيـم تقليديـة سطحية ، فلم يستطع فهم عصره ومجتمعه ، والاستفادة من تيارات العصر ، مثلما فعل ابو القاسم الشابي الذي عاش في ظروف مجتمعية مشابهـة لظـروف شاعـر الحمراء . ان الاستاذ اقبال يقرر بان عقليـة الانسان تكونها ثلاثة مؤثرات هي : العقيدة ، والثقافة ، والنظام السياسي . فكيف نعلل الاختلاف الجذري بين شاعرنا وبين ابي القاسم الشابي الذي تعرض لنفس المؤثـرات الثلاثة ؟ بل ان بن ابراهيم اتيح له السفر الى الشرق وكان بامكانه ان يفيد من زيارته واتصالاته .. ومع ذلك جاء شعره تجسيما لنموذج كلاسيكي يتحدر من مفهوم الحياة والشعر في العصر العباسي (ابو نواس وبقيـة شعراء المجون) اني اميل الى التعليـل الـذي قدمـه الاستاذ رجاء النقاش في كتابه عن ابي القاسم الشابي (سلسلة اقرا) من انه كان يتوفر على طبيعة اخلاقية ملتزمة (ازاء النفس وازاء الآخرين) .. فهـل كانت بيئة ابن ابراهيم مسؤولة عن المفهوم الاخلاقـي الذي اعتنقه ، وتصرف بوحي منه ؟ ذلك هو السؤال الذي لم يناقشه المؤلف باسهاب .. ولست ادري أن كـان الاستاذ اقبال قد تعمد الاقتضاب ، فجـاءت كتابتـه مفتقرة ، في بعض المواطن ، الى التحليـل والاستنتاج ؛ خصوصا في فصولـه عن شاعـر الحمـراء وعلاقاتـه بالاقطاع ، ورجال الدين ، والطبقة الكادحة .

واحيانا ينساق المؤلف للتعميم ، فيورد احكـاما تكتسي صبغة نظريات مقررة ثم يبنـي عليهـا حكمـه الخاص ، مثل قوله في صفحة 99 :

« والشعر العربي عواطفه فردية ، يحركها الحب الذي ولد الشعر الغزلي ، او الكره الذي نشأ عنه الهجاء الممض الموجع ، او الزراية التي اوجدت ذلك الهجـو التهكمي الساخر ، ثم الزهو الذي خلق شعر الفخـر والحماسة ، او الاعجـاب الذي خلـق فني الوصـف والمديـح ... »

فمن التبسيـط المسرف ، القول بان الشعر العربي فردي في عواطفه ، وبان الكراهية أوجـدت الهجـاء ، والزهو خلق الفخر والحماسة ..

ومع ذلك ، فان قيمة كتاب « شاعـر الحمراء في الغربال » تكمن في ازالة الستار عن اسطورة تضخمت بدون رصيد من الحقيقة والعبقرية .. فليس محمد بن ابراهيم سوى ناظم يفتقر الى الاصالـة والوعـي ، لم يستطع تجاوز ظروف مجتمه الاقطاعـي المستعمـر ، فعاش حياة منحلة ، تقلد اكثر مما تجـدد ، وتجاري مواضعات الجماعة ، بدلا من ان تمنحها وعيا بذاتهـا ، وتعريهـا من زيفهـا .

ولا يجوز للنقد ان يجامل شاعـرا لان الظـروف قست عليـه .. اذ ليست مهمته تبريـر الظـروف ، وانتحال الاعـذار ، بـل هـي تقويم ، وتتبع لاضافات المبدعيـن .

الربـاط : محمد برادة



من نشاط وزارة الأوقاف

المؤتمر الاول لوزراء الاوقاف

بين 14 و 19 من شهر مارس 1964 ، انعقد بمدينة دمشق اول مؤتمر لوزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية فى البلاد العربية ، وقد شارك المغرب فى هذا المؤتمر بوفد يمثل الوزارة برئاسة معالي الحاج احمد بركاش وزير الاوقاف المكلف بالشؤون الاسلامية ، وعضوية السادة : الطاهر زنيبر مدير ديوان الوزير ، وعبد الجليل القباج رئيس قسم التصميم ، واحمد السطاتي رئيس الكتابة الخاصة ، ونظرا لاهمية هذا المؤتمر والمجهود التي بذلها المغرب فى جلسات أعماله ، ارتأينا ان ننشر بعض توصياته فى هذا الركن ليطلع عليها جمهور قرائنا الكرام .

اطلع المؤتمر على التقارير المحالة اليه من اللجان الثلاث المنبثقة عنه وبعد مناقشتها أوصى بما يلي :

فى الميدان الاجتماعي :

◆ ان وضع خطة منسقة للاتصال والتعاون بين الجهات المسؤولة عن الشؤون الاسلامية فى العالم العربي ودراسة المؤتمرات الاسلامية العديدة فى العالمين العربي والاسلامي وما ينبثق عن ذلك من التفكير فى الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام يجب ان يسبقه توافر المعلومات والبيانات الكافية المفصلة عن الهيئات والمؤتمرات الاسلامية والدينية فى العالم العربي والاسلامي ومدى امكانياتها المادية والمعنوية وتنظمها ونشاطاتها واهدافها المختلفة فى حقل الدعوة الاسلامية داخل بلادها او خارجها لذلك يوصي المؤتمر بان تقوم الجهات المختصة بالشؤون الاسلامية فى كل بلد عربي باعداد البيانات والمعلومات المطلوبة مع تبادلها خلال مهلة اقصاها ثلاثة اشهر من تاريخ اقرار هذه التوصية وذلك بواسطة المكتب الموقت المنبثق عن المؤتمر .

◆ على الجهات المشرفة على الشؤون الدينية و الدول العربية دراسة امكانية انشاء هيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة للدعوة الاسلامية فى جميع انحاء العالم وخاصة المناطق التي تتعرض للغزو الصهيوني والتبشير الاستعماري تمثل فيها جميع الهيئات الدينية الرسمية القائمة حاليا فى الدول العربية والاسلامية وتحدد الهيئة عند قيامها مواردها واغراضها والوسائل اللازمة لتحقيقها على ان تعرض نتيجة الدراسة على المؤتمر فى اجتماعه القادم .

◆ يؤيد المؤتمر ضرورة وضع الخطة التي قررها المجلس الاقتصادي العربي فى دورته التاسعة لمواجهة النشاط الاسرائيلي فى افريقيا وآسيا ، موضع التنفيذ باقصى سرعة ممكنة .

◆ توصية مؤتمر الاعلام العربي أن يأخذ في الاعتبار الاستعانة برجال من ذوي المكانة والكفاءة العلمية والدينية فى البعثات والمكاتب التي سترسل او تنشأ فى عواصم العالم المختلفة وان تخصص صفحات فى الصحف التي ستؤسس فى الدول الاجنبية للدفاع عن القضايا العربية لشؤون الدعوة الدينية وجمع المعلومات والمستندات عن الدول الافريقية للتعرف عن شؤونها واحوالها الاجتماعية وكل ما يتصل بذلك .

◆ العمل على الاستعانة بالمغتربين العرب وهيآتهم لمقاومة النشاط الصهيوني فى الدول الاجنبية حيثما وجد هذا النشاط .

◆ تخصيص اوقات محدودة فى اذاعات الدول العربية لبث الدعوة الاسلامية الى الدول الاجنبية التي يوجد فيها مسلمون وذلك بلغات ولهجات تلك الدول .

في الميدان العلمي :

◆ تفسير القرآن الكريم تفسيرا صحيحا قويا مفيدا يقصد به ادراك روح النص الشريف ادراكا حقيقيا كما نزل على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، مع التسامي به عن الخلافات المذهبية ايا كان نوعها ثم ترجمة هذا التفسير الى اللغات الحية ترجمة صحيحة صادقة مطابقة لروح النص ومبناه ومؤداه .

◆ مراجعة الترجمات المتداولة حاليا والوقوف على ما فيها من تحريف او تزييف او خطأ للاحتراز عن كل ذلك في الترجمة الجديدة .

◆ كتابة النص القرآني الكريم مع معناه باللغة العربية ، ثم كتابته في نفس الصحيفة مترجما الى اللغة التي يراد الترجمة اليها .

◆ ان تصدر هذه الترجمة باسم مؤتمر وزراء الاوقاف وتعتمد اساسا يستند اليه الدعاة الذين سيجوبون العالم حاملين النور والهداية الى الناس اجمعين .

◆ يقوم بكل ما ذكر لجان تشكل من كبار العلماء في البلاد العربية ممن تضلعوا بالفقه الاسلامي نصا وروحا ومن المجيدين للغة العربية اجادة تامة كاملة من كل الوجوه ، مع التمكن الكامل من اللغة الاجنبية التي يراد الترجمة اليها .

◆ ضرورة توحيد التشريعات والانظمة الوقفية في البلاد العربية والتخطيط منهجيا لهذا العمل .

◆ ضرورة اعادة النظر في نوعية الوقف بحيث يكون ذلك على ضوء الاحكام الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

◆ دعم الوقف الخيري دعما قويا ليتمكن من اداء رسالته واهدافه الجوهرية العليا .

◆ ان تعمد الدول العربية الى سد العجز في ميزانيات وزارات الاوقاف من الميزانية العامة للدولة ويخصص باب لذلك فيها .

◆ ان تتصل وزارات الاوقاف في البلاد العربية جميعا بجميع المعاهد والكليات والمؤسسات والهيئات الاسلامية العاملة في حقل الدعوة الدينية لتوحيد الجهود في خدمة هذه الدعوة الكريمة خدمة صادقة مثمرة وذلك بواسطة المكتب المشار اليه .

◆ التعاون في انشاء وتنفيذ مشاريع اسلامية مشتركة ضمن خطة متكاملة على مختلف المستويات العلمية والاجتماعية والروحية .

◆ تشكيل لجان من كبار الفقهاء وذوي الخبرة في العلوم الاسلامية وشؤون الموسوعات وتكليفها الاطلاع على جميع ما انتجته المؤتمرات الاسلامية من جهود ، والاطلاع ايضا على جهود الافراد في هذا الميدان من العالم كله ، ولهذه اللجان ان تستعين بالجامعة العربية والمجامع اللغوية والجامعات والهيئات العلمية الاسلامية مع مراعاة ما جاء في خطاب سيادة وزير الاوقاف بالجمهورية العربية السورية رئيس هذا المؤتمر مع التنويه بجلال هذا المشروع وان العالم الاسلامي في امس الحاجة اليه .

◆ يوصي المؤتمر بنشر ما تنتجه لجان الموسوعات المقترحة بنشرات دورية لكي يستطيع الاطلاع عليها كل مسلم معني بالشؤون الاسلامية في العالم العربي والاسلامي . والغاية من نشر هذا الانتاج الموسوعي ان تظفر لجان الموسوعات بملاحظات وخبرة اختصاصيين من الفقهاء فتستفيد من ذلك في اعادة النظر فيما انتجته من هذا الجزء وليكون اقرب الى الكمال وتوزع النشرات على الشخصيات والمؤسسات.

◆ يوصي المؤتمر بان يشكل في كل وزارة اوقاف في البلاد العربية قسم يختص بتحقيق ونشر المخطوطات الاسلامية واعادة طبع المراجع النادرة المهمة طباعة حديثة مع تشجيع البحوث الاسلامية وتبادل هذا الانتاج بين الوزارات كلها في العالم العربي ، ويحسن ان تتصل كل وزارة عند قيامها بالعمل المذكور بسائر الوزارات في العالم العربي لتخبرها بالكتاب الذي ستخرجه حتى يتفادى التكرار ويغزر الانتاج ويتم ذلك بواسطة المكتب المنبثق عن المؤتمر .

◆ ينادي المؤتمر كافة الدول العربية المشتركة فيه للقيام بافتتاح دورات تأهيلية للدعاة الى كافة انحاء العالم وخاصة الى القارة السوداء .

في الميدان التنظيمي :

◆ يوصي المؤتمر الدول الاعضاء للمساهمة بتمويل الميزانية الموقتة للفترة الانتقالية في حدود المبلغ الذي دفعته الجمهورية العربية السورية وقدره مائة الف ليرة سورية راجيا من الدول الشقيقة ذات الامكانات المادية التفضل بمضاعفة هذا المبلغ على ان يتم ارسال هذه المبالغ خلال شهر من تاريخ هذه التوصيات .

◆ ينشا مكتب اتصال موقت برئاسة سيادة رئيس المؤتمر في اجتماعه الحالي وعضوية ممثلي سوريا ، المغرب ، الكويت وممثل عن الجامعة العربية بدمشق ، تكون مهمته ابلاغ توصيات المؤتمر للجهات المعنية في الدول العربية وتبادل المعلومات والمقترحات التي ترد اليه من الجهات المشرفة على الشؤون الدينية وتنسيقها واعداد المشروعات وجدول اعمال المؤتمر القادم على ضوء ما يرد اليه من مقترحات ويتم توزيع هذه المقترحات قبل موعد انعقاد المؤتمر بشهر على الاقل حتى تتمكن كل دولة من دراستها وابداء مقترحاتها ، ويكون من مهامه وضع ميزانية مؤقتة لهذا المكتب واعداد مشروع ميزانية للمكتب الدائم على ان يقدم الى مؤتمر وزراء الاوقاف القادم لتصديقه ، ومتابعة القضايا الواردة في توصيات المؤتمر ودفعها الى حيز التنفيذ ويكون مقر هذا المكتب مدينة دمشق ويترك الى المكتب تسمية مقرره .

◆ يوصي المؤتمر بان تنص وزارات الاوقاف في البلاد العربية في تشريعاتها على كل ما سلف من توصيات واحكام .



الأنباء الثقافية

* في نطاق تكوين خبراء التلفزيون اوفد التلفزيون المغربي بعثة الى المانيا تتكون من خمسة شباب مغاربة التخصص في دراسة فن الاخراج التلفزيوني . وقد قضت هذه البعثة سنة في الاستوديوهات التيلفزيونية الالمانية .

* توفي حديثا في المغرب كاتبان فرنسيان بارزان هما السيد دي كوسيه بريساك ، والسيد فرانسوا بونجان . كان الاول منذ سنة 1947 مدير شعبة المغرب الاقصى في باريس وهي تابعة لجامعة الرباط . وعني مدة طويلة بنشر مستندات عن المغرب الاقصى كانت بين المحفوظات والمكاتب في فرنسا ، وداب على تعليم مؤرخين مغاربة. اما الاستاذ بونجان الذي توفي حديثا في الرباط فله عدة مؤلفات عن مصر والمغرب الاقصى من بينها « قصة طفل من مصر » و « اسرار فتاة » وكان يشتغل استاذا في معهد فاس ومعهد مراكش وكان على اتصال وثيق بكثير من الشخصيات السياسية والفكرية في الشمال الافريقي .

* سيصدر قريبا عن المكتب الوطني للتعريب بالرباط العدد الاول من مجلة « اللسان العربي » حافلا بالابحاث والمقالات العلمية والادبية .

* قريبا يصدر عن دار الكتاب بالدار البيضاء كتاب جديد للسيد محمد الصباغ بعنوان « عنقود ندي » مشتملا على مقطوعات شعرية جمالية ؛ ويعتبر هذا ، هو الكتاب السابع الذي يصدره المؤلف الذي يعكف حاليا على كتابة مؤلف عن الشخصيات الفكرية من مغاربة ومشارقة واوربيين الذين تربطهم به صلات ادبية .

* سيصدر قريبا عن المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لرئاسة الجامعة المغربية مجلة « البحث العلمي » حافلة بمختلف الابحاث العلمية والادبية في شتى الوان المعرفة . ساهم بتحريرها صفوة من الباحثين المغاربة .

* شارك المغرب في اعمال مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية الذي عقد بالعاصمة الجزائرية بوفد عن المكتب الدائم للتعريب بالرباط وقد اسفر المؤتمر عن توصيات مهمة .

* وصل الى المغرب في الايام الاخيرة وفد عن الصحافيين الالمانيين والفرنسيين الذين يمثلون عددا من الصحف والمجلات في زيارة الى المغرب والاطلاع على مدى التقدم الذي مشى فيه .

* سافر الى الجزائر الدكتور سالم عادل عبد الحق المدير العام للآثار السورية ليقوم بتكليف من منظمة اليونيسكو بدراسة متاحف الجزائر واعطاء تنظيم لها .

* نشرت الجريدة الرسمية التونسية في عددها الاخير نصوص التعديلات التي ادخلت على قانون الاحوال الشخصية واهم هذه التعديلات هي ما يتصل بسن الزواج . وينص القانون الجديد على أن الحد الادنى لسن الزواج بالنسبة للرجال هو 20 سنة ، وبالنسبة للنساء هو 17 سنة على الاقل .

* صدر في تونس الجزء الاول من كتاب « اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان » لاحمد ابن ابي الضياف ، وقد قام بتحقيقه لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية .

* اقيم معرض في نيويورك لاسلحة الافريقيين القديمة ، وصفته صحيفة « نيورك تايمس » بانه من اجمل المعارض التي شهدتها . ويحتوي المعرض على 50 نوعا من السهام والاقواس والرماح والفؤوس

وغيرها من الاسلحة التي كانت القبائل الافريقية تستخدمها في القتال والصيد .

* عقد في هذا الشهر بتونس المؤتمر الطبي العربي الثالث .

* كان لوفاة شيخ الازهر المرحوم محمد شلتوت صدى حزن والم في جميع انحاء البلاد الاسلامية ، لما كان يتمتع به الفقيد من محبة وتقدير واجلال ، من لدن المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وقد توفي عن 70 سنة وعين شيخا للازهر عام 1958 .

* اصيب الاستاذ عباس محمود العقاد بمرض عاقه عن مواصلة كتابة مذكرات حياته . وقد بلغ من العمر الرابعة والسبعين .

* صدر في لبنان كتاب مصور عن الرسام الفرنسي اوجين ديلاكروا مشاركة في الذكرى المائوية لوفاة الرسام المذكور .

* ديوان « كان في قلب » لراضي صدوق صدر مؤخرا عن دار الكاتب العربي ببيروت .

* صدرت عن منشورات عويدات رواية للكاتب السوري وليد اخلاصي بعنوان « شتاء البحر اليابس » .

* « السيف وبرج العذراء » مجموعة شعرية صدرت في بيروت لعصام محفوظ .

* المركز الثقافي الالماني ببيروت افتتح معرضا في هذه الايام عن « اجمل كتاب باللغة الالمانية » مشتملا على 350 كتابا من اجمل الكتب التي صدرت منذ أعوام قريبة باللغة الالمانية .

* « الوقف والهجر على المذاهب الخمسة » كتاب جديد يصدر قريبا في بيروت للشيخ محمد جواد مغنية .

* اصدرت مجلة « الافق الجديد » التي تصدر شهريا في القدس عددا ممتازا خاصا بالشعر .

* عقد في بغداد المؤتمر الثاني لوزراء التربية العرب تضمن جدول أعماله عددا من المواضيع التربوية منها توحيد عدد سني الدراسة في مراحل التعليم المختلفة في البلاد العربية .

* سيقدم للطبع الدكتور أحمد مطلوب كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » لابن الزملكاني الذي قام بشرحه وتحقيقه .

* توفي الامام الشيخ محمد الخالصي احد أئمة الشيعة في العراق .

* انتهى الدكتور احمد مطلوب وعبد الله الجبوري من شرح وتحقيق ديوان « ديك الجن الحمصي » وقد عثر على نسخة خطية لهذا الديوان النادر في خزانة الشيخ محمد اليعقوبي ومعه ملحق يتضمن شعره الذي يضمه الديوان . وسيصدر هذا الديوان قريبا في بغداد .

* يشتغل الاديب يحيى الجبوري في مؤلف بعنوان « اثر السياسة في شعر العراق في العصر الاموي » .

* اعلنت وزارة الثقافة بدمشق عن اجراء مسابقتين لتاليف مسرحية نثرية يكون موضوعها اجتماعيا ، والثانية شعرية مستوحاة من تاريخ العرب وأدبهم .

* نعت الموصل مفتيها السيد محمد حبيب العبيدي احد اركان النهضة العراقية اللامعين .

* صدرت في بغداد في هذه الايام جريدة ادبية بعنوان « الكشكول » .

* في الدورة الخامسة لمؤتمر نقابة المعلمين العراقيين التي عقدت مؤخرا بالعراق حث الفريق يحيى في كلمة الافتتاح المعلمين على الابتعاد من السياسة والحزبية .

* قررت وزارة المعارف السعودية أن تبني مدرسة صناعية ثانوية جديدة بالرياض .

* يقوم معرض هام للفن الفرنسي المعاصر بجولة في بلدان الهند .

* آثار الرسام فردريك جيرجنسون عاصفة من الجدل في السويد في المدة الاخيرة ، ولم يكن ذلك بسبب لوحاته ، ولكن بسبب شريط تسجيل مغناطيسي قال انه استطاع ان يسجل عليه اصوات ارواح ستالين وهتلر ، و 140 صوتا آخرين ، وقد نشر كتابا عن تجاربه خلال السنوات الخمس الماضية .

* انتخبت جمعية النظام والاستحقاق للعلوم والفنون في المانيا الفيدرالية ثلاثة اعضاء جدد من الاجانب .

* اعلنت دائرة الآثار في عمان ان البروفسور جيزا فهراري أستاذ الآثار الاسلامية في جامعة لندن أيد الراي القائل أن مسجد الصخرة بالقدس يضم اقدم محراب اسلامي عرف حتى الآن .

ويقع هذا المحراب – واسمه محراب سليمان – داخل كهف مسجد الصخرة ، ويقال انه مزدان بأحد حجارة الكعبة واعاد الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار الى الذاكرة ان الخليفة الاموي عبد المالك بن مروان قد انشأ مسجد الصخرة ليحج اليه المسلمون بدلا من الكعبة في مكة ابان الخلاف بين العاصمتين الاسلاميتين . وقال أن وضع حجر من الكعبة في هذا المحراب ربما يكون تعزيزا للتوجيه المذكور . ويزور البروفسور فهراري الاردن في نطاق جولة دراسة واقعية يقوم بها للآثار الاسلامية . والجدير بالذكر انه تم الكشف في الاردن عن أكثر من 50 قصرا اسلاميا امويا تمثل الحضارة الهندسية والتقدم المعماري الذي كان سائدا في ذلك العصر .

* من اهم المناقشات الدائرة في هذه الايام في جامعة السربون مناقشة عن تحليل ظاهرة ارتفاع نسبة المواليد وكيف أن فرنسا ستصبح بعد سنوات اكثر دول اوربا شبابا . وقد حلل هذه الظاهرة الاستاذ صوفيه استاذ علم السكان بالجامعة وأعلن أن « الرواج الاقتصادي الذي عاشته فرنسا بعد الحرب هو السبب » .

* نشرت دار مطبوعات منوي بباريس كتابا لجاك نانتيه عنوانه « تاريخ لبنان » كتب مقدمته المؤلف المعروف فرانسوا مورياك ، وهو كتاب يدرس تاريخ لبنان منذ اوائل عهده حتى سنة 1958 .

* منحت الجائزة الكبرى للعلوم الكيماوية والطبيعية للسيد بيار فيكول رئيس مختبر مؤسسة باستور في باريس عن دراسة عن الجراثيم . وقدمت كذلك جوائز اخرى من قبل اكاديمية العلوم وهي :

جائزة الكونت للسيد هنري فالو مدير مؤسسة الآثار الانسانية . وجائزة ماري تيمدو للسيد جان مانديل البروفسور في مدرسة البولتيكنيك . وجائزة شارل ليوبولد ماير للسيد ارفين شارغاف استاذ الكيمياء في جامعة كولومبيا .

* قدمت اكاديمية العلوم الاخلاقية والسياسية اخيرا بباريس جائزة دروين دولهوي الى الكاتب جان بايو عن كتابه « الشؤون الخارجية » .

* منحت الجائزة الكبرى الوطنية الفرنسية للآداب لجاك ماريتان مكافأة لمجموع مؤلفاته .

* دشن أخيرا بباريس المركز الجامعي الدراسي للجامعات الاوربية في كلية الحقوق بباريس .

* يعقد في ايطاليا اسبوع للدراسات حول « الغرب والاسلام في العصور الوسطى المتقدمة » وذلك ما بين 2 و 9 من ابريل الحالي .

* كتب المستشرق التشيكوسلوفاكي البروفسور كارل بتراجل دراسة بعنوان « ملامح وجودية في آثار عبد الوهاب البياتي الشعرية » وستنشر هذه الدراسة بالتشيكية والروسية والالمانية والعربية .

* نشرت المجلة الادبية الالمانية « الفكرة والشكل » التي تصدرها أكاديمية العلوم الالمانية في برلين نص المقالة التي كتبها الشاعر ناظم حكمت قبل وفاته بيومين عن ديوان عبد الوهاب البياتي الصادر باللغة الروسية « قمر اخضر » وكانت هذه المقالة قد نشرت في « الجريدة الادبية » لسان حال الكتاب السوفييت بعد موت ناظم حكمت .

* سيعقد خلال الاشهر الثلاثة القادمة في الكويت اول مؤتمر لرجال الصحافة يشارك فيه : الاردن ، الكويت ، والجمهورية العربية المتحدة ، ولبنان ، واليمن ، والعراق ، والمغرب ، وتونس ، والجزائر ، وفلسطين .

* صدر في انجلترا مؤخرا كتاب عن مسرح اللا معقول .

* كتاب صدر منذ 300 سنة بعنوان « خافي هيل » من تاليف الكاتب الانجليزي جون كليلاند 1709 — 1789 ويباع الآن في امريكا الا ان الرقابة صادرته في انجلترا فجمع البوليس 171 نسخة كانت معروضة في المكتبات . وقد حاول الناشر الانجليزي ان يدافع عن الكتاب امام القضاء مستندا الى نفس الاحكام التي صدرت في قضية قصة « عشيق الليدي تشاترلي » الذي كتبه لورانس . والذي سمحت به الرقابة في امريكا وانجلترا بعد ان ظل محرما أكثر من ثلاثيين عاما ، ولكن القضاء الانجليزي لم يقتنع بوجاهة نشر مثل هذه الكتب . وقد اثارت مصادرة هذا الكتاب ضجة عنيفة في الاوساط الادبية الانجليزية في هذه الايام .

* ركب جهاز خاص لتوصيل ترجمة المسرحيات الاجنبية مباشرة الى المستمعين في مسرح الدويتش في لندن خلال الموسم المسرحي العالمي الذي افتتح في 17 مارس من هذه السنة كجزء من احتفالات فرقة شكسبير الملكية بالذكرى الاربعمائة لميلاد الشاعر ، واستخدم الجهاز اثناء حفلات فرق فرنسا والمانيا وايطاليا واليونان وبولونيا وروسيا . واذيعت الترجمات على امواج اثير شبكة اذاعية على الموجة القصيرة وكان في وسع جميع النظارة الحصول على آلة الانصات دون ان يكلفه ذلك اية رسوم اضافية .

* بمناسبة مرور 400 سنة على ولادة شكسبير سيقام مهرجان عالمي كبير في مسقط راسه ستراتفورد تحضره وفود من مختلف الاقطار في العالم وذلك ابتداء من 23 ابريل المقبل الى آخر فصل الخريف .

وسيفتتح معرض يضم جميع كتبه وطبعاتها وما كتب عن مؤلفها الى جانب رسوم فنية تمثل شكسبير نفسه ، كما تمثل الشخصيات البارزة في رواياته المختلفة . كما سيدشن بهذه المناسبة مركز شكسبير الجديد الذي يوجد بالقرب من البيت الذي ولد فيه الشاعر .

* اعلن مكتب الاحصائيات في اوتوا ان عدد سكان كندا قد بلغ في مستهل السنة الحالية تسعة عشر مليونا ومائة الف نسمة اي زيادة قدرها 335.000 نسمة عن السنة الماضية .

* سلمت مؤسسة بالزانا جائزة السلام الى السيد يوطانت الامين العام للامم المتحدة تقديرا للجهود التي تبذلها منظمة الامم المتحدة من اجل المحافظة على السلام في العالم . هذه المنظمة التي اصبحت تجتاز ازمة وصعوبات مادية جمة . وقد صرح السيد يوطانت بهذه المناسبة بانه ينبغي مواصلة العمل في حظيرة الامم المتحدة حتى تتمكن هذه المنظمة من تحقيق الاهداف التي انشات من اجلها . واكد السيد يوطانت بانه يقبل هذه الجائزة على الاساس الذي منحت من اجله وهو تقدير الجهود التي ما فتئت المنظمة تبذلها من اجل قضية السلام .

* تنبات الامم المتحدة في تقرير نشر اخيرا بتطوير صحف الانباء بحيث يمكن قراءتها على شاشة التلفزيون . وجاء في تقرير اليونيسكو انه يبدو واضحا ان نشر الصحف بات ينتظر ثورة فنية في تاريخه الذي يعود الى 400 سنة خلت .

* اصبح المتحف الخيالي امرا واقعا بواسطة التلفزيون والكوكب الصناعي « رالي » فقد تحققت اذاعة خلال برنامج مزدوج اعده متحف اللوفر والقاعة الوطنية للفنون في واشنطون ، وشوهد ما يوجد في كلا المتحفين من روائع الفن في باريس والروائع الفرنسية حصل عليها المتحف الامريكي .

* اكتشف احد علماء الآثار بمتحف التاريخ الطبيعي الامريكي قرية نروجية في نيوفوندلاند فاثبت بهذا الاكتشاف ان النروجيين قد عاشوا في امريكا قبل أن تكتشف بـ 580 عام .

* « فلسفة الاسلام » علم جديد سيدرسه طلبة جامعة بشيقى في امريكا ابتداء من العام الدراسي المقبل .

فهرس العدد السادس ـ السنة السابعة